

إمتاع الأسماع

بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الثامن

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by **DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon.** No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon
Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8



http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس فيما حُـرِّمَ شفَاءُ

خرّج مسلم من حديث شعبة، عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل، عن أبيه وائل الحضرمى، أن طارق بن سويد الجعفى، سأل رسول الله ﷺ عن الخمر فنهاه، أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: إنه ليس بدواء، ولكنه داء[1]. [أخرجه الترمذى من هذه الطريق وقال: إنها ليست بدواء، ولكنها داء]. وقال: هذا حديث حسن صحيح[2].

وخرّجه أبو داود، ولفظه: عن علقمة بن وائل، عن أبيه قال: ذكر طارق ابن سويد، أو سويد بن طارق، سأل النبى ﷺ عن الخمر، فنهاه، ثم سأله فنهاه، فقال له: يا نبى الله! إنها دواء، فقال: لا، ولكنها داء[3].

وله من حديث إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم، عن أبى عمران الأنصارى، عن أم الدرداء [عن أبى الدرداء] رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داءٍ دواء، فتداووْا، ولا

---

(1) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٦٢ – ١٦٣، كتاب الأشربة، باب (٣) تحريم التداوى بالخمر وبيان أنها ليست بدواء، حديث رقم (١٩٨٤)، قال الإمام النووى: هذا دليل على تحريم اتخاذ الخمر، وفيه التصريح بأنها ليست بدواء فيحرم التداوى بها لأنها ليست بدواء –فكأنه يتناولها بلا سبب، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا، انه يحرم التداوى بها، وكذا يحرم شربها للعطش، وأما إذا غُصَّ بلقمة، ولم يجد ما يسيغها به إلا خمرًا، فليزمه الإساغة بها، لان حصول الشفاء بها حينئذ مقطوع به، بخلاف التداوى –والله تعالى أعلم، (شرح النووى).

(2) (سنن الترمذى): ٤ / ٣٣٩، كتاب الطب، باب (٨) ما جاء فى كراهية التداوى بالمسكر، حديث رقم (٢٠٤٦)، وما بين الحاصرتين مستدرك من هامش الأصل (ج).

(3) (سنن أبى داود): ٤ / ٣٠٤ – ٣٠٦، كتاب الطب، باب (١١) فى الأدوية المكروهة، حديث رقم (٣٨٧٣).

تداوَوْا بحرام(١).

السُّعــوط(٢)

خرّج البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: إن النبى ﷺ احتجم، وأعطى الحجام أجره، واستعط. لفظهما فيه سواء(٣).

وللبخارى من حديث [ابن عيينة قال: سمعتُ النبى ﷺ يقول:

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٨٧٤)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٥٧، كتاب الطب، باب (٢٧) النهى أن يتداوى بالخمر، حديث رقم (٣٥٠٠)، عن طارق بن سويد من غير شك، ولم يذكر أباه.

وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/ ٣٧، كتاب الطب، باب (١٢) فى الخمر يتداوى به والسُّكر، حديث رقم (٢٣٤٨١)، وفيه: «إنها داء وليست بدواء».

وحديث رقم (٢٣٤٨٢)، وفيه: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم».

وحديث رقم (٢٣٤٨٨) من حديث الزهرى عن عائشة، وفيه «من تداوى بالخمر فلا شفاه الله».

(٢) السُّعُوط، والنُّشوق والنشوع فى الأنف، سعطه الدواء يَسْعُطُهُ ويسْعُطهُ سَعْطًا، والضم أعلى، والصاد فى كل ذلك لغة عن اللحيانى. (لسان العرب): ٧/ ٣١٤.

(٣) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٢، كتاب الطب، باب (٩) السعوط، حديث رقم (٥٦٩١). قوله: «استَعَطَ» أى استعمل السعوط، وهو أن يستلقى على ظهره، ويجعل بين كتفيه ما يرفعهما لينحدر رأسه، ويقطر فى أنفه ماء أو دهن فيه دواء مفرد أو مركب، ليتمكن بذلك من الوصول إلى دماغه لاستخراج ما فيه من الداء بالعطاس. (فتح البارى)، وأخرجه مسلم فى السلام، حديث رقم (٧٦).

وأخرجه كل من أبى داود فى (السنن): ٤/ ٢٠٠، كتاب الطب - باب (٨) فى السعوط، حديث رقم (٣٨٦٧) مختصراً.

والترمذى فى (السنن): ٤/ ٤٣٠، كتاب الطب، باب (٩) ما جاء فى السعوط، حديث رقم (٢٠٤٧)، (٢٠٤٨) بسياقة أتم.

عليكم بهذا العود الهندى، فإن فيه سبعة أشفية: يُستَعط به العُذْرة، ويُلدُّ به من ذات الجنْب(١)، ودخلتُ على النبى ﷺ بابن لى لم يأكل الطعام، فبال عليه، فدعا بماء، فَرَشَّ عليه(٢).

وفى لفظ لهما: عن أم قيس قالت: دخلتُ بابن لى على النبى ﷺ، وقد أعلقت عنه من العذرة، فقال: [علام](٣) تَدْغَرْن أولادكن بهذا العِلاق؟ عليكنّ بهذا العود الهندى، فإن فيه سبعة أَشْفية، منها: ذات الجنب يُسْعَطُ من العذرة، ويلدّ من ذات الجنب. فسمعت الزهرى يقول: بين لنا اثنين، ولم يبين لنا خمسة، [قال على بن المدينى](٤): قلن لسفيان: فإن مَعْمراً يقول: أعلقْتُ عليه.. قال: لم يُحفظ، إنما قال: أعلقت عنه، حفظته من فى الزهرى(٤).

ووصف سفيان: الغلام يحنك بالأصبع، وأدخل سفيان فى حنكه، يعنى دفع حنكه بأصبعه، ولم يقل: أعلقوا عليه شيئًا. ذكره البخارى فى باب اللدود، ولم يذكر فيه دخولها عليه بالابن الذى لم يأكل الطعام. وقد ذكره

---

(١) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٣، كتاب الطب، باب (١٠) السعوط بالقُسْط الهندى والبحرى، حديث رقم (٥٦٩٢).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٦٩٣).

(٣) زيادة للسياق من البخارى.

(٤) زيادة للسياق من (الأصلين).

(فتح البارى): ١٠/ ٢٠٤ - ٢٠٥، كتاب الطب، باب (٢١) اللدود، حديث رقم (٥٧١٣)، وتمامه: «ووصف سفيان الغلام يحنك بالإصبع، وأدخل سفيان من حنكه إنما رفع حنكه بإصبعه، ولم يقُلْ أعلقوا عنه شيئًا.

وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب السلام، باب (٢٨) التداوى بالعود الهندى، وهو الكست، حديث رقم (٨٧).

واللُّدود: هو الدواء الذى يصب فى احد جانبى فم المريض.

في الذى قبله، والطريق واحدة، وكرره البخارى فى مواضع[١].

وأخرجه مسلم من طرق، فى بعضها: عليكن بهذا العود الهندى، يعنى الكست، يُريد: القُسط[٢]. ولأبى بكر بن أبى شيبة، من حديث الأعمش، عن أبى سفيان، عن جابر رضى الله عنه، قال: دخل النبى ﷺ على أم سلمة، وعندها صبى [يندر] منخراه دمًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: به العذرة، فقال: علام تَدْغُرْنَ أولادكن؟ إنما يكفى إحداكن أن تأخذ قسطًا هنديًا فتحه بماء سبع مرات، ثم توجره إياه، قال: ففعلوه، فبرأ[٣].

ذات الجَنْب[٤]

خرّج الترمذى من حديث معاذ بن هشام، قال: حدثنى أبى، عن قتاده، عن أبى عبد الله، عن زيد بن أرقم رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان ينعتُ الزيت والوَرْسَ من ذات الجَنْب [قال قتادة: يُلدُّه ويَلُدُّه من الجانب الذى

---

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٥١، كتاب السلام، باب (٢٨) التداوى بالعود الهندى، وهو الكست، حديث رقم (٢٢١٤) مختصراً، والحديث السابق سياقته اتم.

قال الإمام النووى: فمعنى تدغرن أولادكن أنها تغمز حلق الولد بإصبعها، فترفع ذلك الموضع وتكبسه.

وأما العلاق فيفتح العين، وهو مصدر اعلقت عنه، ومعناه ازلت عنه العلوق، وهى الآفة والداهية، والإعلاق هو معالجة عذرة الصبى، وهى وجع حلقه.

(٣) (المصنف): ٥/ ٣٢، كتاب الطب، باب (٤) ما رُخص فيه من الأدوية، حديث رقم (٢٣٤٢٧).

(٤) ذات الجنب اسم يقع على الشوصة، وعلى السل، وعلى كل مرض يضجعه على جنبه، ويختلف الدواء فيها، وتفصيله آخره هذا الباب.

يشتكيه][1] . قال أبو عيسى : هذا حديث [حسن][1] صحيح، وأبو عبد الله اسمه ميمون، هو شيخ بصرى[2].

ومن حديث شعبة، عن خالد الحذاء، أخبرنا ميمون أبو عبد الله قال: سمعت زيد بن أرقم قال: أمرنا سول لله ﷺ أن نتداوى من ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت[3]، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب

---

(١) زيادة للسياق من (سنن الترمذى).

(٢) (سنن الترمذى) : ٤ / ٣٥٥، كتاب الطب، باب (٢٨) ما جاء فى دواء ذات الجنب، حديث رقم (٢٠٧٨).

(٣) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٠٧٩)، وأخرجه النسائى فى (الكبرى)، فى الطب، وابن ماجة فى (السنن) : ٢ / ١١٤٨، كتاب الطب، باب (١٧) دواء ذات الجنب، حديث رقم (٣٤٦٧)، وحديث رقم (٣٤٦٨).

وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٤ / ٢٢٤-٢٢٥، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٤٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص) : صحيح، وحديث رقم (٧٤٤٤)، وقد سكت عنه الذهبى فى (التلخيص)، وحديث رقم (٧٤٤٥)، وقال عنه الذهبى فى (التلخيص) : أسنده معمر عن الزهرى، قلت : وميمون أبو عبد الله البصرى ضعيف

قال العلامة ابن القيم : وذات الجنب عند الأطباء نوعان : حقيقى وغير حقيقى . فالحقيقى : ورم حار يعرض فى نواحى الجنب فى الغشاء المستبطن للأضلاع .

وغير الحقيقى : ألمٌ يُشبهه يعرض فى نواحى الجنب عن رياح غليظة مؤذية، تحتقن بين الصِّفاقات، فَتُحدِثُ وجعًا قريبًا من وجع ذات الجنب الحقيقى، إلا أن الوجع فى هذا القسم ممدود، وفى الحقيقى ناخس.

قال صاحب (القانون) : قد يعرض فى ا لجنب، والصِّفاقات، والعضل التى فى الصدر، والأضلاع، ونواحيها أورام مؤذية جداً موجعة، تسمى شوصة وبِرساما، وذات الجنب.

وقد تكون أيضًا أوجاعًا فى هذه الأعضاء ليست من ورم، ولكن من رياح غليظة، فيظن أنها من هذه العلة، ولا تكون منها.

قال : واعلم أن كلَّ وجع فى الجنب قد يسمى ذات الجنب اشتقاقًا من مكان الألم، لأن معنى ذات الجنب : صاحبة الجنب، والغرض به هاهنا وجع الجنب، فإذا عرض فى الجنب ألم عن أى سبب كان نُسب إليه، وعليه حُمِلَ كلام بقراط فى قوله : إن أصحاب ذات الجنب ينتفعون بالحمام. =

صحيحٌ، [لا نعرفه إلا من حديث ميمون عن زيد بن أرقم . وقد روى زيد ابن أرقم عن ميمون غير واحد من هذا الحديث][1] وذات الجنب : السل .

* * *

= قيل : المراد به كل من به وجع جنب، أو وجع رئة من سوء مزاج، أو من أخلاط غليظة، أو لذاعة من غير ورم ولا حُمى .

ويلزم ذات الجنب الحقيقى خمسة أعراض : وهى الحمى والسعال، والوجع الناخس، وضيق النفس، والنبض المنشارى، [وهذا الوصف ينطبق على الوجع الصدرى، نتيجة التهابات الرئة، ويعالج الآن بالأدوية المضادة للميكروبات، مثل أقراص السلفا، وحقن البنسلين . قاله الدكتور الأزهرى] .

والعلاج الموجود في الحديث ليس هو لهذا القسم، لكن للقسم الثانى الكائن عن الريح الغليظة، فإن القسط البحرى – وهو العود الهندى على ما جاء مفسراً فى أحاديث أُخَر – صنف من القسط إذا دُقَّ ناعمًا، وخُلط بالزيت المسخن، ودلك به مكان الريح المذكور أو لعق، كان دواءً موافقًا لذلك، نافعًا له، محللاً لمادته مُذهبًا لها، مُقويًا للأعضاء الباطنة، مفتحًا للسُّدد، والعود المذكور فى منافعه كذلك .

قال المسبِّحى عيسى بن يحيى الجرجانى أبو سهل [طبيب حكيم، توفى سنة (٣٩٠) هـ وله من العمر (٤٠) سنة] : العود حار يابس، قابض يحبس البطن، ويقوى الأعضاء الباطنة، ويطرد الريح، ويفتح السُّدد، نافع من ذات الجنب، ويُذهب فضل الرطوبة، والعود المذكور جيد للدماغ .

قال : ويجوز أن ينفع القُسْط من ذات الجنب الحقيقية أيضًا إذا كان حدوثها عن مادة بلغمية، لا سيما فى وقت انحطاط العلة، والله تعالى أعلم . (زاد المعاد) : ٤ / ٨١– ٨٣، فصل فى هديه ﷺ فى علاج ذات الجنب مختصراً .

(١) زيادة للسياق من (سنن الترمذى) .

الكُحْل

خرّج أبو داود من حديث زهير قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: البسوا من ثيابكم البياض، فإنها خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم، وإن خير أكحالكم الأثمد، يجلو البصر، وينبت الشعر(1).

وخرَّجه قاسم بن أصبغ، وابن أيمن من حديث أبى عوانة، عن عبد الرحمن بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: خير أكحالكم الأثمد، فإنه يجلى البصر، وينبت الشعر.

وللترمذى من حديث عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن خير ما تداويتم به اللدود، والسّعوط، والحجامة، والمشى، وخير ما اكتحلتم به الأثمد، فإنه [يجلو] البصر، وينبت الشعر، وكان لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل بها عند النوم، ثلاثًا فى كل عين. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث عباد

---

(1) (سنن أبى داود): ٤/٢٠٩-٢١٠، كتاب الطب، باب (١٤) فى الأمر بالكحل، حديث رقم (٣٨٧٨)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/١١٥٦، كتاب الطب، باب (٢٥) الكل بالإثمد، حديث رقم (٣٤٩٥)، والإثمد هو الكحل الأسود، ويقال: إنه معرَّب، قال ابن البيطار فى (المنهاج): هو الكحل الأصفهانى، ويؤيده قول بعضهم: ومعادنه بالشرق، وفى (القاموس): حجر للكحل.

وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥/٣٦، كتاب الطب، باب (١٠) فى الإثمد، من أمر به عند النوم، حديث رقم (٢٣٤٧٥): «عليكم بالإثمد عند النوم، فإنه يُشدّ البصر، وينبت الشعر».

وحديث رقم (٢٣٤٧٦): «خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر وينبت الشعر».

ابن منصور(١).

وخرَّجه ابن أيمن بهذا السند، ولفظه: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: نعم الكحل الأثمد، [يجلو] البصر، وينبت الشعر. قال: [وكانت] لرسول الله ﷺ مكحلة، فإذا أراد أن ينام، كحل في كل عين ثلاثًا(٢).

قلت: وقد ذكر عباد بن منصور هذا، الحافظ أبو أحمد، عبدُ الله بن عديّ في كتابه (الكامل)، فيما لخصتُه منه، فقال: عباد بن منصور الناجي، أبو سلمة، بصرى، قاضي البصرة، قال ابن المديني: قلت ليحيى ابن معين: فعبّاد بن منصور، كان تغيّر؟ قال: لا أدرى، إلاّ أنّا حين رأيناه كان لا يحفظ، ولم أر يحيى يرضاه. وقال معاذ بن معاذ: كان قدريًا(٣). وقال عباد بن معين: عباد بن منصور، وعباد بن كثير(٤)، وعباد بن راشد(١)، ليس حديثهم بشئ، ولكنه يكتب. ومرة قال: عباد بن منصور

---

(٢) (سنن الترمذى): ٤/٢٠٦، كتاب اللباس، باب (٢٣) في الاكتحال حديث رقم (١٧٥٧) بسياقة أخرى مختصرة.

وأخرجه الترمذى في (الشمائل): ٦٤، باب (٧) ما جاء في كحل رسول الله ﷺ عن جابر بن عبد الله، حديث رقم (٥٢): «عليكم بالإثمد عند النوم..»، وعن ابن عباس، حديث رقم (٥٣): «إن خير أكحالكم الإثمد..»، وكلاهما حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة في (المصنف): ٥/٢٣٧ كتاب الطب، باب (١١) كم يكتحل في كل عين، حديث رقم (٢٣٤٧٧) عن أنس: «أنه كان يكتحل ثلاثة في كل عين»، وحديث رقم (٢٣٤٨٠)، عن ابن عباس قال: «كان للنبى ﷺ مكحلة يكتحل منها ثلاثًا في كل عين».

(٣) (الكامل لابن عدىّ): ٤/ ٣٣٨-٣٤٠، ترجمة رقم (٢٠٠ / ١١٦٧)، لينه بعضهم، وضعّفه بعضهم، وقال بعضهم: لا بأس به.

(٤) (المرجع السابق): ترجمة رقم (١٩٨/ ١١٦٥) عباد بن كثير الثقفى البصرى، ضعفه ابن معين، وقال: كان صالحًا، وقال النسائى: متروك، وكذا قال غيرهما من شيوخ النقاد، وترجمة رقم (١٩٩/ ١١٦٦) عباد بن كثير قيس الرملى، وثقة ابن معين، وابن أبى شيبة، وقال البخارى: فيه نظر، وضعفه أبو زرعة، وقال النسائى: ليس بثقة.

(٥) (المرجع السابق): ترجمة رقم (٢٠١ / ١١٦٨)، عباد بن راشد التميمى، مولاهم البصرى، البزاز، ضعفوه، وقال الجوزجانى عن أحمد: شيخ صدوق ثقة.

ضعيف الحديث، وقال النسائى : ضعيف . قال ابن عدىّ: وهو فى جملة من يكتب حديثه . انتهى .

[عبّاد هذا، ولى قضاء البصرة، أيام خرج إبراهيم بن عبد الله بن حسن ابن حسن][(١)]، وقد حدث عن القاسم بن محمد، وعكرمة، وأبى رجاء العطاردى، وعطاء، وأيوب، وجماعة، ويحيى القطّان، وأبو داود، وروح بن عبادة، وخلق، وقال يحيى القطان : ثقة، لا ينبغى أن يترك حديثه لرأى أخطأ فيه – يعنى القدر – وقال أبو داود : ولى قضاء البصرة خمس مرات، وليس بذاك، وقالوا : تغيرّ، مات سنة اثنتين ومائة .

* * *

---

(١) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

الحبــة الســوداء

خرّج البخارى[١] ومسلم[٢]، من حـديث الليث، عن عـقـيل، عن ابن شهاب قال: أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن، وسعيد بن المسيب، أن أبا هريرة رضى الله عنه أخبرهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: [إن] فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام، قال ابن شهاب: والسام: الموت، والحبة السوداء: الشُّونيز. لم يقل مسلم: قال ابن شهاب.

وخرَّجه النسائى ولفظه: عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام، والسام: الموت[٣].

وخرَّج البخارى من حديث إسرائيل، عن منصور، عن خالد بن سعيد قال: خرجنا ومعنا غالب بن أبحر، فمرض فى الطريق، فقدمنا المدينة وهو مريض، فعاده ابن أبى عتيق، فقال لنا: عليكم بهذه الحبيبة [السوداء][٤]، فخذو منها خمساً أو سبعاً، فاسحقوها، ثم قطروها في أنفه بقطرات زيت فى هذا الجانب وفى هذا الجانب، فإن عائشة رضى الله عنها حدثتنى أنها سمعت النبى ﷺ يقول: إن هذه الحبة السوداء، شفاء من كل داء، إلا من السام، قلتُ: وما السام؟ قال: الموت[٥].

(١) (فتح البارى): ١٠/ ١٧٦، كتاب الطب، باب (٧) الحبة السوداء، حديث رقم (٥٦٨٨).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٥٢، كتاب السلام، باب (٢٩) التداوى بالحبة السوداء، حديث رقم (٢٢٥١).

(٣) لم أجده فى (المجتبى)، ولعله فى (الكبرى).

(٤) فى (الأصلين): «السويداء» على التصغير.

(٥) (فتح البارى): ١٠/ ١٧٦، كتاب الطب، باب (٧) الحبة السوداء، حديث رقم (٥٦٨٧).

قال العلامة ابن القيم: والشونيز حار يابس فى الثالثة، مُذهب للنفخ، مخرج لحب القرع، نافع من البرص، وحمى الرِّبْع [هى التى تنوب كل رابع يوم]، والبلغمية، مفتح للسدد، ومحلل للرياح، =

....

= مجفف لبلة المعدة ورطوبتها .

وإن دُقَّ وعُجن بالعسل، وشُرب بالماء الحار اذاب الحصاة التى تكون فى الكليتين والمثانة، ويدرّ البول، والحيض ، واللبن، إذا أديم . شربه أياماً .

وإذا سُخِّن بالخل، وطلى على البطن، قتل حب القرع، فإن عُجن بماء الحنظل الرطب، أو المطبوخ، كان فعله فى إخراج الدود أقوى، ويجلو ويقطع، ويحلل، ويشفى من الزكام البارد إذا دُقَّ وصُيِّرَ فى خرقه، واشْتُمَّ دائماً، أذهبه .

ودُهنه نافع لداء الحية، ومن الثآليل والخيلان [وهى الشامات والبثور السوداء ينبت حولها الشعر غالبًا، ويغلب على شامة الخد، وقد ورد فى صفة المسيح عليه السلام أنه كان كثير خيلان الوجه] .

وإذا شرب منه مثقالٌ بماء نفع من البَهَر وضيقِ النَّفَسِ، والضِّماد به ينفع من الصداع البارد، وإذا نُقَع منه سبع حبات عدداً فى لبن امراة، وسُعِطَ به صاحب اليرقان، نفعه نفعًا بليغًا .

وإذا طُبِخَ بخلٍ، وتمضمض به، نفع من وجع الأسنان عن برد، وإذا استعط به مسحوقًا، قلع البثور والجرب المتقرح، وحلل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة، وينفع من اللقوة إذا تُسعِّطَ بدهنه .

وإذا شُرب منه مقدار نصف مثقال إلى مثقال، نفع من لسع الرُّتيلاء [انواع من الهوام، كالذباب والعنكبوت، والجمع روتيلاوات]، وإن سُحق ناعمًا وخُلط بدُهن الحبة الخضراء، وقطر منه فى الأذن ثلاث قطرات نفع من البرد العارض فيها والريح والسُّدد .

وإن قُلى، ثم دُقَّ ناعمًا، ثم نُقع فى زيت، وقطر فى الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفع من الزكام العارض معه عطاس كثير .

وإذا أحرق وخُلِط بشمع مذاب بدُهْن السوسن، أودُهْن الحناء، وطُلى به القروح الخارجة من الساقين بعد غسلها بالخل، نفعها وازال القروح .

وإذا سُحق بخل، وطُلِى به البرص والبهق الأسود، والحَزَازَ الغليظ، نفعها وأبرأها . [الحزاز - بفتح الحاء -: داء يظهر فى الجسد فينقشر ويتسع، وهو أيضاً القشرة التى تتساقط من الرأس كالنخالة] .

وإذا سُحق ناعمًا، واستَفَّ منه كل يوم درهمين بماء بارد، مَنْ عضَّه كَلْبٌ كلِبٌ قبل ان يفرغ من الماء، نفعه نفعًا بليغًا، وأمن على نفسه من الهلاك .

وإذا استُعِط بدهنه، نفع من الفالج والكُزاز، وقطع موادهما، وإذا دخّن به، طرد الهوام، [الكُزاز : داء من شدة البرد، أو الرعدة منها] .

وإذا أُذيب الانزروت بماء، ولُطِخَ على داخل الحلقة، ثم ذر عليها الشونيز، كان من الذروات الجيدة العجيبة النفع من البواسير . (زاد المعاد) : ٤ / ٢٩٨ - ٣٠٠ .

الســـنا

خرّج الترمذى من حديث عبد الحميد بن جعفر قال: حدثنى عتبة بن عبد الله، عن أسماء بنت عميس [رضى الله عنها قالت:] إن رسول الله ﷺ سألها: بم تستمشين؟ قالت: بالشبّرم، قال: حارٌ، حارٌ، وقال: ثم استمشيتُ بالسنا، فقال النبى ﷺ: لو أن شيئًا كان فيه شفاءٌ من الموت لكان فى السنا. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وخرَّج الحاكم من حديث ابن جريج، عن سعيد بن عقبة الزرقى، عن رعة بن عبد الله بن زياد، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حدّثه عن أسماء بنت عميس، أن رسول الله ﷺ دخل عليها ذات يوم عندها شبرم تدقه، فقال: ما تصنعين بهذا؟ قالت: نسقيه فلانًا؟ قالت: يشربه فلان، فقال: لو أن شيئًا يدفع الموت، أو ينفع الموت، نفع السنا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وله شاهد من حديث البصريين، عن أسماء بنت عميس [رضى الله عنها]، فذكر حديث عبد الحميد بن جعفر.

وللنَّسائىّ من حديث محمد بن عمارة، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث فيهن شفاء من كل داء إلا السام: [السنا] والسنوت، قال محمد: ونسيت الثالثة، قالوا: يا رسول الله! هذا السَّنَا قد عرفناه، فما السنوت؟ قال: لو شاء الله لعرفكوه. والسنوت[1]: الرُّب، وقيل: العسل، وقيل: الكمون

---

(١) قال العلاَّمة ابن القيم: وفيه سبعة أقوال، أحدهما: أنه العسل، الثانى: أنه رُبُّ عُكَّةِ السمن يخرج =

يمانيه، وقيل: هوِ نبت شبيه بالكمون، وقيل: الرَّازيانج، وقيل: الشُّبَت[1]، وقوله:

هم السمّن بالسّنوت لا السَّمن فيهمُ
وهم يسقون جارهم أن يُقَرَّدا

فسّره يعقوب بأنه الكمون، وفسّره ابن الأعرابى بأنه نبت شبيه بالكمون، والسّنوت: لغة فيه. ذكر ذلك ابن سيده[2].

* * *

= خططًا سوداء على السمن، الثالث: أنه حبٌّ يشبه الكمون، وليس بكمون، الرابع: الكمون الكرمانى، الخامس انه الشُّبَتُ، السادس: أنه التَّمْر، السابع: أنه الرَّازيانج. (زاد المعاد): ٤ / ٣٢٠.

(١) الشُّبتُ: نبات من فصيلة الخيميات يشبه الشمر، وهو من التوابل.

(٢) راجع التعليق السابق والذى قبله.

التَّلْبِينَة[1] والحِسَاء

خرّج البخارى ومسلم، من حديث عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صُنع ثريد، فَصُبَّتِ التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: التلبينة مجمّة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحُزن. ذكره البخارى فى كتاب الأطعمة[2]، وفى الطب[3]، ولفظه: كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن التلبينة تجمُّ فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن.

---

(١) التَّلْبينة – بفتح المثناه، وسكون اللام، وكسر الموحدة، بعدها تحتانية ساكنة ثم نون–: طعام يتخذ من دقيق أو نخالة وربما جُعل فيها عسل، سميت بذلك لشبهها باللبن فى البياض والرقة، والنافع منه ما كان رقيقًا نضيجًا لا غليظًا نيئًا. (فتح البارى).

(٢) (فتح البارى): ٩/ ٣٨٧، كتاب الأطعمة، باب (٢٤) التلبينة، حديث رقم (٥٤١٧).

قوله: «مجمة» بفتح الجيم والميم الثقيلة أى مكان الاستراحة، ورويت بضم الميم، أى مريحة. (المرجع السابق).

(٣) (فتح البارى): ١٠/ ١٧٩ – ١٨٠، كتاب الطب، باب (٨) التلبينة للمريض، حديث رقم (٥٦٨٩)، وحديث رقم (٥٦٩٠)، من حديث على بن مسهر، عن هشام عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تأمرنا بالتلبينة وتقول: هو البغيض النافع.

والبغيض: بوزن عظيم، من البُغض، أى يبغضه المريض مع كونه ينفعه كسائر الأدوية.

قال الموفق البغدادى: إن شئت معرفة منافع التلبينة، فاعرف منافع ماء الشعير، ولاسيما إذا كان نخالة، فإنه يجلو، وينفذ بسرعة، ويغذى غذاءً لطيفًا، وإذا شُرب حارًا كان أجلى وأقوى نفوذًا، وانمى للحرارة الغريزية.

=

وخرّج الترمذى من حديث محمد بن السائب بن بركة، عن أمه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخَذَ أهلَهُ الوعَكُ، أمر بالحساء فصُنع، ثم أسرهم فحسوْا منه، وكان يقول: إنه ليرتق[١] فؤاد المريض، ويسرو[٢] عن فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها[٣]. هذا لفظ الترمذى.

وقال النسائى: وفؤاد المريض، وقال: كما يسرو أحدكم الوسخ بالماء عن وجهه[٤]. قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. وقد رواه ابن المبارك عن يونس، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة [رضى الله عنها]، عن النبى ﷺ[٥].

= قال: والمراد بالفؤاد فى الحديث رأس المعدة، فإن فؤاد الحزين يضعف باستيلاء اليبس على أعضائه وعلى معدته خاصة لتقليل الغذاء، والحساء يرطبها ويغذيها ويقويها، ويفعل مثل ذلك بفؤاء المريض.

لكن المريض كثيراً ما يجتمع فى معدته خلط مرارى، أو بلغمى، أو صديدى، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة.

قال: وسماه البغيض النافع، لأن المريض يعافه، وهو نافع له، قال: ولا شئ أنفع من الحساء لمن يغلب عليه فى غذائه الشعير، وأما من يغلب على غذائه الحنطة، فالأولى به فى مرضه حساء الشعير. (فتح البارى).

(١) يرتق: يشد ويرخى، والمراد هنا الشد، لأن الحزن يرخى القلب.

(٢) يسرو: بمعنى يكشف ويجلو.

(٣) (سنن الترمذى): ٤/٣٣٦، كتاب الطب، باب (٣) ما جاء ما يُطْعَم المريض، حديث رقم (٢٠٣٩).

(٤) (النسائى فى الكبرى): الطب، باب الدواء بالتلبينة.

(٥) ثم قال: حدثنا بذلك الحسين بن محمد، حدثنا به أبو إسحاق الطالقانى عن ابن المبارك.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٤٠، كتاب الطب، باب (٥) التلبينة، حديث رقم (٣٤٤٥)، وفيه: «إنه لَيَرْتُو فؤاد الحزين، ويَسْرُو عن فؤاد السقيم»، وحديث رقم (٣٤٤٦) من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال النبى ﷺ: «عليكم بالبغيض النافع التلبينة» يعنى الحساء، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار، حتى ينتهى أحد طرفيه، يعنى: يبرأ أو يموت.

....

= وأخرجه ابن أبى شيبه فى (المصنف) ٥ /٣٨، كتاب الطب، باب (١٣) فى التلبينة، حديث رقم (٢٣٤٩١).

وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٤ /٢٢٧، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٥٤)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخليص) : هكذا رواه المعافى بن سليمان عنه، ورواه زيد بن الحباب، عن فليح، عن أم مبشر بدل أم المنذر، قال : صحيح .

وحديث رقم (٧٤٥٥)، وقال فى (التلخيص) : أيمن هو ابن نايله، صحيح .

وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب السلام، باب (٣٠) التلبينة مجمة لفؤاد المريض، حديث رقم (٢٢١٦).

قال العلامة ابن القيم : التلبين : هو الحساء الرقيق الذى هو فى قوام اللبن – ومن اشتق اسمه، قال الهروى : سميت تلبينة لشبهها باللبن، لبياضها ورقتها، وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيج ،لا الغليظ النيئ .

وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة، فاعرف فضل ماء الشعير، بل هى ماءُ الشعير لهم، فإنها حِساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحًا، والتلبينة تُطبخ منه مطحونًا، وهى أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن .

وقد تقدم أن للعادات تأثيراً فى الانتفاع بالأدوية والأغذية، وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونًا لا صحاحًا، وهو أكثر تغذية، وأقوى فعلاً، وأعظم جلاءً، وإنما اتخذه أطباء المدن منه صحاحًا ليكون أرق وألطف، فلا يثقل على طبيعة المريض، وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها، وثقل ماء الشعير المطحون عليها .

والمقصود : أن ماء الشعير مطبوخًا صحاحًا ينفذ سريعًا، ويجلو جلاء ظاهراً، ويغذى غذاءً لطيفًا، وإذا شُرب حاراً كان جلاؤه أقوى، ونفوذه أسرع، وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر، وتلميسه لسطوح المعدة أوفق .

وقوله ﷺ : « فيها مجُمّة لفؤاد المريض »، يروى بوجهين : بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم، والأول أشهر، ومعناه : أنها مريحة له، أى تريحه وتسكنه من الإجمام وهو الراحة .

وقوله : « تذهب ببعض الحزن » ،هذا – والله تعالى أعلم – لأن الغم والحزن يبرّدان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية، لميل الروح الحامل لها إلى جهة القلب الذى هو منشؤها، وهذا الحساء يقوى الحرارة الغريزية بزيادته فى مادتها، فتزيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن .

وقد يقال – وهو أقرب – : إنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرِحة، فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية، والله تعالى أعلم . . (زاد المعاد) : ٤ / ١٢٠ – ١٢١ .

إغتسال المريض

خرّج البخارى من حديث معمر ويونس، قال الزهرى: أخبرنى عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عائشة رضى الله عنها قالت: لما ثقل النبى ﷺ واشتد وجعه، استأذن أزواجه فى أن يُمرّض فى بيتى، فأَذِنَّ له، فخرج بين رجلين تخط رجلاه فى الأرض، بين عباس وآخر، قال عبيد الله: فأخبرتُ ابن عباس بما قالت عائشة [رضى الله عنها] فقال: هل تدرى من الرجل الآخر الذى لم تُسمّ عائشة؟ قلت: لا، قال: هو على بن أبى طالب [رضى الله عنه]، قالت عائشة [رضى الله عنها]: فقال النبى ﷺ بعد ما دخل بيتها واشتدّ وجعه: هَريقوا علىّ من سبع قرب لم تُحلل أوكيتهنّ، لعلى أعْهد إلى الناس، قالت: فأجلسناه فى مخضب لحفصة، طفقنا نصُبّ عليه من تلك القرب، حتى جعل يُشير إلينا أن قد فعلتُنّ، قالت: وخرج إلي الناس، فصلى بهم وخطبهم.

ذكره البخارى فى الطب[١]، وفى آخر كتاب المغازى[٢]، وقال فى آخره: حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن.. الحديث بمثله. وذكره فى كتاب الطهارة[٣] وانتهى إلى قوله: ثم خرج إلى الناس وقال: حتى طفق يشير إلينا

---

(١) (المرجع السابق): ٨/١٧٨، كتاب المغازى، باب (٨٤) مرض النبى ﷺ ووفاته، حديث رقم (٤٤٤٢).

(٢) (المرجع السابق): ١/ ٤٠٠، كتاب الوضوء، باب (٤٥) الغُسل والوُضوء فى المخضب والقدح والحجارة، حديث رقم (١٩٨).

قوله: «لما ثقل ﷺ» أى فى وجعه. وفى رواية معمر عن الزهرى أن ذلك كان فى بيت ميمونة رضى الله عنها.

واختلفوا فى الرجلين فقيل: «على والعباس»، وقيل: «أسامة والفضل»، وقيل: «الفضل =

أن قد فعلتن، وخرّجه مسلم(١)، وانتهى منه إلى قوله: هو عليٌّ.

= وثوبان »، وقيل « بريرة ونُوبة »، وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن خروجه تعدد، فيتعدد من اتكأ عليه، وهو أولى من قول من قال: تناوبوا فى صلاة واحدة.

قوله: « من سبع قرب »، قيل: الحكمة من هذا العدد أن له خاصيته فى دفع ضرر السم والسحر، وتمسَّك به بعض من أنكر نجاسة سُؤر الكلب، وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعًا، إنما هو لدفع السمية التى فى ريقة.

وقد ثبت حديث « من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر »، وللنسائى فى قراءة الفاتحة على المصاب سبع مرات، وسنده صحيح، وفى صحيح مسلم: القول لمن به وجع: « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات »، وفى النسائى: « من قال عند مريض لم يحضر أجله: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات » (فتح البارى) مختصراً.

(١) (مسلم بشرح النووى): ٤ / ٣٧٩، كتاب الصلاة، باب (٢١) استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلى بالناس، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه، ونسخ القعود خلف القاعد فى حق من قدر على القيام، وحديث رقم (٩٠)، وقال فى آخره: قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتنى عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ قال: هات، فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئًا، غير أنه قال: أسَمَّتْ لك الرجل الذى كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو على. وتكرر ذلك فى آخر الحديث رقم (٩١)، (٩٢)، باختلاف يسير فى اللفظ.

وأخرجه البيهقى فى (دلائل النبوة): ٧/ ١٧٣ – ١٧٤، باب ما جاء فى استئذانه ﷺ أزواجه فى أن يُمَرَّض فى بيت عائشة رضى الله عنها، ثم ما جاء فى اغتساله وخروجه إلى الناس، وصلاته بهم، وخطبته إياهم ونعيه نفسه إليهم، وإشارته إلى أمَنِّ الناس عليه فى صُحبته، وفى ص ١٨٩ – ١٩١، باب ما جاء فى آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ بالناس، من أولها إلى آخرها.

وتفسير موقف السيدة عائشة رضى الله عنها وتشددها فى عدم ذكر الرجل الآخر، وهو الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه، يكمن فيما نقله الدكتور عبد المعطى قلعجى محقق (دلائل النبوة للبيهقى)، حيث نقل من كتاب (عائشة والسياسة) للأستاذ سعيد الأفغانى [ص ٧٦ – ٨٢] مختصراً:

« لنرجع ثلاثين سنة قبل أن بويع لعلى بالخلافة، فسنجد ثمة نقطة التحول التى فرضت على عائشة اتجاهها الذى اتجهته مع على رضى الله عنه ولم تستطع الإفلات منه، ولا من عاطفتها العنيفة التى لم تخفف تتابع الأيام والسنين من حدتها، فلنمعن فى هذه الأمور التاليات:

١ – لم تجتمع أزواج النبى ﷺ على شئ اجتماعهن على الغيرة الشديدة من السيدة عائشة رضى الله عنها، لما خصها به النبى ﷺ من محبة، إذ حلَّتْ من قلبه المنزلة التى لا تُسامى، والغيرة بين =

وخرَّجه النسائى من طريق معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة [رضى الله عنها]، أن النبى ﷺ قال فى وجعه الذى قُبض فيه: صُبّوا علىّ سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لَعَلِّى أعهد إلى الناس، فأجلسناه فى مخضب لحفصة، فمازلنا نصب عليه، حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتُنّ. وخرّجه من طريق سويد بن نصر قال: أنبأنا عبد الله بن المبارك، عن معمر ويونس، ... كما تقدم أولاً(١).

= الضرائر أمر فطرى مألوف، قلَّ أن تتنزه عنه امرأة، وكان علىّ وزوجه السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، يحاولان حمله ﷺ على التخفيف من حبه لعائشة، ويسفران لبقية أزواجه بما يرضيهن، ويغضب عائشة، واظن ان مثل هذه السفارة مما لا تغفره أنثى البتة.

٢ – موقف على من عائشة فى حادث الإفك.

٣ – إشارات عارضة استخرجتُها من مواطنها، لانها عظيمة الدلالة على رأى عائشة رضى الله عنها فى علىٍّ رضى الله عنه، وعاطفتها نحوه.

الأولى: فقد رواها عطاء بن يسار، قال: جاء رجل فوقع فى علىّ وعمار رضى الله عنهما عند عائشة فقالت: اما علىّ فلستُ قائلة لك فيه شيئًا، وأما عمار رضى الله عنه فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يخير بين امرين إلا اختار أرشدهما. [أخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٧/ ١٦٣، حديث رقم (٢٤٢٩٩)].

الثانية: نَبَّه إليها داهية بنى هاشم: عبد الله بن عباس رضى الله عنه، روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «لما اشتد بالرسول وجعه دعا نساءه فاستأذنهن ان يُمرَّض فى بيتى. فأذَنَّ له، فخرج رسول الله ﷺ بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر تخط قدماه الأرض، عاصبًا رأسه حتى دخل بيتى».

قال راوى الحديث : فحدَّثْتُ بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال: هل تدرى من الرجل الآخر؟ قلت: لا، قال: على بن أبى طالب؛ ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير وهى تستطيع.

حتى بعد انقضاء حرب الجمل، وانتهاء الأمر بينهما على خير وتبادل ثناء، لم يزل ما بنفسها نحوه، فقد ذكروا انه لما انتهى إلى عائشة قتل علىّ، قالت متمثلة:

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قَرَّ عينًا بالإياب المسافرُ

(١) (سنن النسائى): ٤/ ٤٣٥ – ٤٣٦، كتاب الإمامة، باب (٤٠) الائتمام بالإمام يصلى قاعداً، حديث رقم (٨٣٣) بسياقة أخرى، ولعلّ السياقة التى أوردها المقريزى من (الكبرى).

وللبخارى من حديث مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ قال: الحمى من فيح جهنم، فأطفئوها بالماء. ذكره فى كتاب الطب[١]، وخرّجه مسلم[٢]، وخرّجا من طريق يحيى بن سعيد، عن عبيد الله قال: أخبرنى نافع، عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء[٣]. وفى لفظ لمسلم: إن شدة الحمى من فيح جهنم،فأبردوها بالماء[٤].

ولهما من حديث عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن أبيه، عن [عبد الله بن رفاعة قال:] أخبرنى رافع بن خديج قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: الحمى من فيح جهنم، فأبردوها عنكم بالماء[٥]. ذكره البخارى فى كتاب بدء الخلق[٦]، وخرّجه النسائى أيضًا[٧].

وللترمذى من حديث روح بن عبادة قال: أخبرنا مرزوق أبو عبد الله الشامى، أخبرنا سعيد - رجل من أهل الشام - أخبرنا ثوبان، عن النبى ﷺ قال: إذا أصاب أحدكم الحمى، فإن الحمى قطعة من النار، فليطفئها

---

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٢١٤، كتاب الطب، باب (٢٨) الحمى من فيح جهنم، حديث رقم (٥٧٢٣).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٤٧، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء دواء واستحباب التداوى، حديث رقم (٧٩) عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما، حديث رقم (٨٠) عن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما.

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٨).

(٤) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى الحديث السابق (بدون رقم)، وأخرجه البخارى فى كتاب الطب، باب (٢٨) الحمى من فيح جهنم، حديث رقم (٥٧٢٥).

(٥) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٤٩، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء دواء واستحباب التداوى، حديث رقم (٨٤) وفيه: «من فور جهنم».

(٦) (فتح البارى): ٦/ ٤٠٦ - ٤٠٧، كتاب بدء الخلق، باب (١٠) صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم (٣٢٦٢)، (٣٢٦٣)، (٣٢٦٤)، من طرق وبسياقات مختلفة.

(٧) فى الطب من (الكبرى).

عنه بالماء، فليستنقع نهراً جاراً، ليستقبل جَرْيهُ الماء، فيقول: بسم الله، اللهم اشف عبْدك ،وصدّقْ رسولك، بعد صلاة الصبح، قبل طلوع الشمس، فليغتمس فه ثلاث غمسات، ثلاثة أيام، فإن لم يبرأ فى ثلاث فخمس، فإن لم يبرأ فى خمس فسبع، فإن لم يبرأ فى سبع فتسع، فإنها لا تكاد تجاوز تسعًا بإذن الله. قال أبو عيسى هذا حديث غريب(١).

وللحاكم من حديث حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس [رضى الله عنه] أن النبى ﷺ قال: إذا حُمَّ أحدكم فليشن الماء البارد ثلاث ليال [من السحر] قال: هذا حديث صحيح(٢).

* * *

---

(١) (سنن الترمذى): ٤ / ٣٥٧ - ٣٥٨، كتاب الطب، باب (٣٣) بدون ترجمة، حديث رقم (٢٠٨٤).

(٢) (المستدرك): ٤ / ٢٢٣، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٣٨)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق، منه، وقال فى آخره: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وإنما اتفقا على الأسانيد فى أن الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء. وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم.

إجتناب المجذوم[1]

خرّج البخارى من حديث عَفَّان قال: [حدثنى سَلِيم بن حَيَّان]، حدثنى سعيد بن ميناء [قال:] سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: لا عدوى، ولا طِيَرَةَ، ولا هامَةَ، ولا صَفَر، وفِرَّ من المجذوم كما تفِرُّ من الأسد[2].

---

(١) الجُذام – بضم الجيم وتخفيف المعجمة –: هو علة رديئة، تحدث من انتشار المرة السوداء فى البدن كله، فتفسد مزاج الأعضاء، وربما أفسد فى آخره إيصالها حتى يتآكل. قال ابن سيده: سمى بذلك لتَجَذُّم الأصابع وتقطعها.

(٢) (فتح البارى): ١٠ / ١٩٥، كتاب الطب، باب (١٩) الجُذام، حديث رقم (٥٧٠٧)، و« عفان » هو ابن مسلم الصفَّار، وهو من شيوخ البخارى، لكن أكثر ما يخرّج عنه بواسطة، وهو من المعلقات التى لم يصلها فى موضع آخر، وقد جزم أبو نعيم أنه أخرجه عنه بلا رواية، وعلى طريقة ابن الصلاح يكون موصولاً، وقد وصله أبو نعيم من طريق أبى داود الطيالسى، وأبى قتيبة مسلم بن قتيبة، كلاهما عن سليم بن حيان، شيخ عفان فيه.

وأخرجه أيضاً من طريق عمرو بن مرزوق، عن سليم، لكن موقوفًا، ولم يستخرجه الإسماعيلى، وقد وصله ابن خُزَيمة أيضاً.

قوله: « وفر من المجذوم كما تفر من الأسد »، لم أقف عليه من حديث أبى هريرة إلا من هذا الوجه، ومن وجه آخر عند أبى نعيم فى الطب، لكنه معلول. وأخرج ابن خزيمة فى (كتاب التوكل) له شاهدٌ من حديث عائشة، ولفظه: « لا عدوى، وإذا رأيت المجذوم ففر منه كما تفر من الأسد ».

وأخرج مسلم من حديث عمرو بن الشريد الثقفى عن أبيه، قال: « كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: إنا قد بايعناك فارجع »، حديث رقم (٢٢٣١).

قال عياض: اختلفت الآثار فى المجذوم، فجاء ما تقدم عن جابر « أن النبى ﷺ أكل مع مجذوم وقال: ثقة بالله وتوكلاً عليه ».

قال: فذهب عمر رضى الله عنه وجماعة من السلف إلى الأكل معه، ورأوا أن الأمر باجتنابه منسوخ. وممن قال بذلك: عيسى بن دينار من المالكية، قال: والصحيح الذى عليه الأكثر، ويتعين المصير إليه أن لا نسخ، بل يجب الجمع بين الحديثين، وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط، والأكل معه على بيان الجواز. =

....

= هكذا اقتصر القاضي ومن تبعه على حكاية هذين القولين، وحكى غيره قولاً ثالثًا وهو الترجيح، وقد سلكه فريقان:

أحدهما: سَلَكَ ترجيح الأخبار الدالة على نفي العدوى وتزييف الأخبار الدالة على عكس ذلك، مثل حديث الباب، فأعلوه بالشذوذ وبأن عائشة أنكرت ذلك، فأخرج الطبري عنها «أن امرأة سألتها عنه فقالت: ما قال ذلك، ولكنه قال: لا عدوى، وقال: فمن أعدى الأول؟ قالت: وكان لي مولى به هذا الداء، فكان يأكل في صحافي، ويشرب في أقداحي، وينام على فراشي»، وبأن أبا هريرة تردد في هذا الحكم كما سيأتي بيانه، فيؤخذ الحكم من رواية غيره، وبأن الأخبار الواردة من رواية غيره في نفي العدوى كثيرة شهيرة، بخلاف الأخبار المرخصة في ذلك، ومثل حديث «لا تديموا النظر إلى المجذومين»، وقد أخرجه ابن ماجة وسنده ضعيف، ومثل حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه: «كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمحين»، أخرجه أبو نعيم في الطب، وسنده واهٍ، ومثل ما أخرجه الطبري من طريق معمر عن الزهري: «أن عمر رضي الله عنه قال لمعيقيب: اجلس مني قيد رمح»، ومن طريق خارجة بن زيد، كان عمر رضي الله عنه يقول نحوه، وهما أثران منقطعان، وأما حديث الشريد الذي أخرجه مسلم فليس صريحًا في أن ذلك بسبب الجذام، والجواب عن ذلك: أن طريق الترجيح لا يُصار إليها إلا مع تعذر الجمع، وهو ممكن، فهو أولى.

الفريق الثاني: سلكوا في الترجيح عكس ذلك المسلك، فردوا حديث لا عدوى بأن أبا هريرة رجع عنه، إما لشكه فيه، وإما لثبوت عكسه عنده، قالوا: والأخبار الدالة على الاجتناب أكثر مخارج، وأكثر طُرقًا، فالمصير إليها أولى. قالوا: وأما حديث جابر: «أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال: كل ثقة بالله وتوكلاً عليه» ففيه نظر، وقد أخرجه الترمذي، وبيَّن الاختلاف فيه على راويه، ورجح وقفه على عمر رضي الله عنه، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه ﷺ أكل معه، وإنما فيه أنه وضع يده في القصعة، والجواب أن طريق الجمع أولى كما تقدم، وأيضًا فحديث لا عدوى ثبت من غير طريق أبي هريرة فصح عن عائشة، وابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وجابر، وغيرهم، فلامعنى لكونه معلولاً، والله أعلم.

وفي طريق الجمع مسالك أُخَر:

أحدها: نَفْي العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم، لأنه إذا رأى الصحيح البدن، السليم من الآفة، تعظم مصيبته، وتزداد حسرته، ونحوه حديث: «لا تديموا النظر إلى المجذومين»، فإنه محمول على هذا المعنى.

ثانيها: حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين، فحيث جاء «لا عدوى» كان المخاطب بذلك من قَوِيَ يقينُه وصَحَّ توكله، بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما يستطيع أن يدفع التَّطَيّر الذي يقع في نفس كل أحد، لكن القوي اليقين لا يتأثر به، وعلى هذا يُحمل حديث جابر في أكل المجذوم من القصعة.

....

= **ثالثها**: قال القاضي أبو بكر الباقلاني: إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفى العدوى، قال: فيكون معنى قوله: «لا عدوى» أي إلا من الجذام والبرص والجرب مثلاً، قال: فكأنه قال: لا يعدى شيء شيئًا إلا ما تقدم تبييني له أن فيه العدوى، وقد حكى ذلك ابن بطال.

رابعها: أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء، بل هو لأمر طبيعي، وهو انتقال الداء من جسد لجسد، بواسطة الملامسة، والمخالطة وشم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة، وهذه طريقة ابن قتيبة فقال: المجذوم تشتد رائحته حتى يُسقم من أطال مجالسته، ومحادثته، ومضاجعته، وكذا يقع كثيراً بالمرأة من الرجل وعكسه، وينزع الولد إليه، ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم، لا على طريق العدوى، بل على طريق التأثر بالرائحة، لأنها تسقم من واظب اشتمامها، قال: ومن ذلك قوله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»، لأن الجرب الرطب قد يكون بالبعير، فإذا خالط الإبل أو حككها وأوى إلى مباركها، وصل إليها بالماء الذي يسيل منه، وكذا بالنظر نحو ما به. قال: وأما قوله: «لا عدوى» فله معنى آخر، وهو أن يقع المرض بمكان كالطاعون فيفر منه مخافة أن يصيبه، لأن فيه نوعًا من الفرار من قدر الله.

خامسها: أن المراد بنفي العدوى أن شيئًا لا يعدى بطبعه، نفيًا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدى بطبعها، من غير إضافة إلى الله تعالى، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك، وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها، فلا تؤثر شيئًا، وإن شاء أبقاها فأثرت.

قال البيهقي - بعد أن أورد قول الشافعي رضي الله عنه ما نصه - : الجذام والبرص يزعم أهل العلم بالطب والتجارب أنه يعدى الزوج كثيراً، وهو داء مانع للجماع، لا تكاد نفس أحد تطيب بمجامعة من هو به، ولا نفس امرأة أن يجامعها من هو به، وأما الولد فبين أنه إذا كان من ولده أجذم أو أبرص، أنه قلما يسلم، وإن سلم أدرك نسله.

سادسها: العمل بنفي العدوى أصلاً ورأسًا، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة، لئلا يحدث للمخالط بشيء من ذلك، فيظن أنه بسبب المخالطة، فيثبت العدوى التي نفاها الشارع، وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد وتبعه جماعة، فقال أبو عبيد: ليس في قوله: «لا يورد ممرض على مصح» إثبات العدوى، بل لأن الصحاح لو مرضت بتقدير الله تعالى ربما وقع في نفس صاحبها أن ذلك من العدوى، فيفتتن ويتشكك في ذلك، فأمر باجتنابه. قال: وكان بعض الناس يذهب إلى أن الأمر بالاجتناب إنما هو للمخافة على الصحيح من ذوات العاهة، قال: وهذا شر ما حمل عليه الحديث، لأن فيه إثبات العدوى التي نفاها الشرع، ولكن وجه الحديث عندي ما ذكرته.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: الأمر بالفرار من الأسد ليس للوجوب، بل للشفقة، لأنه ﷺ كان ينهى أمته عن كل ما فيه ضرر بأي وجه كان، ويدلهم على كل ما فيه خير. =

ولعبد الرزاق من حديث معمر، عن أيوب وخالد، عن أبى قلابة، أن النبى ﷺ قال: فرّوا من المجذوم فراركم من الأسد. وفى رواية له: فروا من الأجذم كما تفرون من الأسد.

ولمسلم من حديث يعلى بن عطاء، عن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبى ﷺ، أنّا قد بايعناك، فارجع[1]. وخرّجه النسائى.

ولأبى بكر بن أبى شيبة من حديث وكيع، عن عبد الله بن سعيد، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن ابن عباس رضى الله [عنهما]، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُدنوا النظر إلى المجذومين[2].

وخرّجه أبو بشر الدولابى، من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن محمد بن عبد الله، عن أمه فاطمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نديم النظرم إلى المجذومين، قال: لا تديموا إليهم

= قال: ويمكن الجمع بين فعله وقوله بأن القول هو المشروع من أجل ضعف المخاطبين، وفعله حقيقة الإيمان، فمن فعل الأول أصاب السنة وهى أثر الحكمة، ومن فعل الثانى كان أقوى يقيناً، لأن الأشياء كلها لا تأثير لها إلا بمقتضى إرادة الله تعالى وتقديره، كما قال تعالى: **﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾**، فمن كان قوى اليقين فله أن يتابعه ﷺ فى فعله ولا يضره شئ، ومن وجد فى نفسه ضعفاً فليتبع أمره فى الفرار، لئلا يدخل بفعله فى إلقاء نفسه إلى التهلكه.

واستدل بالأمر بالفرار من المجذوم لإثبات الخيار للزوجين فى فسخ النكاح، إذا وجده أحدهما بالآخر، وهو قول جمهور العلماء، واختُلف فى أَمَة الأجذم: هل يجوز لها أن تمنع نفسها من استمتاعه إذا أرادها؟ واختلف العلماء فى المجذومين إذا كثروا، هل يُمنعون من المساجد والمجامع؟ وهل يُتخذ لهم مكان منفرد عن الأصحاء؟ ولم يختلفوا فى النادر أنه لا يُمنع، ولا فى شهود الجمعة (فتح البارى): ١٠ / ١٩٦ – ٢٠٠ مختصراً.

(١) راجع التعليق السابق والتالى والذى بعده.

(٢) راجع التعليق السابق والتالى والذى بعده.

النظر[١].

ولأبى داود من حديث يونس بن محمد، عن مفضل بن فضالة، عن حبيب بن الشهيد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر [رضى الله عنه]، أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم، فوضعها معه فى القصعة وقال: كل ثقة بالله [عزَّ وجلَّ] وتوكلاً عليه[٢].

وأخرجه الترمذى بهذا السند، ولفظه: أخذ بيد مجذوم فأدخله معه فى القصعة [ثم] قال: كل بسم الله، ثقة بالله وتوكلاً عليه[٣]. قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث يونس بن محمد، عن المفضل ابن فضالة.

---

(١) راجع التعليق السابق والتالى والذى بعده.

(٢) (سنن أبى داود): ٤ / ٢٣٩، كتاب الطب، باب (٢٤) فى الطيرة، حديث رقم (٣٩٢٥).

(٣) (سنن الترمذى): ٤ / ٢٣٤، كتاب الأطعمة، باب (١٩) ما جاء فى الأكل مع المجذوم، حديث رقم (٨١٧).

وأخرجه ابن ماجه فى (السنن): ٢ / ١١٧٢، كتاب الطب، باب (٤٤) الجذام، حديث رقم (٣٥٤٢)، وحديث رقم (٣٥٤٣): أن النبى ﷺ قال: « لا تديموا النظر إلى المجذومين »، وحديث رقم (٣٥٤٤): كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبى ﷺ: « ارجع فقد بايعناك ».

قال الحافظ ابن حجر فى خاتمة كتاب الطب: اشتمل كتاب الطب من الأحاديث المرفوعة على مائة حديث وثمانية عشر حديثًا، المعلق منها ثمانية عشر طريقًا، والبقية موصولة، المكرر منها فيه وفيما مضى خمسة وثمانون طريقًا، والخالص ثلاثة وثلاثون، وافقه مسلم على تخريجها، سوى حديث أبى هريرة فى نزول الداء والشفاء، وحديث ابن عباس: الشفاء فى ثلاث، وحديث عائشة فى الحبة السوداء، وحديث أبى هريرة « فر من المجذوم »، وحديث أنس « رخص لأهل بيت فى الرقية »، وحديث أنس « اشف وأنت الشافى »، وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم ستة عشر أثرًا، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. (فتح البارى): ١٠ / ٣٠٩ آخر كتاب الطب.

والمفضَّل بن فضالة هذا : شيخ بصرىّ[١]، ،المفضَّل بن فضالة : شيخ آخر مصرى[٢] أوثق من هذا وأشهر. وقد روى شعبة هذا الحديث عن حبيب ابن الشهيد عن ابن بريدة، أن ابن عمر أخذ بيد مجذوم، وحديث شعبة أثبت عندى وأصحّ. ذكره فى الأطعمة[٣].

---

(١) هو المفضَّل بن فضالة بن أبى أمية القرشىّ، أبو مالك البصرى، أخو مبارك بن فضالة مولى آل الخطاب. قال الدورى عن ابن معين: ليس بذاك، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال الآجرى عن أبى داود : بلغنى عن علىٍّ أنه قال: فى حديثه نكارة، وقال الترمذى: شيخ بصرى، والمصرى أوثق منه وأشهر. وقال النسائى ليس بالقوى، وذكره ابن حبان فى (الثقات) : له فى السنن حديثه عن حبيب عن ابن المندر، عن جابر: أخذ رسول الله ﷺ بيد مجذوم فوضعه معه فى القصعة... الحديث. وزعم بعضهم أنه أخو الفرج بن فضالة وليس بشىء. قال الحافظ ابن حجر: هذا قول ابن حبان. قال ابن عدى: لم أر له أنكر من هذا، يعنى حديث جابر. (تهذيب التهذيب) : ١٠ / ٢٤٤، ترجمة رقم (٤٩٢) مختصراً.

(٢) هو المفضَّل بن فضالة بن عبيد بن ثمامة بن مزيد بن نوف الرعينى ثم القتْبانى أبو معاوية المصرى قاضيها، قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة، وقال الدورى عن ابن معين: رجل صدوق، وقال أبو زرعة: لابأس به، وقال أبو حاتم وابن خراش: صدوق فى الحديث، وقال ابن يونس: ولى القضاء بمصر مرتين، وكان من أهل الفضل والدين، ثقة فى الحديث، من أهل الورع.

ذكره أحمد بن شعيب. يومًا وأنا حاضر فأحسن الثناء عليه ووثقه، وقال: سمعتُ قتيبة بن سعيد يذكر عنه فضلا، وقال الآجرى عن أبى داود: كان مجاب الدعوة.

وُلد سنة سبع ومائة ، وقال البخارى: مات فى شوال سنة إحدى وثمانين. قال الحافظ ابن حجر: وذكره ابن حبان فى (الثقات)، وذكره ابن سعد فى الطبقة الخامسة من أهل مصر، وقال: كان منكر الحديث. قال عيسى بن حماد: كان مجاب الدعوة، طويل القيام مع ضعف بدنه. (المرجع السابق) : ترجمة رقم (٤٩٣) مختصراً.

وذكر أيضا: المفضَّل بن فضالة بن المفضل بن فضالة حفيد الذى قبله، روى عن أبيه عن جده، ذكره ابن حبان فى (الثقات)، وابن يونس فى تاريخه وقال: مات سنة اثنيت وخمسين ومائتين (المرجع السابق) : ترجمة رقم (٤٩٤).

وذكر أيضا: المفضَّل بن فضالة النَّسوى أبو الحسن، روى عن إبراهيم بن الهيثم البلدى، وعنه أبو أحمد بن عدى. هو والذى قبله متاخران، لا يشتبهان بمن قبلهم. (المرجع السابق) : ترجمة رقم (٤٩٥).

(٣) (سنن الترمذى) : ٤ / ٢٣٤، عقب الحديث رقم (١٨١٧).

وذكر الحاكم حديث يونس عن الفضل كما تقدم، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[1].

* * *

(١) (المستدرك): ٤ / ١٥٢، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١٩٦) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): صحيح.

وأما عرق النَّسا[1]

فخرج الحاكم من حديث الوليد بن مسلم، حدثنا هشام بن حسان، [قال]: حدثنى أنس بن سيرين [قال:] حدثنى أنس بن مالك [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: شفاء عرق النَّسا: إلية شاة عربية تُذاب، ثم تُجَزّأ ثلاثة أجزاء، فتُشرب ثى ثلاثة أيام. قال: هذا حديث صحيح [على شرط الشيخين ولم يخرجاه] وقد رواه المعتمر بن سليمان، عن هشام بن حسان، بزيادة فى المتن[2].

فذكره ولفظه: أن النبى ﷺ وصف من عرق النسا إلية شاة عربىّ، ليست بصغيرة، ولا كبيرة، تُذاب، ثم تُقْسَم على ثلاثة أجزاء، فيشرب كل يوم جزء على ريق النفس. قال أنس: وقد وصفتُ ذلك لثلاثمائة، كلهم يعافيه الله تعالى[3].

وقد رواه حبيب بن الشهيد، عن أنس بن سيرين، فذكره[4]، ثم قال:

---

(١) عرق النَّسا: وجع يبتدئ من مَفْصِل الورك، وينزل من خلف على الفخذ، وربما على الكعب، وكلما طالت مدته، زاد نزوله، وتُهزل معه الرجل والفخذ. (زاد المعاد): ٤ / ٧١-٧٢، فصل فى هديه ﷺ فى علاج عرق النَّسا.

(٢) (المستدرك): ٤ / ٢٢٩، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٥٩)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٤٦٠).

(٤) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٤٦١).

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٤٧، كتاب الطب، باب (١٤) دواء عرق النِّساء، حديث رقم (٣٤٦٣)، وقال فى الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، والإليه: ما ركب العجز وتدلى من شحم ولحم.

وأخرجه الحاكم أيضا فى (المستدرك): ٤ / ٤٥٢، كتاب الطب، حديث رقم (٨٢٤٧)، =

= من حديث هشام بن حسان، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ وصف لهم فى عرق النسا أن يأخذوا إليه كبش ليس بعظيم ولا صغير فيداف، ثم يجزأ على ثلاثة أجزاء، فيشرب كل يوم جزءًا، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى ومسلم.

قال العلامة ابن القيم: وهذا الحديث فيه معنى لغوىّ، ومعنى طبىّ، **فأما المعنى اللغوىّ**: فدليل على جواز تسمية هذا المرض بعرق النَّسا خلافًا لمن منع هذه التسمية، وقال: النَّسا هو العرق نفسه فيكون من باب إضافة الشىء إلى نفسه، وهو ممتنع.

وجواب هذا القائل من وجهين، أحدهما: أن العرق أعم من النَّسا، فهو من باب إضافة العام إلى الخاص، نحو: كل الدراهم أو بعضها.

الثانى: أن النسا: هو المرض الحالّ بالعرق، والإضافة فيه من باب إضافة الشىء إلى محله وموضعه. قيل: وَسُمِّىَ بذلك لأن ألمه يُنسى ما سواه من وهذا العرق ممتد من مفصل الورك، وينتهى إلى آخر القدم وراء الكعب من الجانب الوحشى، فيما بين عظم الساق والوتر.

وأما المعنى الطبى: فقد تقدم أن كلام رسول الله ﷺ نوعان:

أحدهما: عام بحسب الأزمان، والأماكن، والأشخاص، والأحوال.

والثانى: خاص بحسب هذه الأمور أو بعضها، وهذا من هذا القسم، فإن هذا خطاب للعرب، وأهل الحجاز، ومن جاورهم، ولا سيما أعراب البوادى، فإن هذا العلاج من أنفع العلاج لهم، فإن هذا المرض يحدث من يُبس، وقد يحدث من مادة غليظة لزجة، فعلاجها بالإسهال، والألية فيها الخاصيتان: الإنضاج، والتليين، ففيها الإنضاج والإخراج.

وهذا المرض يحتاج علاجه إلى هذين الأمرين، وفى تعيين الشاة الأعرابية لقلة فضولها، وصغر مقدارها، ولطف جوهرها، وخاصية مرعاها، لأنها ترعى أعشاب البرِّ الحارة، كالشيح، والقَيْصوم، ونحوهما، وهذه النباتات إذا تغذى بها الحيوان صار فى لحمه من طبعها بعد أن يلطفها تغذية بها، ويكسبها مزاجًا ألطف منها، ولا سيما الألية.

وظهور فعل هذه النباتات فى اللبن أقوى منه فى اللحم، ولكن الخاصية التى فى الألية من الإنضاج والتليين لا توجد فى اللبن، وهذا كما تقدم أن أدوية غالب الأمم والبوادى هى الأدوية المفردة، وعليه أطباء الهند.

وأما الروم واليونان فيعتنون بالمركَّبة، وهم متفقون كلهم على أن من مهارة الطبيب أن يداوى بالغذاء، فإن عجز فبالمفرد، فإن عجز، فبما كان أقلَّ تركيبًا.

وقد تقدم أنَّ غالب عادات العرب وأهل البوادى الأمراض البسيطة، فالأدوية البسيطة تناسبها، =

هذه الأسانيد كلها صحيحة، وقد أعضله حماد بن سلمة عن أنس بن سيرين فقال: عن أخيه معبد، عن رجل من الأنصار، عن أبيه، والقول عندنا [فيه] قول المعتمر بن سليمان، والوليد بن مسلم.

* * *

= وهذا لبساطة أغذيتهم فى الغالب. وأما الأمراض المركبة فغالبًا ما تحدث عن تركيب الأغذية وتنوعها واختلافها، فاختيرت لها الأدوية المركبة، والله تعالى أعلم. (زاد المعاد): ٤ / ٧٢-٧٣، فصل فى هديه ﷺ فى علاج عرق النُّسا.

وقد أثبت محقق (زاد المعاد) تعريف الدكتور عادل الأزهرى لعرق النُّسا، حيث قال: هو مرض يصيب النساء والرجال على السواء وآلامه مفرطة، تبتدئ غالبًا فى أسفل العمود الفقرى، ويمتد الألم إلى إحدى الأليتين، ثم إلى الجزء الخلفى من الفخذ، وأحيانا حتى الكعب،

وينتج غالبًا من انفصال غضروفى بأسفل العمود الفقرى، أو التهاب روماتزمى بالعصب الإنسى، وعلاجه الأساسى الراحة التامة على الظهر، لمدة خمسة عشر يومًا على الأقل مع إعطاء مهدئات للألم مثل الأسبرين.... والحجامات الجافة، والكىّ أحيانًا، يساعدان على علاجه. (زاد المعاد): ٤ / ٧٣ هامش.

وأما كثرة أمراضه ﷺ

فخرج الحاكم من حديث إسرائيل، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: قد أخذتِ السُّنن عن رسول الله [ﷺ]، والشعر والعربية عن العرب، فعن من أخذتَ الطب؟ قالت: إن رسول الله ﷺ كان رجلا مسقامًا، وكان أطباء العرب يأتونه فأتعلم منهم. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرج(١).

وخرّجه ابن حَيَّان ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان [سقيمًا] فى آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، فكنتُ أعالجها، فمن ثُّم(٢).

وخرّجه الإمام أحمد من حديث أبى معاوية قال: أخبرنا هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة رضى الله عنها: يا أمتاه! لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة رسول الله، وابنة أبى بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول: ابنة أبى بكر، وكان أعلم الناس، أو من أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب، كيف هو؟ ومن أين هو؟ أو ما هو؟ قال: فضربتْ على منكبه [و] قالت: أى عُريّة، إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره، أو فى آخر عمره، وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، وكنتُ أعالجُها لَهُ فمن ثمّ(٢).

---

(١) المستدرك): ٤ / ٢١٨ - ٢١٩، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٢٦)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح على شرط البخارى ومسلم.

(٢) (مسند أحمد): ٧ / ٩٩، حديث رقم (٢٣٨٥٩).

الحنَّاء(١)

قال الإمام أحمد : حدثنا حماد بن خالد، حدثنا قائد مولى عبيد الله ابن على بن أبى رافع، عن مولاه، عن [عمته] سلمى(٢)، قالت: كنتُ أخدم النبى ﷺ ، فما كانت تصيبه قرحة، ولا نكته، إلا وأضع

---

(١) الحناء: بارد فى الأولى، يابسٌ فى الثانية، وقوة شجر الحناء وأغصانها مركبة من قوة محللة، اكتسبتها من جوهر فيها مائى، حار باعتدال، ومن قوة قابضة اكتسبتها من جوهر فيها أرضى بارد.

ومن منافعه أنه محلِّل نافع من حرق النار، وفيه قوة موافقة للعصب إذا ضُمِّد به، وينفع إذا مُضغ من قُروح الفم والسُّلاق - [بُثَر تخرج على أصل اللسان، وتقشر فى أصول الأسنان] - العارض فيه، ويُبْرئ القُلاع - [بثرات تكون فى جلدة الفم أو اللسان] - الحادث فى أفواه الصبيان، والضماد به ينفع من الأورام الحرة الملتهبة، ويفعل فى الجراحات فعل دم الأخوين [مادة تُجلب من الهند بهذا الاسم»]، وإذا خُلط نوره مع الشمع المصفى، ودُهْن الورد، ينفع من أوجاع الجنب.

ومن خواصه: أنه إذا بدأ الجدرىّ يخرج بصبى، فخضبت أسافل رجليه بحناء، فإنه يُؤمن على عينيه أن يخرج فيها شىء منه، وهذا صحيح مجرَّب لا شك فيه.

وإذا جعل نَوْرُه بين طىّ ثياب الصوف طيبها، ومنع السوس عنها، وإذا نُقع ورقه فى ماء عذب يغمره، ثم عُصِر وشُرب من صفوه أربعين يومًا كل يوم عشرين درهمًا مع عشرة دراهم سكر، ويُغَذَّى عليه بلحم الضأن الصغير، فإنه ينفع من ابتداء الجذام بخاصية فيه عجيبة.

وحكى أن رجلا تشقَّقَت أظافر أصابع يده، وأنه بذل لمن يُبرئه مالاً، فلم يجد، فوصفتْ له امرأة أن يشرب عشرة أيام حناء، فلم يُقْدِم عليه، ثم نقعه بماء وشربه، فبرأ ورجعت أظافيره إلى حُسنها.

والحناء إذا ألزمت به الأظفار معجونًا حَسَّنها ونفعها، وإذا عُجن بالسمن وَضُمِّد به بقايا الأورام الحارة التى ترشح ماءً أصفر، نفعها، ونفع من الجرب المتقرِّح المزمن منفعة بليغة، وهو ينبت الشعر ويقويه، ويحسنه، ويقوى الرأس، وينفع من النَّفَّاطات، والبثور العارضة فى الساقين والرجلين، وسائر البدن، (زاد المعاد) : ٤/٨٩ - ٩٠.

(٢) سلمى: خادم رسول الله ﷺ ، وهى مولاة صفية بنت عبد المطلب، وهى امرأة أبى رافع مولى رسول الله ﷺ وأم بنيه، وهى التى قَبَلَتْ إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وكانت قابلة بنى =

عليها الحناء(١).

= فاطمة، وهى التى غسّلت فاطمة مع زوجها ومع أسماء بنت عميس، وشهدت سملى هذه؛ خيبر مع رسول الله ﷺ.

(١) (مسند أحمد): ٧/٦١٦، حديث رقم (٢٧٠٧٠)، ولفظه: «ما سمعت أحداً قط يشكو إلى رسول الله ﷺ وجعًا فى رأسه إلا قال: احتجم، ولا وجعًا فى رجليه إلا قال: اخضبها بالحناء، وحديث رقم (٢٧٠٧١)، ولفظه: «ما اشتكى أحد إلى رسول الله ﷺ وجعا فى رأسه إلا قال: احتجم، ولا اشتكى إليه أحد وجعًا فى رجليه إلا قال: اخضب رجليك».

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٤/١٩٤ - ١٩٥، كتاب الطب، باب (٣) فى الحجامة، حديث رقم (٣٨٥٨).

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤/٣٤٣، كتاب الطب، باب (١٣) ما جاء فى التداوى بالحناء، حديث رقم (٢٠٥٤)، ولفظه: «ما كان يكون برسول الله ﷺ قُرحةٌ، ولا نَكْبَةٌ إلا أمرنى رسول الله ﷺ أن أضع عليها الحناء» [والقرحة بضم القاف وفتحها].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث فائد، وروى بعضهم هذا الحديث عن فائد، وقال: عن عبيد الله بن على عن جدته سلمى، وعبيد الله بن على أصحّ، ويقال: سُلمى.

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا زيد بن حُباب عن فائد مولى عبيد الله بن على، عن مولاه عبيد الله بن على، عن جدته، عن النبى ﷺ نحوه بمعناه.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/١١٥٨، كتاب الطب، باب (٢٩) الحناء، حديث رقم (٣٥٠٢)، ولفظه: كان لا يصيب النبى ﷺ قَرْحَةٌ ولا شَوْكَةٌ إلا وَضَع عليه الحناء».

هذا الحديث لم يحكم عليه الترمذى بشى من الصحة أو الحسن، أو الضعف، والظاهر أنه حديث حسن، والله تعالى أعلم. (تحفة الأحوذى): ٦/١٧٨ ، ١٧٩.

قوله فى رواية أبى داود: «اخضبهما» زاد البخارى فى (تاريخه) «بالحناء» قاله فى (فتح الودود). وقال القارى: والحديث بإطلاقه يشمل الرجال والنساء، لكن ينبغى للرجل أن يكتفى باختضاب كفوف الرِّجْل، ويجتنب صبغ الأظافر، احترازاً من التشبه بالنساء ما أمكن.

قال المنذرى: والحديث أخرجه الترمذى وابن ماجة مختصراً فى الحناء، وقال الترمذى: حديث غريب إنما نعرفه من حديث فائد. هذا آخر كلامه.

وفائد هذا مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع، وقد وثقه ابن معين، وقال الإمام أحمد، وأبو حاتم الرازى: لا بأس به، وفى إسناده عبيد الله بن على بن أبى رافع، مولى رسول الله ﷺ، قال ابن معين: لا بأس به، وقال أبو يحيى الرازى: لا يحتج بحديثه، هذا آخر كلامه. =

= وقد أخرجه الترمذى من حديث على بن عبيد الله عن جدته، وقال: وعبيد الله بن على أصحّ، وقال غيره: على بن عبيد الله بن أبى رافع لا يعرف بحال، ولم يذكره أحد من الأئمة فى كتاب، وذكر بعده حديث عبيد الله بن على بن أبى رافع هذا الذى ذكرناه وقال: فانظر فى اختلاف إسناده بغير لفظه، هل يجوز لمن يدعى السنة أو يُنسب إلى العلم أن يحتجّ بهذا الحديث على هذا الحال، ويتخذه سنة وحجة فى خضاب اليد والرجل؟ (عون المعبود): ١٠/ ٢٤٢.

الذريرة(١)

خرّج الحاكم من حديث ابن جريج قال: أخبرنى عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبى حسن، حدثتنى مريم بنت إياس بن البكير(٢)، صاحب النبى ﷺ، عن بعض أزواج النبى ﷺ، وأظنها زينب، أن النبى ﷺ دخل عليها فقال: عندك ذريرة؟ فقالت: نعم، فدعا بها، ووضعها على بثرة(٣) بين أصبعين من أصابع رجله وقال: اللهم مُطفئ [الكبير]، ومكبر الصغير، اطفها عنى، فطفيت(٤). قال: هذا حديث صحيح [الإسناد ولم يخرجاه](٥) [وخرّجه الإمام أحمد، من حديث ابن جريج به مثله](٦).

---

(١) الذريرة: فتات من قصب الطيب الذى يُجاء به من بلد الهند، يشبه قصب النُشّاب، وفى حديث عائشة رضى الله عنها: طيبتُ رسول الله ﷺ لإحرامه بذريرة؛ قال: هو نوع من الطيب مجموع من أخلاط. (لسان العرب): ٤/٣٠٣ - ٣٠٤.

وقال العلامة ابن القيم: الذريرة دواء هندى يتخذ من قصب الذريرة، وهى حارة يابسة، تنفع من أورام المعدة، والكبد، والاستسقاء، وتقوى القلب لطيبها. (زاد المعاد): ٤/١١٣.

(٢) اختلف فى صحبتها، وأبوها وأعمامها من كبار الصحابة، ولأخيها محمد رؤية.

(٣) البثرة: خُرَّاج صغير يكون عن مادة حارة تدفعها الطبيعة، فتسترق مكانًا من الجسد تخرج منه، فهى محتاجة إلى ما ينضجها ويخرجها، والذريرة أحد ما يفعل بها ذلك، فإن فيها إنضاجًا، وإخراجًا، مع طيب رائحتها، مع أن فيها تبريداً للنارية التى فى تلك المادة، وكذلك قال صاحب (القانون): إنه لا أَفْضَل لحرق النار من الذريرة بدُهن الورد والخل. (زاد المعاد): ٤/١١٣ - ١١٤.

(٤) (المستدرك): ٤/٢٣٠، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٦٣)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٥) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٦) (مسند أحمد): ٦/٥١٠، حديث رقم (٢٢٦٣١).

وهذا الحديث حديث صحيح، أخرجه ابن السنى (٦٤٠) ص٢٣٧، ووقع له فى سنده وهم، =

= وقال الحافظ فى (أمالى الأذكار) ، فيما نقله عنه ابن علان : حديث صحيح أخرجه النسائى فى (اليوم والليلة)، وهو حديث صحيح الإسناد كما قال أبو عبد الله الحاكم، فإن رواته من رواة (الصحيحين)، إلا مريم بنت إياس بن البكير.

وفى لفظه اختلاف يسير؛ ففى (المستدرك) : « اللهم مُطفِئ الكير ومكبر الصغير اطفها عنى »، وفى (مسند أحمد) : بمثله، وفى (زاد المعاد) : « اللهم مُصَغِّر الكبير ومُكبِّر الصغير صَغِّرْ مابى »، وفى (الأصلين) : « مطفئ الكير » والله تعالى أعلم بالصواب .

وَمَّا أنَّهُ [ﷺ] سُحِر

فخرج البخارى من حديث عيسى بن يونس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: سَحر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بنى زريق يقال له: لُبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيّل إليه أنه يفعل الشىء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندى، دعا، ودعا، ثم قال : يا عائشة! أشعرت أن الله [عزَّ وجلَّ] أفتانى فيما استَفْتَيتُه فيه؛ أتانى رجلان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فى أى شىء؟ قال: فى مشط ومُشاطة، وجُف طلعة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: فى بئر ذَرْوان، فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة! والله لكأن ماءَها نُقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين فقلتُ يا رسول الله! أفلا استخرجته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافانى الله، وكرهت أن أثير على الناس شرًا، فأمرتُ بها فدفنت.

قال البخارى : تابعه أبو أسامة، وأبو ضمرة، وابن أبى الزناد، عن هشام. وقال الليث وابن عيينة، عن هشام: فى مشط ومشاقة. يقال: مشاطة: ما يخرج من الشعر إذا مُشّط، والمشاقة: من مشاقة الكتان. ترجم عليه البخارى باب: السحر، وذكره فى بدء الخلق، فى باب: صفة إبليس وجنوده[1]. وفى كتاب الدعاء[2]، وفى كتاب

(١) (فتح البارى) : ٦/ ٤١٢، كتاب بدء الخلق، باب (١١) صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (٣٢٦٨).

(٢) (المرجع السابق): ١١/ ٢٣٠، كتاب الدعوات، باب (٥٧) تكرير الدعاء، حديث رقم (٦٣٩١).

الأدب[١]، بزيادة ألفاظ ونقص الفاظ. وخرّجه مسلم من طرق، وخرّجه

---

(١) (المرجع السابق): ١٠ / ٥٨٧، كتاب الأدب، باب (٥٦) قول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ وقوله: ﴿ثم بُغى عليه لينصرنه الله﴾ وترك إثارة الشر على مسلم أو كافر، حديث رقم (٦٠٦٣).

قال القاضى عياض: فإن قُلْتَ: فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه ﷺ سُحِر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتّابى بقراءتى عليه، قال: أخبرنا حاتم بن محمد، أخبرنا أبو الحسن على بن خلف، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا البخارى [بسنده] عن عائشة رضى الله عنها قالت: «سُحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشىء وما فعله». وفى رواية أخرى: «حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتى النساء ولا يأتيهن».

وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور، فكيف حال النبى ﷺ فى ذلك، وكيف جاز عليه، وهو معصوم؟

فاعلم -وفقنا الله وإياك- أن هذا الحديث صحيح متفق عليه، وقد طعنتْ فيه الملحدة، وتذرعتْ به لسُخْف عقولها، وتلبيسها على أمثالها فى التشكيك فى الشرع.

وقد نزه الله تعالى الشرع والنبى عما يُدخل فى أمره لبْسا، وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كانواع الأمراض، مما لا يُنكر ولا يقدح فى نبوته.

وأما ما ورد أنه ﷺ، كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ولا يفعله، فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلةً فى شىء من تبليغه، أو شريعته، أو يقدح فى صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروؤه عليه فى دنياه التى لم يُبعث بسببها، ولا فُضّل من أجلها، وهو فيها عُرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلى عنه كما كان. (الشفا): ٢ / ١٦٠ - ١٦١.

والمشط: معروف، والمشاطة: هى الشعر الذى يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه، والجُفّ: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذى يكون عليه، ويطلق على الذكر والانثى، ولذا قيده فى الحديث بقوله: «طلعة ذكر».

قال العلامة ابن القيم: ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هى أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار، والآيات، والدعوات التى تُبطل فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشدّ، كانت أبلغ فى النُّشرة [ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مسًا من الجن، سميت نُشْرة، لأنه يُنشَّر بها عنه ما ضاره من الداء].

وذلك بمنزلة التقاء جيشين، مع كل واحد منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر قهره، وكان الحكم له، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله مغموراً بذكره، وله من التوجهات، والدعوات، والأذكار، =

النسائى أيضًا(١).

وفى جامع معمر بن راشد عن الزهرى، قال: سُحر رسول الله ﷺ، [سنة](٢)، يخيلّ إليه أنه يفعل الفعل وهو [ﷺ] لا يفعله. [وقال ابن سعد: السّحر، سينُه مثلثة، والفتحُ أفصح](٣)(ﷺ).

[وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى أبو مروان، عن إسحاق

= والتعوذات، وردٌ لا يُخلّ به، يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه.

وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التى هى معلقة بالسفليات، ولهذا فإن غالب ما يؤثر فى النساء، والصبيان، والجهال، وأهل البوادى، ومن ضعف حظه من الدين، والتوكل، والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبوية، وبالجملة: فسلطان تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة، التى يكون ميلها إلى السفليات. قالوا: والمسحور هو الذى يُعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقًا كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات.

والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها، بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التى تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره. والله تعالى أعلم. (زاد المعاد): ٤ / ١٢٦ – ١٢٧.

قوله ﷺ: «فكرهتُ أن أثير على الناس شرًا»، معناه أنه ﷺ ترك استخراج السحر خشية أن يثور على الناس منه شرّ، فسلك مسلك العدل فى أن لا يحصل لمن لم يتعاط السحر من أثر الضرر الناشىء عن السحر شرّ وسلك مسلك الإحسان فى ترك عقوبة الجانى (فتح البارى): ١٠ / ٥٨٨.

وأخرجه البخارى فى (الطب) باب (٤٧) السحر، حديث رقم (٥٧٦٣) وفى باب (٤٩) هل يستخرج السحر، حديث رقم (٥٧٦٥)، وأخرجه مختصراً فى كتاب الجزية والموادعة باب (١٤) هل يعفى عن الذّمّىّ إذا سحر، حديث رقم (٣١٧٥).

(١) وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٥ / ٤٠، كتاب الطب، حديث رقم (٢٣٥٠٨) مختصراً، وحديث رقم (٢٣٥٠٩) كما ذكره المقريزى من رواية البخارى.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من النسخة (ج).

ابن عبد الله، عن عمر بن الحكم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذى الحجة ودخل الحرم، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة، ممن يُظهر الإسلام، وهو منافق، إلى لبيد بن الأعصم اليهودى، وكان حليفًا فى بنى زريق، وكان ساحرًا، قد علمت ذلك يهود، أنه أعلمهم بالسحر وبالسموم، فقالوا له: يا أبا الأعصم، أنت أسحرُ منّا، وقد سحَرْنا محمداً فَسَحَره منا الرجال والنساء، فلم نصنع شيئًا، وأنت ترى أثره فينا، وخلافه ديننا، ومن قتَل منا وأجْلى، ونحن نجعل لك [على ذلك] جعلا على أن تسحره لنا سحرًا ينكوه، فجعلوا له ثلاثة دنانير، على أن يسحر رسول الله ﷺ](١).

[فعمد إلى مشط، وما يمشط [من الرأس] من الشعر، فعقد فيه عُقداً، أو تفل فيه تَفْلاً، وجعله فى جب طلعة ذكر، ثم انتهى به حتى جعله تحت أرعوفة البئر، فوجد رسول الله ﷺ أمرًا أنكره، حتى يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولا يفعله، وأنكر بصره حتى دله الله عليه، فدعا جبير بن إياس الزُّرَقى، وقد شهد بدرًا، فدله على موضع فى بئر ذَرْوان، تحت أرعوفة البئر، فخرج جبير حتى استخرجه ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقد دلنى الله على سحرك، وأخبرنى ما صنعت، قال: حُبُّ الدنانير يا أبا القاسم](١).

[قال إسحاق بن عبد الله: فأخبرت عبد الرحمن بن كعب بن مالك بهذا الحديث فقال: إنما سحره بناتُ أعصم -أخوات لبيد- وكُنَّ أسحر من لبيد وأخبث، وكان لبيد هو الذى ذهب به، فأدخله تحت أرعوفة البئر، فلما عقدوا تلك العقد، أنكر رسول الله ﷺ تلك الساعة بصره، ودسّ بنات

---

(١) (طبقات ابن سعد): ٢/ ١٩٧ - ١٩٩، ذكر من قال: إن اليهود سحرت رسول الله ﷺ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

أعصم إحداهن، فدخلت على عائشة رضى الله عنها، فخبرتها عائشة، أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله ﷺ من بصره، ثم خرجت إلى أخواتها، وإلى لبيد، فأخبرتهم، فقالت إحداهن: إن يكن نبيًا فسيخبر، وإن يكن غير ذلك، فسوف يُدَلِّهُهُ هذا السحر حتى يُذهب عقله، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا، فدله الله عليه][1].

قال الحارث بن قيس: يا رسول الله! ألا نهوّر البئر؟ فأعرض عنه [رسول الله ﷺ] فهوَّرها الحارث بن قيس وأصحابه، وكان يستعذب منها. قال: وحفروا بئرًا أُخرى، فأعانهم رسول الله ﷺ فى حفرها، حين هوّروا الأخرى التى سُحر فيها، حتى أنبطوا ماءها، ثم تهوّرت بعد. ويقال: إن الذى استخرج السحر بأمر رسول الله ﷺ قيس بن محصن][1].

---

(١) (طبقات ابن سعد): ٢ / ١٩٧ - ١٩٩، ذكر من قال إن اليهود سحرت رسول الله ﷺ، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، وهذه الفقرات سقطت من النسخة (ج).

وأمــا أنــه ﷺ سُـــمَّ

فخرّج البخارى فى الطب[1]، وفى الجزية والموادعة[2]، من حديث الليث قال: حدثنى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما فُتحت خيبر، أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمّ، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لى من كان ها هنا من اليهود، فجُمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنى سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقىّ عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم [رسول الله ﷺ]: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان [فقال كذبتم، أبوكم فلان] فقالوا: صدقت وبررت، فقال: هل أنتم صادقىّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أهل النار؟

قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم: اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً، ثم قال لهم: هل أنتم صادقىّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم فى هذه الشاة سُمّاً؟ قالوا: نعم، قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: إن كنت كاذباً، نستريح منك، وإن كنت نبيًا، لم يضرك.

وللبخارى من حديث شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك [رضى الله عنه قال:] إن يهودية أتت النبى ﷺ، بشاة مسمومة، فأكل

---

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٣٠٠، كتاب الطب، باب (٥٥) ما يذكر فى سمّ النبى ﷺ، حديث رقم (٥٧٧٧).

(٢) (المرجع السابق): ٦/ ٣٣٤، كتاب الجزية والموادعة، باب (٧)، إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يُعفى عنهم؟ حديث رقم (٣١٦٩).

منها، فجيء بها، [فقيل:] ألا نقتلها؟ قال: لا، [قال:] فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ. ذكره البخاري في كتاب الهبة، في باب: قبول الهدية من المشركين(١).

ولمسلم بهذا السند: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل [منها]، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك! قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، أو قال: عليَّ، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا،قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ(٢).

وقال البخاري في آخر المغازي، في أول باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته:

---

(١) (فتح الباري): ٥/ ٢٨٧، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٢٨) قبول الهدية من المشركين، حديث رقم (٢٦١٧).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٤/ ٤٢٩، كتاب السلام، باب (١٨) السم، حديث رقم (٢١٩٠)، «اللهوات»: جمع لهات -بفتح اللام- وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك، وقيل: اللحمات اللواتي في سقف أقصى الفم.

وقوله: «مازلت أعرفها» أي العلامة، كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره.

وقوله ﷺ: «ما كان الله ليسلطك على ذاك. أو قال: عليَّ»، فيه بيان عصمته ﷺ من الناس كلهم، كما قال تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ وهي معجزة لرسول الله ﷺ، في سلامته من السم المهلك لغيره، وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة، وكلام عضو منها له، فقد جاء في غير مسلم أنه ﷺ قال: إن الذراع تخبرني أنها مسمومة، وهي المرأة اليهودية الفاعلة للسم اسمها زينب بنت الحارث، أخت مرحب اليهودي، وهي امرأة سلام بن مشكم.

وقصة الشاة المسمومة رواها كل من:

ابن سعد في (الطبقات): ٢/ ٢٠٠ - ٢٠٣، ذكر ما سُمَّ به رسول الله ﷺ.

والحافظ البيهقي في (دلائل النبوة): ٧/ ١٧٢، باب ما جاء في إشارته إلى عائشة رضي الله عنها في ابتداء مرضه بما يشبه النعي، ثم إخباره إياها بحضور أجله وما في حديثها من أنه ﷺ توفي شهيداً.

وأبو داود في (السنن): ٤/ ٦٤٧، كتاب الديات، باب (٦) فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟ حديث رقم (٤٥٠٨)، (٤٥٠٩)، (٤٥١٠)،(٤٥١١)، (٤٥١٢) (٤٥١٣)، (٤٥١٤)، من طرق مختلفة، وبسياقات مختلفة، بعضها مختصراً وبعضها مطولاً.

وقال يونس عن الزهريّ: قال عروة: قالت عائشة [رضى الله عنها]: كان النبى ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه: يا عائشة! ما [أزال] أجد ألم الطعام الذى أكلتُ بخيبر، فهذا أوان وجدتُ انقطاع أبهرى من ذلك السم[١].

---

(١) (فتح البارى): ٨/ ١٦٥، كتاب المغازى، باب (٨٤) مرض النبى ﷺ ووفاته، حديث رقم (٤٤٢٨). قوله: «ما أزال أجد ألم الطعام» أى أحسّ الألم فى جوفى بسبب الطعام. وقال الداودى: المراد أنه نقص من لذه ذوقه. وقوله: «أوانَ» بالفتح على الظرفية.

قال أهل اللغة: الأبهر عرق مستبطن متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، وقال الخطّابى: يقال إن القلب متصل به (فتح البارى).

قال القاضى عياض: واختلف [أهل] الآثار والعلماء: هل قتلها النبى ﷺ أم لا؟ فوقع فى صحيح مسلم أنهم «قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا» ومثله عن أبى هريرة، وجابر، وعن جابر من رواية أبى سلمة أنه ﷺ قتلها، وفى رواية ابن عباس أنه ﷺ دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور، وكان أكل منها فمات بها فقتلوها، وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتلها.

قال القاضى: ووجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل، أنه لم يقتلها أولاً حين أطلع على اسمها، وقيل له: فقال: لا.

فلما مات بشر بن البراء من ذلك [السم] سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصًا، فيصحّ قوله: لم يقتلها أى فى الحال، ويصحّ قولهم: قتلها، أى بعد ذلك، والله تعالى أعلم (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٢٩ - ٤٣٠.

وأمـا أنـه ﷺ رَقَـى

فخرَّج مسلم من حديث ابن وهب قال: أخبرنى يونس عن ابن شهاب [قال]: أخبرنى نافع بن جبيربن مطعم، عن عثمان بن أبى العاص الثقفى، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده فى جسده مُنذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته، من شر ما أجد وأحاذر(١).

وخرَّجه الترمذى من حديث مالك، عن يزيد بن [خُصيفة]، عن عمر ابن عبد الله بن كعب السلمى، أن نافع بن جبير بن معطم، أخبره عن عثمان بن أبى العاص أنه قال: أتانى رسول الله ﷺ وبى وجع قد كاد يُهلكنى، فقال رسول الله ﷺ: امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد، قال: ففعلت، فأذهب الله ما كان بى، فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح(٢).

وخرَّجه أبو داود بهذا الإسناد، أنه أتى رسول الله ﷺ، قال عثمان: وبى وجع قد كان يهلكنى.. الحديث(٣).

وخرَّجه الحاكم من حديث المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن

---

(١) (مسلم بشرح النووى) ١٤/ ٤٣٩ – ٤٤٠، كتاب السلام، باب (٢٤) استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، حديث رقم (٦٧).

(٢) (سنن الترمذى): ٤/ ٣٥٥ – ٣٥٦، كتاب الطب، باب (٢٩) بدون ترجمة، حديث رقم (٢٠٨٠).

(٣) (سنن أبى داود): ٤/ ٢١٧ – ٢١٨، كتاب الطب، باب (١٩) كيف الرقى؟ حديث رقم (٣٨٩١).

ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: كان النبى [عليه السلام] إذا عاد المريض، جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، فإن كان فى أجله تأخير عوفى من وجعه ذلك. قال: هذا حديث صحيح[1]، وذكر له عدة طرق.

وخرَّجه البخارى أيضًا فى الأدب المفرد به مثله.

ولأبى داود من حديث الليث، عن زياد بن محمد، عن محمد بن كعب القرظى، عن فضالة بن عبيد، عن أبى الدرداء قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من اشتكى منكم شيئًا أو [اشتكاه] أخ له فليقُل: ربَّنا الذى فى السماء، تقدَّس اسمك، أمرك فى السماء والأرض، [كما رحمتك فى السماء، فاجعل رحمتك فى الأرض]، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت ربّ الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاءً من شفائك، على هذا الوجع، فيبرأ[2].

---

(١) (المستدرك): ٤ / ٤٦١ – ٤٦٢، كتاب الرقى والتمائم، حديث رقم (٨٢٨٢)، ولفظه: « من عاد مريضًا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض » قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، بعد أن اتفقا على حديث المنهال بن عمرو بإسناده، كان يعوذ الحسن والحسين.

وأخرج ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٦٣، كتاب الطب، باب (٣٦) ما عَوَّذ به النبى ﷺ وما عُوِّذ به، حديث رقم (٣٥٢٢)، ولفظه: « قدمتُ على النبى ﷺ وبى وجع كاد يُبطلنى، فقال لى النبى ﷺ: اجعل يدك اليمنى عليه وقل: بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات » فقلت ذلك، فشفانى الله.

(٢) (سنن أبى داود): ٤ / ٢١٨، كتاب الطب، باب (١٩) كيف الرقى، حديث رقم (٣٨٩٢)، الحوب: الإثم، ومنه قوله تعالى: ﴿إنه كان حوبًا كبيرًا﴾ [النساء: ٣] (معالم السنن).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٧ / ٣٤ –٣٥، حديث رقم (٢٣٤٣٧) من مسند فضالة بن عبيد الأنصارى، ولفظه، قال: « علمنى النبى ﷺ رقية أن أرقى بها من بدا لى، قال لى: قل ربنا الله الذى فى السموات، تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض، اللهم كما أمرك فى السماء فاجعل =

وللبخارى ومسلم وأبى داود، من حديث سفيان، حدثنى عبد ربه بن سعيد بن عمرة، عن عائشة رضى الله عنها [قالت] إن النبى ﷺ كان يقول للمريض: بسم الله تربة أرضنا، وريقه بعضنا، يُشفى سقيمنا. اللفظ للبخارى وفى لفظ له: قالت: كان النبى ﷺ يقول فى الرقية: تُربة أرضنا، وريقة بعضنا، يُشفى سقيمُنا، بإذن ربنا. ذكرهما فى باب: رقية النبى ﷺ (١).

ولفظ مسلم: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه، أو كان به قُرحة أو جُرح، قال النبى ﷺ بأصبعه هكذا، ووضع سفيان سبَّابتهُ بالأرض ثم رفعها، بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى به سقيمنا، بإذن ربنا(٢). وفى لفظ: ليُشفى(٣). ولفظ أبى داود: قالت كان النبى ﷺ يقول للإنسان إذا اشتكى: يقول بريقه، ثم قال: به فى التراب تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليُشفى سقيمُنا، بإذن ربنا(٤).

= رحمتك علينا فى الأرض، اللهم رب الطيبين اغفر لنا حوبنا وذنوبنا وخطايانا، ونزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على ما بفلان من شكوى، فيبرأ، قال: وقل ذلك ثلاثًا ثم تعوذ بالمعوذتين ثلاث مرات ».

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٢٥٣، كتاب الطب، باب (٣٨) رقية النبى ﷺ، حديث رقم (٥٧٤٥)، (٥٧٤٦).

(٢)، (٣) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٣٤، كتاب السلام، باب (٢١)، استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، حديث رقم (٥٤).

(٤) (سنن أبى داود): ٤/ ٢١٩ - ٢٢٠، كتاب الطب، باب (كيف الرقى)، حديث رقم (٣٨٩٥)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٦٣، كتاب الطب، باب (٣٦) ما عوذ به النبى ﷺ وما عوذ به، حديث رقم (٣٥٢١)، ولفظه: عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان مما يقول للمريض ببزاقه إصبعه: « بسم الله، تربة أرضنا، بريقه بعضنا، ليُشفى سقيمنا بإذن ربنا ».

أى كان يأخذ من ريقه على إصبعه شيئًا ثم يضعها على التراب فيعلق به منه شىء، فيمسح بها على الموضع الجريح، « تربة أرضنا » أى هذه تربة أرضنا « بريقة بعضنا » يدل على أنه كان يتفل عند الرقية.
=

وللبخاري من حديث سفيان، حدثني سليمان، عن مسلم، عن مسروق، عن عائشة رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان يُعوِّذُ بعض أهله، يمسح بيده ويقول: اللهم ربَّ الناس، اذهب الباس، واشفه أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا. ذكره فى باب رُقية النبى ﷺ(١).

وخرَّجه الإمام أحمد بهذا السند، ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان يعود بعض أهله، يمسحه بيمينه فيقول: أذهب الباس ربّ الناس، واشف إنك أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءًا لا يغادر سقمًا.

وخرَّجه مسلم عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن عائشة [رضى الله عنها] قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى [منا](٢) إنسان مسحه بيمينه، ثم قال: أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءًا لا يغادر سقمًا، فلما مرض رسول الله ﷺ [وثقل](٣) أخذتُ بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع، فانتزع يده من يدى، ثم قال: اللهم اغفر لى، واجعلنى مع الرفيق [الأعلى]، [قالت:] فذهبتُ

= قال النووى: معنى الحديث أنه ﷺ أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة، ثم وضعها على التراب، فعلق به شيء منه، ثم يمسح الموضع العليل أو الجرح، قائلاً الكلام المذكور فى حالة المسح.

« لِيُشفى » على بناء المفعول.. متعلق بمحذوف أى قلنا هذا القول، أو صنعنا هذا الصنيع، ليشفى سقيمنا. « بإذن ربنا » متعلق بقوله: « ليشفى ».

(١) (فتح البارى): ١٠ / ٢٥٣، كتاب الطب، باب (٣٨) رقية النبى، حديث رقم (٥٧٤٣)، وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٦٣، كتاب الطب، باب (٣٦) ما عَوَّذ به النبى ﷺ وما عُوِّذ به، حديث رقم (٣٥٢٠).

(٢) (مسند أحمد): ٧ / ٦٨ - ٦٩، حديث رقم (٢٣٦٦٢)، من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها، ثم قالت: « فلما ثقل رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه، أخذت بيده فجعلت أمسحه بها وأقولها، قالت: فنزع يده منى ثم قال: رب اغفر لى وألحقنى بالرفيق الأعلى - قال أبو معاوية -قالت: فكان هذا آخر ما سمعتُ من كلامة- قال ابن جعفر - إن النبى ﷺ كان إذا عاد مريضًا مسحه بيده وقال: اذهب البأس رب الناس ».

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

أنظر، فإذا هو قد قضى، ﷺ(١).

وللبخارى ومسلم من حديث النضر، عن هشام بن عروة [قال:] أخبرنى أبى عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان يرقى يقول: امسح الباس ربَّ الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت(٢).

وخرَّجه الإمام أحمد من حديث يحى، عن هشام قال: حدثنى أبى عن عائشة، رضى الله عنها، أن النبى ﷺ كان يرقى: امسح الباس رب الناس، بيدك الشفاء، لا يكشف الكرب إلا أنت(٣).

ولمسلم من حديث عباد بن عباد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذى مات فيه، جعلتُ أنفث عليه، وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدى(٤).

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٣٠، كتاب السلام، باب (١٩) استحباب رقية المريض، حديث رقم (٤٦).

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ٢٥٣، كتاب الطب، باب (٣٨) رقية النبى، حديث رقم (٥٧٤٤)، (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٣٢، كتاب السلام، باب (١٩) استحباب رقية المريض، حديث رقم (٤٩).

(٣) (مسند أحمد): ٧/ ٧٦، حديث رقم (٢٣٧١٤) من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها.

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٣٢، كتاب السلام، باب (٢٠) رقية المريض بالمعوذات والنفث، حديث رقم (٥٠).

قوله: «نفث عليه بالمعوذات» هى بكسر الواو، والنفث: نفخ لطيف بلا ريق، فيه استحباب النفث فى الرقية، وقد أجمعوا على جوازه، واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

قال القاضى عياض: وأنكر جماعة النفث والتفل فى الرقى، وأجازوا فيها النفخ بلا ريق، وهذا المذهب والفرق إنما يجىء على قول ضعيف، قيل: إن النفث معه ريق، قال: وقد اختلف العلماء فى النفث والتفل؛ فقيل: هما بمعنى، ولا يكونان إلا بريق. =

وخرَّجه البخارى وأبو داود، من حديث مالك، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة [رضى الله عنها]، أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه، كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها. ذكره البخارى فى كتاب فضائل القرآن[١]، وذكره فى آخر كتاب المغازى من حديث يونس، عن ابن شهاب[٢].

وفى كتاب الطب بهذا السند، ولفظه: كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغتْ يداه من جسده، قالت عائشة رضى الله عنها: فلما اشتكى كان

= قال أبو عبيد: يشترط فى التفل ريق يسير، ولا يكون فى النفث، وقيل: عكسه.

وسئلت عائشة عن نفث النبى ﷺ فى الرقية فقالت: كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه.

قال: ولا اعتبار بما يخرج عليه من بلة، ولا يقصد ذلك، وقد جاء فى حديث الذى رقى بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه ويتفل.

قال القاضى: وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشرة للرقية والذكر الحسن، لكن قال: كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء الحسنى، وكان مالك ينفث إذا رقى نفسه، وكان يكره الرقية بالحديدة: والملح، والذى يعقد، والذى يكتب خاتم سليمان، والعقد عنده أشد كراهة، لما فيه من مشابهة السحر.

وفى هذا الحديث: استحباب الرقية بالقرآن، والأذكار، وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستفادة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شىء، ومن شر النفاثات فى العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى): ١٤/ ٤٣١ - ٤٣٣.

(١) (فتح البارى): ٩/ ٧٦، كتاب فضائل القرآن، باب (١٤) فضل المعوذات، حديث رقم (٥٠١٦).

وأخرج من حديث ابن شهاب، عن عروة، عائشة رضى الله عنها، حديث رقم (٥٠١٧) ولفظه: «أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما **﴿قل هو الله أحد﴾**، **﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و **﴿قل أعوذ برب الناس﴾**، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات».

(٢) (فتح البارى): ٨/ ١٦٦، كتاب المغازى، باب (٨٤) مرض النبى ﷺ ووفاته، حديث رقم (٤٤٣٩).

يأمرني أن أفعل ذلك به(١).

وذكره في باب المرأة ترقى الرّجُل، من حديث معمر عن الزهري. ولفظه: أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قُبض فيه بالمعوذات، فلما ثَقُل كنت أنا أنفث عليه بهن، فأمسح بيده لبركتها(٢). وذكره في باب: الرقى بالقرآن، عن معمر نحوه(٣).

وخرَّج الحاكم، من حديث سفيان، عن عاصم، عن زياد بن ثُويب، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: جاء النبي ﷺ يعودني فقال: ألا أرقيك برقية رقاني بها جبريل؟ فقلتُ: بلى، بأبي وأمي، قال: بسم الله أرقيك، والله يشفيك، من كل داء فيك، من شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد، فرقى بها ثلاث مرات(٤).

---

(١) (فتح الباري): ١٠ / ٢٥٧، كتاب الطب، باب (٣٩) النفث في الرقية، حديث رقم (٥٧٤٨)، قال يونس: كنت أرى ابن شهاب يصنع ذلك إذا أتى فراشه.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٧٥١)، وفي آخره: فسألت ابن شهاب: كيف كان ينفث؟ قال: ينفث على يديه، ثم يمسح بهما وجهه.

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٥٧٤٣).

وأخرجه أبو داود في (السنن): ٤ / ٢٢٤، كتاب الطب، باب (١٩) كيف الرقى، حديث رقم (٣٩٠٢).

وأخرجه ابن ماجة في (السنن): ٢ / ١١٦٦، كتاب الطب، باب (٣٨) النفث في الرقية، حديث رقم (٣٥٢٩).

قال في (النهاية): النفث بالفم، وهو شبيه النفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق.

(٤) (المستدرك): ٣ / ٥٩٠، كتاب التفسير، تفسير سورة الفلق، حديث رقم (٣٩٩٠)، وسكت عنه الذهبي في (التلخيص)، وعزاه السيوطي في (الجامع الصغير) لابن ماجة، والحاكم عن أبي هريرة وصححه، ولم يعلق عليه المناوي.

وأخرجه ابن ماجة في (السنن): ٢ / ٣٥٦٤، قال في (الزوائد): في إسناده عاصم بن عبيد =

. . . .

= الله بن عاصم بن عمر العمرى، وهو ضعيف.

قال العلامة ابن القيم: وفى تأثير الرقى بالفاتحة وغيرها فى علاج ذوات السموم سرٌّ بديع، فإن ذوات أثَّرت بكيفيات نفوسها الخبيثة... وسلاحها حُماتها اللتى تلدغ بها، وهى لا تُلدغ حتى تغضب، فإذا غضبت، ثار فيها السم، فتقذفه بآلتها، وقد جعل الله سبحانه لكل داءٍ دواءٍ، ولكل شيء ضداً، ونفس الراقى تفعل فى نفس المرقى، فيقع فى نفسيهما فعل وانفعال، كما يقع بين الداء والدواء، فتقوى نفس الراقى وقوته بالرقية على ذلك الداء، فيدفعه بإذن الله.

ومدار تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والانفعال، وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين، يقع بين الداء والدواء الروحانيين، والروحانى، والطبيعى، وفى النفث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء، والنفس المباشر للرقية، والذكر والدعاء، فإن الرقية تخرج من قلب الراقى وفمه، فإذا صاحبها شيء من أجزاء باطنه من الريق، والهواء والنفس، كانت أتم تأثيراً وأقوى فعلاً ونفوذاً، ويحصل بالازدواج بينهما كيفية مؤثرة، شبيهة بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية.

وبالجملة: فنفس الراقى تقابل تلك النفوس الخبيثة، وتزيد بكيفية نفسه وتستعين بالرقية وبالنفث علي ازالة ذلك الاثر، وكلما كانت كيفية نفس الراقى أقوى، كانت الرقية أَتَمّ، واستعانته بنفثه كاستعانه تلك النفوس الرديئة بلسعها.

وفى النفث سرٌّ آخر، فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة، ولهذا يفعله السحرة كما يفعله أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿ **ومن شر النفاثات فى العقد** ﴾، وذلك لأن النفس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة، وترسل أنفاسها سهامًا لها، وتمدها بالنفث والتفل الذى معه شيء من الريق، مصاحب لكيفية مؤثرة.

والسواحر تستعين بالنفث استعانه بينة، وإن لم تتصل بجسم المسحور، بل تنفث على العقدة وتعقدها، وتتكلم بالسحر، فيعمل ذلك فى المسحور بتوسط الأرواح السفلية الخبيثة، فتقابلها الروح الزكية الطيبة، بكيفية الدفع والتكلم بالرقية، وتستعين بالنفث، فأيهما قوى كان الحكم له، ومقابلة الأرواح بعضها لبعض، ومحاربتها وآلتها من جنس مقابلة الأجسام، ومحاربتها وآلتها سواء، بل الأصل فى المحاربة، والتقابل للأرواح والأجسام آلتها وجندها.

ولكن من غلب عليه الحِسُّ لا يشعر بتاثيرات الأرواح وأفعالها وانفعالاتها لاستيلاء سلطان الحِسِّ عليه، وبعده عن عالم الأرواح، وأحكامها، وأفعالها.

والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية وتكيفت بمعانى الفاتحة واستعانت بالنفث والتفل، قابلت ذلك الاثر الذى حصل من النفوس الخبيثة، فأزالته، والله تعالى أعلم. (زاد المعاد): ٤ / ١٧٨ - ١٨٠.

وأمـا أنــه ﷺ احتجـم

فخرَّج البخارى[1]، ومسلم[2]، وأبوداود[3]، من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طاووس، وعطاء، عن ابن عباس رضى الله [تعالى عنهما]، أن النبى ﷺ احتجم وهو محرم. ذكره البخارى فى الحج والطب ومسلم فى الحج.

وللبخارى[4] وأبى داود[5]، من حديث أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: احتجم النبى ﷺ وهو صائم. وفى لفظ للبخارى، أن النبى

---

(١) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٥، كتاب الطب، باب (١٢) الحجم فى السفر والإحرام، قاله ابن بحينة عن النبى ﷺ، حديث رقم (٥٦٩٥).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٨/ ٣٧٣، كتاب الحج، باب (١١) جواز الحجامة للمحرم، حديث رقم (٨٧)، وحديث رقم (٨٨) ولفظه: «أن النبى ﷺ احتجم بطريق وهو محرم وسط رأسه».

(٣) (سنن أبى داود): ٢/ ٤١٨، كتاب المناسك، باب (٣٦) المحرم يحتجم، حديث رقم (١٨٣٥).

لا تكره الحجامة للمحرم إلا من أجل قطع الشعر، فإن احتجم فى موضع لا شعر عليه فلا بأس به، وإن قطع شعراً افتدى.

وممن رخص فى الحجامة للمحرم سفيان الثورى، وأصحاب الراى، وهو قول الشافعى وأحمد، وإسحاق، وقال مالك: لا يحتجم المحرم إلا من ضرورة لابد منها، وكان الحسن يرى فى الحجامة دمًا يريقه (معالم السنن).

وأخرجه البخارى فى كتاب جزاء الصيد، باب (١١) الحجامة للمحرم، حديث رقم (١٨٣٥).

(٤) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٤، كتاب الطب، باب (١١) أى ساعة يحتجم، حديث رقم (٥٦٩٤).

(٥) (سنن أبى داود): ٢/ ٧٧٣، كتاب الصوم، باب (٢٩) الرخصة فى الحجامة للصائم، حديث رقم (٢٣٧٢)، قال أبو داود: رواه وهيب بن خالد، عن أيوب بإسناده مثله، وجعفر بن ربيعة، وهشام ابن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

ﷺ احتجم وهو محرم، واحتجم وهو صائم. ومثله للنسائى[1].

وفى لفظ البخارى: أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرم فى رأسه، من شقيقة كانت به. ذكره فى الحجامة من الشقيقة والصداع.

وله من حديث سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله [عنهما]، عن النبى ﷺ قال: الشفاء فى ثلاثة: شرطة محجم، أو شربة عسل، أوكية بنار، وأنا أنهى أمتى عن الكى. ذكره فى كتاب الطب، فى باب: الشفاء فى ثلاث[1]. وذكره فى باب: الحجامة من الشقيقة، من

(١) (سنن النسائى): ٥/ ٢١٢، كتاب المناسك، باب (٩٢) الحجامة للمحرم، حديث رقم (٢٨٤٥)، (٢٨٤٦)، (٢٨٤٧) من طرق.

(٢) (فتح البارى): ١٠/ ١٨٩، كتاب الطب، باب (١٥) الحجامة من الشقيقة والصداع، حديث رقم (٥٧٠١).

قوله: «باب الحجامة من الشقيقة والصداع» أى بسببهما، والشقيقة -بشين معجمة وقافين -وزن عظيمة: وجع يأخذ فى أحد جانبى الرأس أو فى مقدمه، وذكر أهل الطب أنه من الأمراض المزمنة، وسببه أبخرة مرتفعة، أو أخلاط حارة، أو باردة، ترتفع إلى الدماغ، فإن لم تجد منفذاً لها أحدثت الصداع، فإن مال إلى أحد شقى الرأس أحدث الشقيقة، وإن ملك قمة الرأس أحدث داء البيضة. وذكر الصداع بعده من ذكر العام بعد الخاص.

وأسباب الصداع كثيرة جداً: منها ما تقدم، ومنها ما يكون عن ورم فى المعدة أو فى عروقها، أو ريح غليظة فيها أو لامتلائها، ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والقىء، والاستفراغ، أو السهر، أو كثرة الكلام.

ومنها ما يحدث عن الأعراض النفسانية كالهم والغم والحزن والجوع والحمى، ومنها ما يحدث عن حادث فى الرأس كضربة تصيبه، أو ورم فى صفاق الدماغ، أو حمل شىء ثقيل يضغط الرأس، أو تسخينه بلبس شىء خارج عن الاعتدال، أو تبريده بملاقاة الهواء أو الماء فى البرد.

وأما الشقيقة بخصوصها فهى شرايين الرأس وحدها، وتختص بالموضع الأضعف من الرأس؛ وعلاجها بشد العصابة.

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث بريدة «أنه ﷺ كان ربما أخذته الشقيقة؛ فيمكث اليوم واليومين لا يخرج» وفى الوفاة النبوية حديث ابن عباس «خطبنا رسول الله ﷺ وقد عصب رأسه» (فتح البارى).

حديث عاصم بن عمر، عن جابر بنحوه(١). وخرّجه مسلم(٢) وفيه قصة(٣).

وللنسائى من حديث المعتمر، عن حميدعن أنس، رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى. وفى لفظ: خير ما تداويتم به. وله من حديث معمر عن قتادة، عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وثء كان به(٤).

وللترمذى من حديث همّام(٥) وجريرُ بن حازم، عن قتادة، عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ يحتجم فى الأخدعين

= (فتح البارى): ١٠ / ١٦٨، كتاب الطب، باب (٣) الشفاء فى ثلاث، حديث رقم (٥٦٨)، حديث رقم (٥٦٨١)، كلاهما من حديث سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما باختلاف يسير فى اللفظ.

(١) (فتح البارى): ١٠ / ١٨٩، كتاب الطب، باب (١٥) الحجامة من الشقيقة والصداع، حديث رقم (٥٧٠٢)، وفيه: «وما أحب أن أكتوى».

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٤٤٢، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء دواء، واستحباب التداوى، حديث رقم (٧١).

(٣) وهي: عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: جاءنا جابر بن عبد الله فى أهلنا، ورجل يشتكى خراجًا به أو جراحًا، فقال ما تشتكى؟ قال خراج بى قد شق علىّ، فقال: يا غلام، ائتنى بحجام، فقال له: ما تصنع بالحجام يا أبا عبد الله، قال: أريد أن أعلق فيه محجمًا. قال: والله إن الذباب ليصيبنى أو يصيبنى الثوب فيؤذينى ويشقّ علىّ، فلما رأى تبرمه من ذلك قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن كان شيء من أدوينكم .... فذكر الحديث.

(٤) (سنن النسائى): ٥ / ٢١٣، كتاب المناسك، باب (٩٣) حجامة المحرم من علة تكون به، حديث رقم (٢٨٤٨)، باب (٩٤) حجامة المحرم على ظهر القدم، حديث رقم (٢٨٤٩).

«الوثء» بفتح الواو وسكون المثلثة هو وهن فى الرجل دون الخلع والكسر، يقال: وثئت رجله فهى موثوءة، وَوَثَأْتُهَا انا، وقد تترك الهمزة (شرح السيوطى على سنن النسائى).

(٥) فى (الأصلين): «هشام» وصوبناه من (سنن الترمذى).

والكاهل[١]. وخرّجه [ابن][٢] أيمن وقال: أخبرنا أحمد بن زهير، سئل يحى عن هذا الحديث فقال: ليس بشيء.

ولأبى داود من حديث حماد، عن محمد بن عمرو، وعن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن كان فى شيء مما تداويتم به خير فالحجامة[٣].

وخرّجه ابن أيمن وقال: إن كان فى شيء مما تداوون. ولأبى داود من حديث سعيد بن عبد الرحمن الجمحى، عن سهيل، عن أبيه، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: من احتجم لسبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين، كان شفاءاً من كل داء[٤].

ومن حديث أبى بكرة، بكار بن عبد العزيز قال: أخبرتنى عمتى كبشة بنت أبى [بكرة]، أن أباها كان ينهى أهله عن الحجامة يوم الثلاثاء، ويزعم عن رسول الله ﷺ أن يوم الثلاثاء يوم الدم، وفيه ساعة لا يُرقأ[٥]. [سهل وأمه مجهولان وأبو بكرة بن عبد العزيز ضعيف. وعمته كبشة مجهولة[٦]].

(١) (سنن الترمذى): ٤/ ٣٤١ - ٣٤٢، كتاب الطب، باب (٢١) ما جاء فى الحجامة، حديث رقم (٢٠٥١)، وقال فى آخره: وكان يحتجم لسبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين. قال أبو عيسى: وفى الباب عن ابن عباس ومعقل بن يسار، وهذا حديث حسن غريب.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) (سنن أبى داود): ٤/ ١٩٤، كتاب الطب، باب (٣) فى الحجامة، حديث رقم (٣٨٥٧).

(٤) (المرجع السابق): باب (٥) متى يُستحب الحجامة، حديث رقم (٣٨٦١)، وأخرجه الحاكم فى (المستدرك): ٤/ ٤٥٣، حديث رقم (٨٢٥٤).

(٥) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٨٦٢).

(٦) ما بين الحاصرتين من تعليق المقريزى رحمه الله.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/ ١١٥٢، كتاب الطب، باب (٢١) موضع الحجامة، =

وخرّج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن أبى الموالى، [قال:] حدثنى أيوب بن الحسن بن على بن أبى رافع، عن جدته سلمى، قالت: ما سمعتُ أحداً يشكو إلى رسول الله ﷺ وجعًا فى رأسه، إلا قال: احتجم، ولا وجعًا فى رجليه إلا قال: اخضبهما [بالحناء][2] قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1]. وقد احتج البخارى بعبد الرحمن بن أبى الموالى.

وخرَّج الحاكم من حديث أبى موسى عيسى بن عبد الله الخياط، عن محمد بن كعب القرظى، عن أبى سعيد الخدرى [رضى الله عنه قال:] إنَّ رسول الله ﷺ قال: المحجمة التى فى وسط الرأس من الجنون، والجذام، والنعاس، والأضراس، وكان يسميها: منقذة[3]. قال: هذا حديث صحيح الإسناد.

ومن حديث زكريا بن يحى الساجى، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحى، حدثنا غزال بن محمد، عن محمد بن جحادة، عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما] قال: [قال] نافع: قال لى ابن عمر: ابغنى حجَّامًا لا يكون غلامًا صغيراً، ولاشيخًا كبيراً، فإن الدم قد تبيَّغ بى، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحجامة تزيد فى العقل، وتزيد فى الحفظ، فعلى اسم الله احتجموا يوم [الاثنين] والثلاثاء، وما نزل جذام ولا برص إلا فى ليلة

= حديث رقم (٣٤٨٢)، عن الأصبغ بن نباته، قال فى الزوائد: فى إسناده أصبغ بن نباته الحنظلى، وهو ضعيف.

والأخدعان: عرقان فى صفحتى العنق، والكاهل: ما بين كتفى العنق، وقيل: هو الكتد.

(١) زيادة للسياق.

(٢) (المستدرك): ٤ / ٤٥١ – ٤٥٢، كتاب الطب، حديث رقم (٨٢٤٦).

(٣) (المستدرك): ٤ / ٢٣٤، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٧٨)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): عيسى فى الضعفاء لابن حبان وابن عدى.

الأربعاء[1].

قال الحاكم: رواة هذا الحديث كلهم ثقات، إلا غزال بن محمد، فإنه مجهول، لا أعرفه بعدالة ولا جرح، وقد صح الحديث عن ابن عمر [رضى الله عنهما] من قوله: من غير مسند ولا متصل[2]. [فذكره عن ابن عمر ثم قال: وقد أسند هذا الحديث عطَّاف بن خالد المخزومى عن نافع][3].

* * *

---

(١) (المستدرك): ٤ / ٢٣٤، كتاب الطب، حديث رقم (٧٤٧٩)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): غزال بن محمد مجهول.

(٢) (المرجع السابق): تعليقًا على الحديث رقم (٧٤٧٩).

(٣) ما بين الحاصرتين تعليق على الحديث رقم (٧٤٨٠)، من (المرجع السابق).

وأمـا الكَـيُّ والسُّـعُـوطُ

فخرج مسلم من حديث الأعمش عن أبى سفيان، عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أُبّى بن كعب [رضى الله عنه] ظبيًا، فقطع منه عرقًا [ثم كواه عليه](١). [وخرجه أبو داود بهذا الإسناد إلى قوله:] فقطع منه عرقًا ولم يذكر الكىّ(٢).

وفى لفظ مسلم، من حديث شعبة قال: سمعت سليمان قال: سمعت أبا سفيان قال: سمعت جابر بن عبد الله [رضى الله عنهما] قال: رُمى أبى يوم الأحزاب على أكحله، قال: فكواه رسول الله ﷺ(٣).

ومن حديث أبى خيثمة، عن أبى الزبير، عن جابر [رضى الله عنه] قال: رُمى سعد بن معاذ فى أكحله، [قال:] فحسمه رسول الله ﷺ بيده بمشقص، ثم ورمت، فحسمه الثانية(٤).

وخرّجه ابن أيمن ولفظه: أن النبى ﷺ كوى سعد بن معاذ مرتين(٥).

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٤٤٣، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء دواء، واستحباب التداوى، حديث رقم (٧٣)، وما بين الحاصرتين زياة للسياق منه.

(٢) (سنن أبى داود): ٤ / ١٩٧، كتاب الطب، باب (٦) فى قطع العرق وموضع الحجم، حديث رقم (٣٨٦٤).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٤ / ٤٤٤، كتاب السلام، باب (٢٦) لكل داء، واستحباب التداوى، حديث رقم (٧٤).

(٤) (المرجع السابق)، حديث رقم (٧٥).

(٥) أخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١٥٦، كتاب الطب، باب (٢٤) من اكتوى، حديث رقم (٣٤٩٤)، ولفظه: «إن رسول الله ﷺ كوى سعد بن معاذ فى أكحله مرتين».

وقد وردت أحاديث فى النهى عن [الكى][1].

---

(١) منهـا مـا أخـرجـه أبو داود فى (السنن) : ٤ / ١٩٧ - ٢٠٠، كـتـاب الطب، باب (٧) فى الكىّ، حديث رقم (٣٨٦٥)، عن عمران بن حصين قال : « نهى رسول الله ﷺ عن الكى، فاكتوينا، فما أفلحن وما أنجحن »، قال أبو داود : وكان يسمع تسليم الملائكة، فلما اكتوى انقطع عنه، فلما ترك رجع إليه.

وأخرجه الترمذى فى (السنن) : ٤ / ٣٤١، كتاب الطب، باب (١٠) ما جاء فى كراهية التداوى بالكى، حديث رقم (٢٠٤٩)، وفيه : « فابتلينا فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح، ثم قال :

حدثنا عبد القدوس بن محمد، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حُصين قال : نُهينا عن الكى.

قال أبو عيسى : وفى الباب عن ابن مسعود، وعقبة بن عامر، وابن عباس، وهذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن) : ٢ / ١١٥٤ - ١١٥٥، كتاب الطب، باب (٢٣) الكى، حديث رقم (٣٤٨٩)، « من اكتوى أو استرقى فقد برىء من التوكل »؛ يريد أن كمال التوكل يقتضى ترك الأدوية، ومن أتى بها فقد برىء من تلك المرتبة العظيمة من التوكل.

وحديث رقم (٣٤٩٠)، وهو حديث عمران بن الحصين المذكور فى الباب.

وحديث رقم (٣٤٩١) من حديث ابن عباس، وقال فى آخره : « وأنهى أُمتى عن الكى ».

قال الشيخ : إنما كوى ﷺ سعداً ليرقأ عن جرحه الدم، وخاف عليه أن ينزف فيهلك، والكى مستعمل فى هذا الباب، وهو من العلاج الذى تعرفه الخاصة وأكثر العامة، والعرب تستعمل الكى كثيراً فيما يعرض لها من الأدواء، وتقول فى أمثالها : « آخر الدواء الكى ».

وأما حديث عمران بن حصين فى النهى عن الكى، فقد يحتمل وجوهاً، أحدها : أن يكون من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره ويقولون : « آخر الدواء الكىّ »، ويرون أنه يحسم الداء ويُبرئة، وإذا لم يفعل ذلك عطب صاحبه وهلك، فنهاهم عن ذلك إذا كان على ذلك الوجه.

وأباح لهم استعماله على معنى التوكل على الله سبحانه، وطلب الشفاء، والترجى للبُرء بما يُحدث الله عزَّ وجلَّ من صنعه فيه، ويجلبه من الشفاء على أثره، فيكون الكى والدواء سبباً لا علة.

وهذا أمر قد تكثر فى شكوك الناس، وتخطىء فيه ظنونهم وأوهامهم، فما أكثر ما تسمعهم يقولون : لو أقام فلان بأرضه وبلده لم يهلك، ولو شرب الدواء لم يسقم، ونحو ذلك من تجريد إضافة الأمور إلى الأسباب، وتعليق الحوادث بها، دون تسليط القضاء عليها، وتغليب المقادير فيها، فتكون الأسباب أمارات لتلك الكوائن، لا موجبات لها، وقد بين الله جل جلاله ذلك فى كتابه حيث قال : =

[وقال ابن سعد : أخبرنا هاشم بن القاسم، حدثنا إسرائيل عن جابر، عن أبى جعفر قال : كان النبى ﷺ يستعط بالسمسم، ويغسل رأسه بالسدر](١) .

وأمَّا الحنَّاء

فخرَّج الإمام أحمد من حديث قائد مولى عبد الله بن على، عن أبى رافع، عن جدته سلمى [رضى الله عنها] قالت : كنتُ أخدم رسول الله ﷺ، فما كانت تصيبه قُرحةٌ ولا نكته، إلا أمرنى بأن أضع عليها الحناء. وتقدم فى الحجامة طرف من ذلك(٢) .

وأمَّا السَّفَرْجَلُ

فخرج البيهقى من طريق عبد الرحمن بن حماد بن عمران بن موسى [بن طلحة، عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله] قال : دخلت على رسول الله

= ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ [النساء : ٧٨]، وقوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حَسْرةً فى قلوبهم ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

وفيه وجه آخر وهو : أن يكون معنى نهى عمران بن حصين خاصة، عن الكى فى علة بعينها، لعلمه أنه لا ينجع، ألا تراه يقول : « فما أفلحنا ولا أنجحنا »، وقد كان به الناصور، فلعله إنما نهاه عن استعمال الكى فى موضعه من البدن.

والعلاج : إذا كان فيه الخطر العظيم كان محظوراً، والكى فى بعض الأعضاء يعظم خطره، وليس كذلك فى بعض الأعضاء، فيشبه أن يكون النهى منصرفا إلى النوع المخوف منه. والله تعالى أعلم (معالم السنن) مختصراً.

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ / ٤٤٨ .

والسعوط : ما يجعل فى الأنف مما يُتداوى به، وقد سبق شرحه وتخريج أحاديثه فى بابه.

(٢) سبق تعريف الحناء والكلام عنها فى الحجامة، وذكرنا ما قاله ابن القيم فى (زاد المعاد) : ٤ / ٨٩ – ٩٠، عن فوائدها ومنافعها.

ﷺ وفى يده سفرجلة، فألقاها إلىّ وقال: دونكها أبا محمد، فإنها تجمّ الفؤاد[١].

وخرّجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن حماد به مثله أو قريبًا منه [وقال: هذا حديث صحيح الإسناد][٢].

---

(١) وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ / ١١١٨، كتاب الأطعمة، باب (٦١) أكل الثمار، حديث رقم (٣٣٦٩)، ورواته قبل طلحة: نقيب بن حاجب، وأبو سعيد، وعبد الملك الزبيرى، ثلاثتهم مجاهيل.

(٢) (المستدرك): ٤ / ٤٥٦، كتاب الطب، حديث رقم (٨٢٦٥)، وما بين الحاصرتين ليست فى (المستدرك)، وسكت عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص)، وفى سنده عبد الرحمن بن حماد بن عمران بن موسى بن طلحة، قال أبو حاتم، منكر الحديث، وقال ابن حبان وغيره: لا يحتج به.

ورواه النسائى من طريق آخر، وقال: أتيتُ النبى ﷺ وهو فى جماعة من أصحابه، وبيده سفرجلة يقلبها، فلما جلستُ إليه، دحا بها إلىّ ثم قال: «دونكها أبا ذرّ، فإنها تشد القلب، وتطيب النفس، وتذهب بطحاء الصدر» وهو ضعيف أيضًا. قال العلامة ابن القيم: وقد روى فى السفرجل أحاديث أُخر، هذا أمثلها ولا تصح.

والسفرجل: بارد يابس، ويختلف فى ذلك باختلاف طعمه، وكله بارد قابض، جيد للمعدة، والحُلْوُ مِنْهُ أقل برودة ويُبسًا، وأميل إلى الاعتدال، والحامض أشدّ قبضًا وَيُبْسًا وبرودة، وكله يسكن العطش والقيء، ويدرُّ البول، ويعقب الطبع، وينفع من قرحة الأمعاء، ونفث الدم، والهيضة، وينفع من الغيثان، ويمنع من تصاعد الأبخرة إذا استُعمل بعد الطعام، وحُراقة أغصانه وورقه المغسول كالتوتياء فى فعلها.

وهو قبل الطعام يقبض، وبعده يلين الطبع، ويسرع بانحدار الثفل، والإكثار منه مضر بالعصب، مولد للقُولنج، ويطفيء المرة الصفراء المتولدة فى المعدة.

وإن شُوى كان أقل لخشونته، وأخف، وإذا قُوِّر وسطه، ونُزع حبه، وجعل فيه العسلُ، طُيِّن جرمه بالعجين وأودع الرماد الحار، نفع نفعًا حسنًا.

وأجود ما أكل مشويًا أو مطبوخًا بالعسل، وحبُّه ينفع من خشونة الحلق، وقصبة الرئة، وكثير من الأمراض، ودهنه يمنع العرق، ويقوى المعدة، والمربى منه يقوى المعدة والكبد، ويشد القلب، ويطيب النفس.

ومعنى تجم الفؤاد: تُريحه، وقيل: تفتحه وتوسعه من جمام الماء، وهو اتساعه وكثرته والطخاء للقلب مثل الغيم على السماء. قال أبو عبيد: الطخاء ثقل وغشى، تقول: ما فى السماء طخاء، أى: سحاب وظلمة (زاد المعاد): ٤ / ٣٢١.

فصل فى ذكر حركات رسول الله ﷺ وسكونه

[يقال أنه ﷺ كان إذا أراد الخروج من منزله امتشط، وسوى جُمَّتَهُ، وأصلح شعره، وقال: إن الله يحب من عبده أن يكون حسن الهيئة][(١)].

وأما عمله ﷺ فى بيته

فخرج البخارى من حديث إبراهيم عن الأسود، قال: سألتُ عائشة رضى الله عنها: ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته؟ قالت: كان يكون فى مهنة أهله تعنى خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. ذكره فى

---

(١) روى عن عائشة رضى الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يومًا إلى الصحابة، فكان ينظر فى جب الماء، ويسوى عمامته وشعره، فقالت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم» أخرجه ابن عدى فى (الكامل)، وذكره الإمام الغزالى فى (الإحياء)؛ مرة فى الطهارة، ومرة فى الرياء بالأصحاب والزائرين والمخالطين، ثم قال:

نعم هذا كان من رسول الله ﷺ عبادة، لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع، واستمالة قلوبهم، ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا فى اتباعه، فكان يجب عليه أن يُظهر لهم محاسن أحواله، لئلا تزدريه أعينهم، فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر، فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ، ولكنه لو قصد قاصد به أن يحسِّن نفسه فى أعينهم حذراً من ذمهم ولومهم، واستراحا إلى توقيرهم واحترامهم، كان قد قصد امرء مباحا، إذ للإنسان إن يحترز من ألم المذمة، ويطلب راحة الأُنس بالإخوان، ومهما استثقلوه واستقذروه. لم يأنس بهم. (إحياء علوم الدين): ٣/٤٦٤ - ٤٦٥، وما بين الحاصرتين لم يظهر فى التصوير الضوئى من النسخة (ج)، وقد استدركناه من النسخة (خ).

كتاب الصلاة[١]، وفى كتاب النفقات[٢]، وفى كتاب الأدب[٣]، بألفاظ متقاربة.

ولعبد الرَّزاق من حديث الزهرى، وهشام بن عروة، عن أبيه قال: سأل رجلٌ عائشة رضى الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يعمل فى بيته؟ قالت كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل فى بيته، كما يعمل أحدكم فى بيته[٤].

[وأما ما يقوله إذا دخل بيته ﷺ]

فخرّج الإمام أحمد من حديث مجالد، عن الشعبى، عن مسروق قال:

---

(١) (فتح البارى): ٢/٢٠٧، كتاب الأذان، باب (٤٤) من كان فى حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، حديث رقم (٦٧٦).

(٢) (المرجع السابق): ٩/٦٣٣، كتاب النفقات، باب (٨) خدمة الرجل فى أهله، حديث رقم (٥٣٦٣).

(٣) (المرجع السابق): ١٠/٥٦٥، كتاب الأدب، باب (٤٠) كيف يكون الرجل فى أهله؟ حديث رقم (٦٠٣٩).

قال ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع، والبعد عن التنعيم، وامتهان النفس، ليستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة، وقد أشير إلى ذمها بقوله تعالى: ﴿ **وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا** ﴾. وأخرج ابن حبان فى (الصحيح): ١٢/٤٤٨ - ٤٨٩، كتاب الحظر والإباحة، باب (٦) التواضع والكبر والعجب، ذكر ما يُستحبّ للمرء أن لا يأنف من العمل المستحقر فى بيته بنفسه وإن كان عظيماً فى أعين البشر، عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت: ما كان عمل رسول الله ﷺ فى بيته؟ قالت ما كان إلا بشراً من البشر، كان يَفلى ثوبه،ويحلب شاته، ويخدم نفسه [إسناده قوى على شرط مسلم].

وأخرجه أبو نعيم فى (حلية الأولياء) : ٨/٣٣١، فى ترجمة عبد الله بن وهب رقم (٤٢٨).

وأخرجه أبو الشيخ فى (أخلاق النبى): ٢١ من طريق عقيل بن خالد من طريق الزهرى قال: سُئلت عائشة رضى الله عنها: كيف كان خلق رسول الله ﷺ فى بيته؟ فقالت: كأحدكم، يرفع شيئا ويضعه ، وكان أحب العمل إليه الخياطة . وهذا منقطع بين الزهرى وعائشة.

(٤) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ١٢/٤٩٠، كتاب الحظر والإباحة، باب(٦) التواضع =

قلت لعائشة [رضى الله عنها] : هل كان رسول الله ﷺ يقول شيئا إذا دخل البيت؟ قالت : كان إذا دخل البيت تمثل : لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثا، ولا يملأ فمه إلا التراب، وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ويتوب الله على من تاب(١).

وله من حديث شريك، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن عائشة [رضى الله عنها] قالت : كان أول ما يبدأ به رسول الله ﷺ إذا دخل بيته السواك، وآخره إذا خرج من بيته الركعتين قبل الفجر(٢).

وأمَّا ما يقوله إذا خرج من بيته [ﷺ]

فخرج الترمذى من حديث سفيان، عن منصور، عن الشعبى، عن

= والكبر والعجب، ذكر خبر ثان يصرح بصحة ما ذكرناه، حديث رقم (٥٦٧٦) ولفظه : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين، أى شيء كان يصنع رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت : ما يفعل أحدكم فى مهنة أهله؛ يخصف نعله ويخيط ثوبه، ويرقع دلوه. [إسناده صحيح، وهو فى (مصنف عبد الرزاق) برقم (٢٠٤٩٢)].

وفى (الإحسان) : ذكر ما يجب على المرء من مجانبة الترفع بنفسه فى بيته عن خدمته، وإن كان له من يكفيه ذلك، حديث رقم (٥٦٧٧)، عن عائشة أنها سئلت : ما كان النبى ﷺ يعمل فى بيته؟ قالت : كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم. [إسناده صحيح على شرط الشيخين].

(١) (مسند أحمد) : ٧ / ٨٢، حديث رقم (٢٣٧٥٥).

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٤٢٧٤).

وأخرج ابن ماجة فى (السنن) ٢ / ١٢٧٩، كتاب الدعاء باب (١٩) ما يدعو به إذا دخل بيته، حديث رقم (٣٨٨٧) ، من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء، وإن دخل ولم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان : أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال : أدركتم المبيت والعشاء ».

« قال الشيطان » أى لأعوانه.

أم سلمة [رضى الله عنها قالت :] أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك من أن نَزِلَّ، أو نَضِلَّ، أو نَظْلم، أو نُظلم، أو نَجهل، أو يُجهل علينا . قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح(١) . وخرّجه النسائى مُسنداً

---

(١) (سنن الترمذى) : ٥ / ٤٥٦ ، كتاب الدعوات، باب (٣٥) ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم (٣٤٢٧).

وفى باب (٣٤) ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم (٣٤٢٦)، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ : من قال - يعنى إذا خرج من بيته -: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه.

ولأبى داود فى (السنن): ٥ / ٣٢٧، كتاب الأدب، باب (٢١١) ما يقول إذا خرج من بيته، حديث رقم (٥٠٩٤).

وله من حديث أنس بن مالك، قال: أن النبى ﷺ قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ : هُديت وكُفيت ووقيت، فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف برجل قد هُدى وكفى ووقى. حديث رقم (٥٠٩٥).

وعن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ : إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إنى أسألك خير المولْج وخير المخرج، بسم ولَجْنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله. حديث رقم (٥٠٩٦) .

ولابن ماجة فى (السنن) : ٢ / ١٢٧٨، كتاب الدعاء، حديث رقم (٣٨٨٤) عن أم سلمة، أن النبى ﷺ كان إذا خرج من منزله قال: اللهم إنى أعوذ بك أن أضِلّ أو أزِلّ، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل علىّ.

وحديث رقم (٣٨٨٥)، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته، قال: بسم الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، التكلان على الله، قال فى (الزوائد) : فى إسناده عبد الله بن حسين، ضعّفه أبوزرعة ، والبخارى، وابن حبّان.

وحديث رقم (٣٨٨) عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: إذا خرج الرجل من باب بيته أو من باب داره - كان معه ملكان موكلان به، فإذا قال: بسم الله، قالا: هُديت، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قالا: وُقيتَ، وإذا قال: توكلت على الله، قالا كُفيت . قال: فيلقاه قريناه فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هُدِى، وكُفى، ووُقِى؟ قال فى (الزوائد) : فى إسناده هارون بن هارون بن عبد الله، وهو ضعيف.

ومرسلا، وقال: اللهم إني أعوذ بك، بلفظ الإفراد في الجمع[1]،

(١) أخرج النسائي في (السنن): ٨/٦٦١ – ٦٦٢، كتاب الاستعاذة، باب (٣٠) الاستعاذة من الضلال، حديث رقم (٥٥٠١)، عن أم سلمة، أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله، رب أعوذ بك من أن أزل أو أضل، أو أظلم أو أُظلَم، أو أجهل أو يُجهَل عَلَيّ.

وأخرج ابن أبي شيبة في (المصنف): ٦/٢٦، كتاب الدعاء، باب (٩) ما يدعو به الرجل إذا خرج من منزله، حديث رقم (٢٩١٩٣)، عن أبي سعيد قال: من قال إذا خرج إلى الصلاة: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاى هذا، لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا رياء، ولا سمعة، خرجت ابتغاء مرضاتك، واتقاء سخطك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لايغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه حتى ينصرف، ووكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له.

وحديث رقم (٢٩١٩٥). عن كعب الأحبار، قال: إذا خرج من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، ولا قوة إلا بالله، بلَّغَتْ الشياطين بعضهم بعضا، قالوا: هذا عبد قد هُدى وحُفظ، وكُفى، فلا سبيل لكم عليه، فيتصدعون عنه.

وللحاكم في (المستدرك): ١/٧٠٠، كتاب الدعاء والتكبير في التهليل والتسبيح والذكر، حديث رقم (١٩٠٧)، عن الشعبي، عن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله، ربّ أعوذ بك أن أزل، أو أضل، أو أظلم، أو أظلم، أو أجهل أو يُجهل عليّ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وربما يتوهم متوهم أن الشعبي لم يسمع من أم سلمة، وليس كذلك، فإنه دخل على عائشة وأم سلمة جميعا، ثم أكثر الرواية عنهما جميعا.

قال الحافظ الذهبي في (التلخيص): على شرط البخاري ومسلم. وقد دخل الشعبي على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

وله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم (١٩٠٨)، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته يقول: بسم الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، التكلان على الله. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الحافظ الذهبي في (التخليص): على شرط مسلم. لكنه فيه عبد الله بن حسين، وهو ضعيف.

وفي (الإحسان): ٣/١٠٤، كتاب الرقائق، باب (٨) الأذكار، ذكر الشيء الذي يُهدى القائل به ويكفي ويوقى إذا قاله عند الخروج من منزله، حديث رقم (٨٨٢) عن إسحاق بن عبد الله بن =

وخرجه ابن أيمن.

* * *

= أبى طلحة عن أنس بن مالك، أن النبى ﷺ قال: إذا خرج من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال له: حسبُك، قد كُفيت، وهُديت، ووقيت، فيلقى الشيطان شيطانا آخر فيقول له: كيف لك برجل قد كُفِى وهُدى ووُقى». [رجاله ثقات، إلا أن ابن جريج مدلس، وقد عنعن عند الجميع].

وأمّا مشيه ﷺ

فلمسلم من حديث حسان، [قال:] حدثنا حماد، حدثنا ثابت، عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفَّأ، وما مسستُ ديباجة ولا حريرة ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممتُ مسكة، ولا عنبرة، أطيب من رائحة رسول الله ﷺ(١).

ولأبى داود من حديث وهب بن بقية، قال: أخبرنا خالد، عن حميد، عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان النبى ﷺ إذا مشى كأنه يتوكأ(٢).

وللترمذى من حديث عبد الوهاب الثقفى، عن حميد، عن أنس [رضى الله عنه] قال: كان النبى ﷺ رَبْعَةً، ليس بالطويل ولابالقصير، حسن الجسم، أسمر اللون وكان شعره ليس بجعد ولا سبط، كأنه إذا مشى [يتكفَّأُ](٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن

---

(١) سبق تخريجه وشرحه.

(٢) (سنن أبى داود): ٥/١٨٦ - ١٨٧، كتاب الأدب، باب (٣٥) فى هَدى الرَّجل، حديث رقم (٤٨٦٣)، وحديث رقم (٤٨٦٤) عن أبى الطفيل عامر بن واثلة رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ، قلت: كيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحا، إذا مشى كأنما يهوى فى صبوب.

قال الشيخ: «الصَّبوب» إذا فتحت الصاد: كان اسما لما يُصب على الإنسان من ماء ونحوه، ومما جاء على وزنه: الطَّهور والغسول والفَطور لما يفطر به.

ومن رواه (الصُّبوب) - بضم الصاد - على أنه جمع الصَّبَب، وهو ما انحدر من الأرض، فقد خالف القياس، لأن باب فَعَل لا يجمع على فُعول، وإنما يُجمع على أفعال، كسبب وأسباب، وقَتَب وأقتاب. وقد جاء فى أكثر الروايات: «كأنه يمشى فى صبب» وهو المحفوظ (معالم السنن).

وأخرجه مسلم بنحوه فى الفضائل، باب: كان ﷺ أبيض مليح الوجه، حديث رقم (٢٣٤٠). وقال مسلم: مات أبو الطفيل سنة مائة، وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخرجه الترمذى بنحوه كما سيأتى.

(٣) فى (الأصلين): «يتوطأ»، وما أثبتناه من (جامع الأصول).

صحيح(١).

ولأبى داود من حديث عبد الأعلى، أخبرنا سعيد، عن أبى الطفيل قال: رأيتُ رسول الله ﷺ، قلتُ: كيف رأيتَه؟ قال: كان [ﷺ] أبيض مليحًا، إذا مشى كأنما يمشى فى صَبُوب(٢).

ولابن أبى خيثمة، من حديث عبد الأعلى، عن الجريرى، عن أبى الطفيل، قال: رأيت رسول الله ﷺ، وما على وجه الأرض رجل رآه غيرى، [قال:] فقلت: كيف رأيتَه؟ قال: كان أبيض مليحًا، مقصَّدًا، إذا مشى كأنما يمشى فى صبب. وخرجه مسلم ولم يقل: إذا مشى(٣).

---

(١) (جامع الأصول): ١١/ ٢٢٨ - ٢٢٩، الفصل الرابع فى صفاته وأخلاقه ﷺ، حديث رقم (٨٧٨٥)، وأخرج البخارى قريبا منه فى المناقب، باب صفة النبى ﷺ، وفى اللباس، باب الجعد، ومسلم فى الفضائل باب صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٢٣٤٧)، والإمام مالك فى (الموطأ): ٦٥٩، باب ما جاء فى صفة النبى ﷺ من كتاب الجامع، حديث رقم (١٦٦٤)، وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٤/ ٢٠٤، كتاب اللباس، باب (٢١) ما جاء فى الجمة واتخاذ الشعر، حديث رقم (١٧٥٤)، قال: وفى الباب عن عائشة والبراء، وأبى هريرة، وابن عباس، وأبى سعيد، وجابر، ووائل ابن حُجر، وأم هانئ.

قال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث حميد.

وأخرجه الترمذى أيضا فى (الشمائل): ٢٨ - ٢٩، باب (١) ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢)، وهو حديث صحيح.

(٢) (سنن أبى داود): ٥/ ١٨٦ - ١٨٧، كتاب الأدب، باب (٣٥) فى هدى الرَّجْل، حديث رقم (٤٨٦٤)، وقد سبق شرح معنى «الصبوب».

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ١٠١، كتاب الفضائل، باب (٢٨) كيف كان النبى ﷺ أبيض مليح الوجه، حدث رقم (٩٩).

قوله: «مُقصَّدًا»: هو بفتح الصاد المشددة، وهو الذى ليس بجسيم، ولا نحيف، ولا طويل، ولا قصير، وقال شمر: هو نحو الرَّبعة، والقصد بمعناه، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى).

وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ١٤، باب (١)، ما جاء فى خَلْق رسول الله ﷺ، جديث رقم (٤١).

وللترمذى وبقى بن مخلد، من حديث ابن لهيعة عن أبى يونس، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: ما رأيتُ أحسن من رسول الله ﷺ، كأنما الشمس تجرى فى وجهه، وما رأيتُ أحداً أسرع [من رسول الله ﷺ] فى مشيته، كأنما الأرض تُطوى له، إنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث. قال الترمذى: هذا حديث غريب(١).

وقد رواه بقى بن مخلد، من حديث حرملة بن يحى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنى عمرو بن الحادث، أن أبا يونس مولى أبى هريرة حدثه عن أبى هريرة، أنه سمعه يقول: ما رأيت.. فذكره. فإسناد بقى هذا أجود من إسناد الترمذى، وإسناد بقى على شرط مسلم.

فقد روى مسلم عن حرملة بن يحى غير ما حديث، ولم يخرج هؤلاء البخارى من حديث ابن لهيعة شيئا. [وقال الحسين بن إسماعيل المحاملى: أخبرنا عبد الله بن جوير بن جبلة، أخبرنا ابن أبى بكير، أخبرنا يحى بن راشد، أخبرنا داود بن أبى هند، عن عكرمةو عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يمشى مشيًا يعرفُ فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان](٢).

ولتقى من حديث النضر بن شميل قال: أخبرنا صالح بن أبى الأخضر، عن ابن شهاب، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صُنع أو صيغ من فضة، رَجِل الشَّعْر، مغاص البطن، عظيم مشاس المنكبين، يطأ بقدميه جميعًا، إذا أقبل، أقبل جميعًا، وإذا أدبر، أدبر جميعًا.

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/٥٦٣، كتاب المناقب، باب (١٢) فى صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٦٤٨)، وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ١١٢؛ باب (١٩) ما جاء فى مشية رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٢٥) وهو حديث ضعيف الإسناد، رجال إسناده ثقات إلا عبد الله بن لهيعة فإنه ضعيف، ويمكن تحسينه من طرق.

(٢) ما بين الحاصرتين من (خ) وليس فى (ج).

قال مؤلفه [رحمه الله]: صالح بن أبى الأخضر اليمامى البصرى، مولى بنى أميةو يروى عن الزهرى، ونافع، وابن المنكدر، وجماعة. وعنه حماد ابن زيد، وابن المبارك، وروح بن عبادة، وعبد الرحمن بن مهدى، ووكيع، ويحى بن بشير العنبرى وجماعة.

قال أبو عثمان بن سعيد بن خالد السجستانى، فى سؤاله لابن معين، قلت: فصالح بن أبى الأخضر؟ قال: ليس بشىء فى الزهرى.

وقال ابن عدى: قال ابن معين: بصرى ضعيف، وقال معاذ بن معاذ: قال لى صالح بن أبى الأخضر: هذا الكتاب قرأه على الزهرى، وقرأته عليه، ولا أفضّل هذا من هذا.

وقال يحيى القطان، أتيته أنا ومعاذ وخالد، فأخرج إلينا حديث الزهرى فقال: منه ما سمعت، ومنه ما لم أسمع، ومنه عرض. وقال البخارى: ليس بشئ عن الزهرى، ومرة قال: ضعيف.

قال ابن عدى: وفى بعض أحاديثه ما ينكر عليه، وهو من الضعفاء الذى يكتب حديثهم[1]. انتهى [كلام المقريزى رحمه الله].

ولابن أبى شيبة من حديث شريك، عن عبد الملك بن عمير، عن نافع ابن جبير بن مطعم، عن على رضى الله عنه، أنه وصف النبى ﷺ [فقال:] كان عالى الهامة، أبيض، مشرباً حمرة، عظيم اللحية، ضخم الكراديس، شثن الكفين والقدمين، طويل المسربة، كثير شعر الرأس، رَجِلَهُ، يتكفّأ فى مشيته، كأنما ينحدر فى صبب، لا طويل، ولا قصير، لم أر مثله، قبله ولا بعده[2] ﷺ.

---

(١) صالح بن أبي الأخضر، له ترجمة في: (تهذيب التهذيب): ٤ / ٣٣٣ - ٣٣٤، ترجمة رقم (٦٥٠) وهو صالح بن أبى الأخضر اليمامي، مولي هشام بن عبد الملك.

(٢) (مصنف ابن أبى شيبة): ٦ / ٣٣٢، كتاب الفضائل، باب (١) ما أعطي الله تعالي محمداً ﷺ، =

وخرّجه الترمذى من حديث عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى، عن عثمان بن مسلم، عن نافع بن جبير، وفيه: إذا مشى تكفأ تكفيًا، كأنما انحط من صبب. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[(١)]. [من طريقين عن المسعودى به][(٢)].

وخرّج أبو بكر بن أبى شيبة، حديث علىّ هذا، من حديث عيسى بن يونس، عن عمر مولى عُفْرة، عن إبراهيم بن محمد، قال: كان على [رضى الله عنه] إذا نعت رسول الله ﷺ قال: ... فذكر الحديث، وفيه: إذا مشى تقلّع كأنما يمشى فى صبب، فإذا التفت التفت معًا[(٣)]. وذكره الترمذى من حديث عيسى بن يونس بسنده، ثم قال: هذا حديث ليس إسناده متصل[(٤)].

وخرَّج الحاكم من حديث ثابت البنانى، عن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمر، رضى الله [عنهما] قال: كان رسول الله ﷺ يكره أن يطأ أحد عقبه، ولكن يمين وشمال[(٥)]. [قال

= حديث رقم (٣١٧٩٨).

(١) (سنن الترمذى): ٥/٥٥٨ – ٥٥٩، كتاب المناقب، باب (٨) ما جاء فى صفة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٦٣٧).

(٢) زيادة للسياق من (سنن الترمذى).

وأخرجه أيضا فى (الشمائل): ٣١، باب (١) ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ، حديث رقم (٥)، وفى باب (١٩) ما جاء فى مشية رسول الله ﷺ، حديث رقم (٦٢)، وهو حديث صحيح، أخرجه أيضا أبو الشيخ فى (أخلاق النبى) ﷺ، ص ٩٣ – ٩٦ بنحوه.

(٣) (مصنف ابن أبى شيبة): ٦/٣٣٢، كتاب الفضائل، باب (١) ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ، حديث رقم (٣١٧٩٦).

(٤) (الشمائل المحمدية): ١١٢، باب (١٩) ما جاء فى مشية رسول الله ﷺ، حديث رقم (١٢٥).

(٥) (المستدرك): ٤/٣١١، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٧٤٤)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): كذا رواه شيبان عن سليمان.

الحاكم: صحيح على شرط مسلم][1].

وله من حديث إسماعيل بن [أمية]، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله [عنهما] قال: دخل رسول اله ﷺ المسجد، وأبو بكر رضى الله عنه عن يمينه، وعمر رضى الله عنه عن شماله، آخذاً بأيديهما فقال: هكذا نُبعث يوم القيامة[2]. [قال الحاكم: هذا حديث صحيح][3].

وخرّجه الترمذى من حديث سعيد بن مسلمة، عن إسماعيل بن [أمية]، عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنه] أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم، فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر [رضى الله عنهما] أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: هكذا نبعث يوم القيامة. [قال أبو عيسى: هذا حديث غريب [4]] سعيد بن مسلمة ليس عندهم بالقوى. وقد روى هذا الحديث [أيضا][5] من غير هذا الوجه، عن نافع، عن ابن عمر[6].

وخرّج الحاكم من حديث سعيد بن أبى مريم، حدثنا يحى بن أيوب، حدثنى حميد قال: سمعتُ أنسًا رضى الله عنه يقول: كان رسول الله

---

(١) هذه العبارة ليست فى (المستدرك).

(٢) (المستدرك): ٣ / ٧١ - ٧٢، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٤٤٢٨)، ولفظه: دخل رسول الله ﷺ المسجد وإحدى يديه على أبى بكر، والأخرى على عمر، فقال: « هكذا نبعث يوم القيامة ». قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): سعيد بن مسلمة القرشىّ ضعيف.

(٣) هذه العبارة ليست فى (المستدرك).

(٤) هذه العبارة ليست فى (سنن الترمذى).

(٥) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٦) (سنن الترمذى): ٥ / ٥٧٢، كتاب المناقب، باب (١٦) فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، حديث رقم (٣٦٦٩).

وأخرجه ابن ماجة فى (المقدمة من السنن)، باب فى فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

ﷺ إذا مشى كأنه يتوكأ. قال: هذا حديث صحيح[1] [على شرط الشيخين ولم يخرجاه][2].

ومن حديث سفيان عن الأسود بن قيس، عن نبيح، عن جابر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته مشينا قُدّامه ، وتركنا خلفه للملائكة[3]. وفى رواية : كان رسول الله ﷺ إذا خرج مَشْوا بين يديه، وخَلَّوْا ظهره للملائكة[4] وفى رواية أبى عوانة: عن الأسود بن قيس، عن نبيح، عن جابر [رضى الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ : امشوا أمامى، واخلوا ظهرى للملائكة. ومن حديث شعبة، عن الأسود، عن نبيح العنزى، عن جابر [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ لا تمشوا بين يدى ،لا خلفى، فإن هذا مقام الملائكة. ومن حديث شعبة، عن الأسود، عن نبيح العنزى ، عن جابر [رضى الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ لا تمشوا بين يدى ولا خلفى، فإن هذا مقام الملائكة. قال: هذا حديث صحيح[5].

وخرّجه الخطيب وقال: هذا حديث غريب، من حديث شعبة عن الأسود ابن قيس، لا أعلم رواه عنه غير خالد بن الحارث، وتفرد به أبو الأشعث عنه[6].

---

(١) (المستدرك): ٤/٣١٣، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٧٥٠).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك).

(٣) (المرجع السابق): ٣١٣، حديث رقم (٢٥٧٧).

(٤) (المستدرك): ٢/٤٤٦، كتاب التفسير، تفسير سورة لقمان، حديث رقم (٣٥٤٤) ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٥) (المرجع السابق): ٤/ ٣١٣ حديث رقم (٧٧٥٣) صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(٦) (تاريخ بغداد): ٥/١٦٣، فى ترجمة أحمد بن المقدام أبو الأشعث البصرى رقم (٢٦٠٩)، وفيه وفى (المستدرك): قال جابر: جئت أسعى إلى رسول الله ﷺ كانى شرارة.

وخرَّج الحاكم من حديث ابن وهب قال: أخبرنى عبد الجبار بن عمر الأيلى، عن محمد بن المنكدر، عن جابر [رضى الله عنه قال] كان رسول الله ﷺ إذا مشى لم يلتفت(١).

وخرَّج الإمام أحمد من حديث مكحول، عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة رضى الله عنها قالت: شرب رسول الله ﷺ قائمًا وقاعداً، ومشى حافيًا وناعلاً، وانصرف عن يمينه وعن شماله(٢).

وذكر ابن ذُبالة من حديث سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن دينار، أن النبى ﷺ كان يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبًا(٢).

* * *

(١) (المستدرك): ٤/٣٢٥، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٧٩٤)، قال الحاكم: لا أعلم أحداً رواه عن محمد بن المنكدر غير عبد الجبار، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): عبد الجبار بن عمر تالف.

(٢) سبق تخريجه.

وأما نَومُه ﷺ (١)

فخرّج الإمام أحمد من حديث همام قال: أخبرنا يحى بن أبى كثير، أن أبا سلمة حدثه، أن عائشة رضى الله عنها حدثته، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد، توضأ وضوءه للصلاة ثم يرقد(٢).

والذى فى الصحيحين، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب، توضأ وضوءه للصلاة قبل أن ينام(٣). وقد تقدم أنه كان يكتحل بالأثمد كل ليلة قبل أن ينام، فى كل عين ثلاثة أميال(٤).

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبى معاوية [قال:] حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان ضجاع النبى ﷺ الذى ينام عليه بالليل، من أدم محشو ليفاً(٥).

---

(١) كان ﷺ ينام أول الليل ويقوم آخره، وربما سهر أول الليل فى مصالح المسلمين، وكان تنام عيناه، ولا ينام قلبه. وكان إذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذى يستيقظ.

وكان إذا عرَّس بليل، اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قبيل الصبح نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه. وكان نومه أعدل النوم، وهو أنفع ما يكون من النوم، والأطباء يقول: هو ثلث الليل والنهار، ثمان ساعات. (زاد المعاد): ١/ ١٥٨ - ١٥٩، فصل فى هديه سيرته ﷺ فى نومه وانتباهه. والتعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة أو هو النزول.

(٢) (مسند أحمد): ٧/ ١٢٥، حديث رقم (٢٤٠٣).

(٣) (فتح البارى): ١/ ٥١٧، كتاب الغسل، باب (٢٧) الجنب يتوضأ ثم ينام، حديث رقم (٢٨٨)، قوله: «وضوءه للصلاة: أى توضأ وضوءاً شرعيا لا لغوياً.

(مسلم بشرح النووى): ٣/ ٢٢٠، كتاب الحيض، باب (٦)، جواز نوم الجنب، واستحباب الوضوء له، وغسل الفرج إذا أراد ان ياكل، أو يشرب، أو ينام، أو يجامع، حديث رقم (٢١، و ٢٢).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) (مسند أحمد): ٧/ ٧٣، حديث رقم (٢٣٦٨٩)، ٧/ ٨٤ حديث رقم (٢٣٧٧٢)، ٧/ ٢٩٦، =

ومن حديث عقيل، عن ابن شهاب،عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن النبى ﷺ إذا أتى فراشه فى كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما:

﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين] ، ثم يسمح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بها على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وأخرجاه فى الصحيحين، فذكره البخارى فى فضائل القرآن[١]، وفى التعوذ والقراءة عند النوم[٢]، وفى الطب[٣].

ولأحمد من حديث حماد بن سلمة، عن سهيل، عن أبى صالح، عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه [قال:] إن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم رب السموات السبع ورب الأرضين، وربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر

= حديث رقم (٢٥٢٠١) ٧/٣٠٣، حديث رقم (٢٥٢٤٥).

(١) (فتح البارى): ٩/٧٦، كتاب فضائل القرآن، باب (١٤) فضل المعوذات، حديث رقم (٥٠١٧).

(٢) (فتح البارى): ١١/١٥٠، كتاب الدعوات، باب (١٢) التعوذ والقراءة عند المنام، حديث رقم (٦٣١٩).

(٣) (فتح البارى): ١٠/٢٥٦ - ٢٥٧، كتاب الطب، باب (٣٩) النفث فى الرقية، حديث رقم (٥٧٤٨)، (الشمائل المحمدية) ٢١٨: حديث رقم (٢٥٨).

وقد ورد فى القراءة عند النوم عدة أحاديث صحيحة: منها حديث أبى هريرة فى قراءة آية الكرسى، وحديث ابن مسعود الآيتان من آخر سورة البقر، وحديث فروة بن نوفل عن أبيه: «أن النبى ﷺ قال لنوفل: اقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فى كل ليلة، ونم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك» أخرجه أصحاب السنن الثلاثة، وابن حبان والحاكم.

وحديث العرباض بن سارية: «كان النبى ﷺ يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد ويقول: فيهن آية خير من ألف آية» أخرجه الثلاثة.

وحديث جابر رفعه: «كان لا ينام حتى يقرأ ﴿آلم تنزيل﴾ أخرجه البخارى فى (الأدب المفرد)، وغير ذلك كثير على ما يلى .

كل ذى شر، أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء،وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننى من الفقر(١).

[و] أخرجه مسلم(٢)، ولفظه: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا [أن نقول:](٣) . . . فذكره. وخرجه الترمذى(٤) [أيضا](٣).

وخرّج مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس [رضى الله عنه]، أن رسول الله ﷺ، كان إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذى أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافئ له ولا مؤوى(٥). وخرجه الترمذى وقال: هذا حديث حسن غريب(٦).

وللبخارى من حديث أبى عوانه بن عبد الملك، عن ربعى، عن حذيفة [رضى الله عنه] قال: كان النبى ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده

---

(١) (مسند أحمد): ٣/٣٥٥، حديث رقم (١٠٥٤١).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٧/٣٩، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، والاستغفار، باب (١٧) ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٢٧١٣).

(٣) زيادة للسياق والبيان.

(٤) (سنن الترمذى): ٥/٤٤٠، كتاب الدعوات، باب (١٩) حديث رقم (٣٤٠٠) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/١٢٧٤ - ١٢٧٥، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٨٧٣)، (سنن أبى داود): ٥/٣٠١، كتاب الأدب، باب (١٠٧) ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٥١).

(٥) (مسلم بشرح النووى): ١٧/٤١، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث رقم (٢٧١٥).

(٦) (سنن الترمذى): ٥/٤٣٨، كتاب الدعوات، باب (١٦) ما جاء فى الدعاء إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٣٩٦)، وأخرجه أيضا فى (الشمائل المحمدية): ٢٢٠، باب (٤٠) ما جاء فى صفة نوم رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٦٠).

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٥/٣٠٢، كتاب الأدب، باب (١٠٧) ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٥٣).

تحت خده، ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور. ذكره فى كتاب الدعوات(١)، فى باب ما يقول إذا أصبح.

وله من حديث منصور، عن ربعى بن خراش، عن خرشة بن الحر، عن أبى ذرّ [رضى الله عنه] قال: كان النبى ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور. ذكره فى كتاب التوحيد(٢).

وخرّجه مسلم من حديث شعبة، عن عبد الله بن أبى السَّفر، عن أبى بكر بن أبى موسى، عن البراء. تفرّد به مسلم من حديث البراء(٣).

وللترمذى من حديث سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعى بن خراش عن حذيفة [رضى الله عنه]، أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن ينام، وضع يده تحت رأسه ثم قال: اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك، أو تبعث

---

(١) (فتح البارى): ١١/١٥٦، كتاب الدعوات، باب (١٦) ما يقول إذا أصبح، حديث رقم (٦٣٢٤)، (٦٣٢٥).

(٢) (فتح البارى): ١٣/ ٤٦٨، كتاب التوحيد، باب (١٣) السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، حديث رقم (٧٣٩٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٧/ ٣٨، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب (١٧) باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٢٧١١)

وأخرجه الترمذى فى (الشمائل): ٢١٨، باب ما جاء فى صفة رسول الله ﷺ حديث رقم (٢٥٧)، وفى (السنن): ٥/٤٤٨، باب (٢٨)، حديث رقم (٣٤١٧)

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٥/ ٣٠٠، كتاب الأدب، باب (١٠٧) ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٤٩).

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢/١٢٧٧، كتاب الدعاء، باب (١٦) ما يدعو به إذا انتبه من الليل، حديث رقم (٣٨٨٠).

وأخرجه أبو الشيخ فى (أخلاق النبى ﷺ): ١٦٧.

عبادك. قال: هذا حديث حسن(١).

وله من حديث أبى إسحاق، عن أبى بردة، عن البراء بن عازب [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ يتوسد يمينه ثم يقول: رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب(٢).

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/٤٣٩، كتاب الدعوات، باب (١٨) حديث رقم (٣٣٩٨)، وله من حديث أبى بردة عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يتوسد يمينه عند المنام ثم يقول: ربّ قنى عذابك يوم تبعث عبادك»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وروى الثورى هذا الحديث عن أبى إسحاق عن البراء، لم يذكر بينهما أحداً. وروى شعبة عن أبى إسحاق عن أبى عبيد ورجل آخر عن البراء.

وروى شريك عن أبى إسحاق عن عبد الله بن يزيد عن البراء وعن أبى إسحاق عن أبى عبيدة، عن عبد الله عن النبى ﷺ بمثله.

وأخرجه الترمذى أيضاً فى (الشمائل): ٢١٦، باب (٤٠) ما جاء فى صفة نوم رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٥٥).

وأخرجه ابن أبى شيبة فى (المصنف): ٦/٣٩ - ٤٠، كتاب الدعاء، باب (٢٣) ما قالوا فى الرجل إذا أخذ مضجعه وأوى إلى فراشه، ما يدعو به؟ حديث رقم (٢٩٣٠٠).

وأخرجه ابن حبان فى (الصحيح): ١٢/٣٣٠ - ٣٣١، كتاب الزينة والتطيب باب (١) آداب النوم، ذكر ما يقول المرء إذا أوى إلى مضجعه يريد النوم، حديث رقم (٥٥٢٢) عن البراء.

وحديث رقم (٥٥٢٣) فى ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر لم يسمعه أبو إسحاق عن البراء، فذكره، وقال فى هامشه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وهومكرر ما قبله.

وأخرجه أبو نعيم فى (حلية الأولياء): ٢/٣٤٤، فى ترجمة قتادة بن دعامة رقم (١٩٨)، وقال: تفرد به سعيد بن بشير عن قتادة، ٨/٢١٥، فى ترجمة محمد بن صبيح بن السماك رقم (٣٩٩) وقال: صحيح ثابت من حديث البراء، ولم نكتبه من حديث ابن السماك إلا من هذا الوجه، ٨/٣١٢، فى ترجمة بكر بن عياش رقم (٤٢١).

وأخرجه ابن ماجه فى (السنن): ٢/١٢٧٦، كتاب الدعاء باب (١٥) ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٨٧٧).

وأخرجه الحميدى فى (المسند): ١/٢١٠ - ٢١١، حديث رقم (٤٤٤) من أحاديث حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه.

(٢) (سنن الترمذى): ٥/٤٣٩، كتاب الدعوات، باب (١٨)، حديث رقم (٣٣٩٩)، وقد سبق ذكر تعليق الترمذى عليه فليراجع.

وروى الثورى هذا الحديث، عن أبى إسحاق، عن البراء، لم يذكر بينهما أحداً، وروى شعبة عن أبى إسحاق عن أبى عبيد، ورجل آخر، عن البراء، وروى شريك عن أبى إسحاق، عن عبد الله بن يزيد، عن البراء [رضى الله عنه] عن أبى إسحاق، عن أبى عبيدة وعن عبد الله، عن النبى [ﷺ] بمثله(١).

وللبخارى من حديث العلاء بن المسيب، حدثنى أبى عن البراء بن عازب [رضى الله عنهما قال:] كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه، نام على شقه الأيمن ثم قال: اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك، وفوضتُ أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذى أنزلت، ونبيك الذى أرسلت. وقال رسول اله ﷺ من قالهن ثم مات تحت ليلته، مات على الفطرة. ذكره فى كتاب الدعوات(٢).

وللترمذى من حديث حماد بن زيد، عن أبى لبابة قال: قالت عائشة رضى الله عنها: كان النبى ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبنى إسرائيل(٣).

---

(١) (المرجع السابق).

(٢) (فتح البارى): ١١ /١٣٩، كتاب الدعوات، باب (٩) النوم على الشق الأيمن ، حديث رقم (٦٣١٥).

وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٥ /٤٣٨، كتاب الدعوات، باب (١٦) ما جاء فى الدعاء إذا أوى إلى فراشه ، حديث رقم (٣٣٩٥)، وفيه: «فإن مات من ليلته دخل الجنة» وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من حديث رافع بن خديج رضى الله عنه.

وأخرجه ابن ماجة فى (السنن): ٢ /١٢٧٥ - ١٢٧٦، كتاب الدعاء، باب (١٥) ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم (٣٨٧٦) وقال فيه: «وإن أصبحت أصبحتَ وقد أصبتَ خيراً كثيراً».

(٣) (سنن الترمذى): ٥ /٤٤٦، كتاب الدعوات، باب (٢٢)، حديث رقم (٣٤٠٥)، ثم قال: أخبرنى محمد بن إسماعيل قال: أبو لبابة هذا اسمه مروان مولى عبد الرحمن بن زياد، وسمع من عائشة منه حماد بن زيد رضى الله عنه.

ومن حديث بقية بن الوليد، عن بجير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عبد الله بن أبى بلال، عن العرباض بن سارية [رضى الله عنه قال:] إن النبى ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول: [فيها] آية خير من ألف آية. قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب(١).

وخرجه النسائى وقال: خالفه معاوية بن صالح، فذكر حديث ابن وهب، قال: سمعتُ معاوية يحدث عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول: فيهن آية كألف آية. قال معاوية: إن بعض أهل العلم، كانوا يجعلون المسبحات ستًا: سورة الحديد، والحشر، والحواريون، وسورة الجمعة، والتغابن، و ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾(٢).

وخرّج الإمام أحمد من حديث ليث، عن أبى الزبير، عن جابر [رضى الله عنه] قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿ **الم تنزيل** ﴾ السجدة، و﴿ **تبارك الذى بيده الملك** ﴾(٣).

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٤٠٦).

وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٥/٣٠٤، كتاب الأدب، باب (١٠٧) ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٥٧).

وأخرجه الترمذى أيضا فى ثواب القرآن، باب فضل سورة الإسراء والمسبحات، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه النسائى فى (الكبرى)، عمل اليوم والليلة، باب ثواب من يأوى إلى فراشه فليقرأ سورة من كتاب الله حين يأخذ مضجعه.

قال الخطابى فى (معالم السنن): المراد بالمسبحات: السور التى افتتحت بسبحان، أو سبح، أو يسبح، وهن سبع سور: الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

(٣) (مسند أحمد): ٤/٢٩٨، حديث رقم (١٤٢٤٩) وعن ليث عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه، وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٥/٤٤٢، كتاب الدعوات. باب (٢٢)، حديث رقم (٣٤٠٤)، وفيه: «كان النبى ﷺ لا ينام حتى يقرأ بتنزيل السجدة وتبارك». =

وخرجه [الإمام أحمد][(١)] من حديث حسين المعلم، عن أبى بريدة قال: حدثنى ابن عمر [رضى الله عنهما] أن النبى ﷺ كان يقول إذا تبوأ مضجعه قال: الحمد لله الذى كفانى، وآوانى، وأطعمنى، وسقانى، والذى منَّ علىّ وأفضل، والذى أعطانى فاجْزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شىء، ومالك كل شىء، وإلَه كل شىء، [ولك كل شىء][(٢)]، أعوذ بك من النار[(٣)].

ومن حديث ابن لهيعة قال: حدثنى حُيّى بن عبد الله، عن أبى عبدالرحمن الحبلى، عن عبد الله بن عمرو [رضى الله عنهما قال:] أن رسول الله ﷺ كان إذا اضطجع للنوم يقول: باسمك [رب][(٤)] وضعتُ جنبى فاغفر لى[(٥)].

وللترمذى من حديث حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر بن عبد الله المزنى و عن عبد الله بن رباح، عن أبى قتادة أن النبى ﷺ كان إذا عرس بليل، اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرَّس قُبيْلَ الصبح، نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفه[(٦)]، وله فى (الشمائل) من حديث سلمة بن كُهَيل،

= قال أبو عيسى: هكذا روى سفيان وغير واحد هذا الحديث عن ليث عن أبى الزبير عن جابر، عن النبى ﷺ نحوه.

وروى زهير هذا الحديث عن أبى الزبير، قال: قلتُ له: سمعتُه من جابر؟ قال: لم أسمعه من جابر، إنما سمعته من صفوان أو ابن صفوان.

وروى شبابة عن مغيرة بن مسلم عن أبى الزبير عن جابر نحو حديث ليث.

(١) فى (الأصلين): «الترمذى»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) زيادة للسياق من (المسند).

(٣) (مسند أحمد): ٢/٢٦٥ - ٢٦٦، حديث رقم (٥٩٤٧).

(٤) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٥) (مسند أحمد): ٢/٢٦٥، حديث رقم (٦٥٨٣).

(٦) (الشمائل المحمدية): ٢٢٠، باب (٤٠) ما جاء فى صفة نوم رسول الله ﷺ، حديث رقم =

عن كُرَيب، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، فأتاه بلال فآذنة بالصلاة، فقام وصلى ولم يتوضأ[1].

وفى الحديث قصة[2] [وروى أنه ﷺ كان إذا جاء الشتاء دخل البيت ليلة الجمعة، وإذا لبس ثوبًا جديدًا، حمد الله تعالى، وصلى ركعتين، وكسا الخَلِق][3].

* * *

= (٢٦١).

وفى (مسلم بشرح النووى): ٥/١٩٨، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٥٥) قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، حديث رقم (٣١٣).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) ٦/٤٠٤، حديث رقم (٢٢٠٤٠)، ٦/٤٢٠، حديث رقم (٢٢١٢٦).

(١) (الشمائل المحمدية): ٢١٩، باب (٤٠) ما جاء فى صفة نوم رسول الله ﷺ، حديث رقم (٢٥٩).

(٢) هذه القصة مبثوثة فى كتب السيرة، ذكرها الإمام أحمد فى (المسند): ٦/٤٠٤، حديث رقم (٢٢٠٤٠)، وقد أمسكنا عن ذكرها لطولها واشتهارها.

(٣) ما بين الحاصرتين سقط فى النسخة (ج) ولم أجد لهذه العبارة تخريجًا ولا توجيهًا، والخلق: القديم.

وأما مَا يقوله [ﷺ] إذا استيقظ

تقدم حديث حذيفة [رضى الله عنه]، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور(١). وحديث أبى ذر [رضى الله عنه] بنحوه(١).

وخرج البخارى من حديث مالك، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب، [قال:] أن ابن عباس [رضى الله عنهما] أخبره أنه بات ليلة عند ميمونة [رضى الله عنها] وهى خالته، قال: فاضطجعت فى عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله فى طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شنٍّ معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام [يصلى]، قال ابن عباس [رضى الله عنهما:] فقمت فصنعتُ مثل ما صنع [رسول الله ﷺ]، ثم ذهبتُ فقمت إلى جنبه، فوضع [رسول الله ﷺ] يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى أَتاه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج، فصلى الصبح. ذكره فى كتاب الطهارة(٢)، وفى

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) (فتح البارى): ١ / ٣٨١، كتاب الوضوء، باب (٣٦) قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، حديث رقم (١٨٣).

قوله: «يمسح النوم» أى يمسح بيده عينيه، من باب إطلاق الحال على المحل، أو أثر النوم، من باب إطلاق السبب على المسبب. =

التفسير(١)، وخرّجه مسلم(٢) وأبو داود(٣).

وللإمام أحمد من حديث همام، حدثنا على بن زيد قال: حدثتنى أم محمد، عن عائشة [رضى الله عنها] أن النبى ﷺ كان لا يرقد ليلا ولا نهارًا، فيستيقظ إلا قوِّله تَسَوَّكَ(٤).

وأما أنَّ قلبه [ﷺ] لا ينام

فخرج البخارى ومسلم من طريق مالك، عن سعيد المقبرى، عن أبى سلمة، عن عائشة رضى الله عنها، [قالت:] إن النبى ﷺ قال لها:

= قوله: «ثم قرأ العشر آيات»: أولها ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾ إلى أخر السورة، قال ابن بطال ومن تبعه: فيه دليل على رد من كره قراءة القرآن على غير طهارة، لأنه ﷺ قرأ هذه الآيات بعد قيامه من النوم قبل أن يتوضأ.

وتعقبه ابن المنير وغيره بأن ذلك مفرع على أن النوم فى حقه ينقض، وليس كذلك، لأنه قال: «تنام عيناى ولا ينام قلبى»، وأما كونه توضأ عقب ذلك فلعله جدد الوضوء، أو أحدث بعد ذلك فتوضأ. والشنّ: القربة التى تبدت للبلاء. (فتح البارى).

(١) (المرجع السابق): ٨/٢٩٨، كتاب التفسير، باب (١٧) ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾، حديث رقم (٤٥٦٩).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٦/٣٠٠، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٦) الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (٧٦٥)، ولفظه: «عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال: لأرمُقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة، فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين، طويلتين، طويلتين، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم أوتر، فذلك ثلاث عشرة ركعة».

(٣) (سنن أبى داود): ٢/١٠٠، كتاب الصلاة، باب (٣١٦) فى صلاة الليل، حديث رقم (١٣٦٧)، وأخرجه ابن ماجة فى كتاب الصلاة: باب كم يصلى بالليل، حديث رقم (١٣٦٢).

(٤) (مسند أحمد): ٧/١٧٥، حديث رقم (٢٤٣٧٩).

ياعائشة، إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي[1].

ولابن الجارود من حديث يحى بن سعيد، عن ابن عجلان قال: سمعتُ أبى يحدث عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ تنام عينى، ولا ينام قلبى. وسيأتى إن شاء الله تعالى طرق من هذا الحديث.

***

(١) (جامع الأصول): ٦/٩٣، حديث رقم (١٤٩٨)، ضمن حديث طويل عن أبى سلمة: «أنه سأل عائشة: كيف كانت صلاة رسول اله ﷺ فى رمضان؟ قالت: ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلى أربعًا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى أربعًا لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى ثلاثًا، قالت عائشة: فقلت: يارسول الله! أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة، إن عينيّ تنامان وقلبى لا ينام» و٨/٥٤٠-٥٤١، حديث رقم (٦٣٤٦) وفيه: «ما رأينا عبداً قط أوتى مثل ما أوتى هذا النبى، إن عينيه تنامان، وقلبه يقظان» وحديث رقم (٦٣٤٧)، وفيه: «جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان».

وأما مناماته عليه السلام(١)

---

(١) سُئل ابن الصلاح عن تفسير قوله تعالى: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لايات لقوم يتفكرون﴾** [الزمر: ٤٢].

أجاب: الله يقبض الأنفس حين انقضاء أجلها بموت أجسادها، فلا يردها إلى أجسادها، والله يقبضها أيضا عند نومها، فيمسك التى قضى عليها الموت بموت أجسادها، فلا يردها إلى أجساها، ويرسل الآخرى التى لم تقبض بموت أجسادها حتى تعود إلى أجسادها، إلى ان ياتى الأجل المسمى لموتها.

﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾؛ لدلالات المتفكرين، على عظيم قدرة الله سبحانه، وعلى أمر البعث، فإن الاستيقاظ بعد النوم شبيه ودليل عليه.

وقد نُقل أن فى التوراة: ياابن آدم، كلما تنام تموت، وكلما تستيقظ تُبعث، فهذا واضح، والذى يشكل فى ذلك أن النفس المتوفاة فى المنام أهى الروح المتوفاة عند الموت؟ أم هى غيرها؟ فإن كانت هى الروح فتوفيها فى النوم يكون بمفارقتها الجسد أم لا؟ وقد أعوز الحديث الصحيح، والنص الصريح، والإجماع أيضا لوقوع الخلاف فيه بين العلماء:

فمنهم: من يرى أن للإنسان نفسًا تتوفى عند منامه، غير النفس التى هى الروح، والروح لا تفارق الجسد عند النوم، وتلك النفس المتوفاة فى النوم هى التى يكون بها التمييز والفهم، وأما الروح: فيها تكون الحياة، ولا تُقبض إلا عند الموت، ويروى معنى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما.

ومنهم: من ذهب إلى أن النفس التى تتوفى عند النوم هى الروح نفسها، واختلف هؤلاء فى توفيها:

فمنهم: من يذهب إلى أن معنى وفاة الروح بالنوم قبضها عن التصرفات مع بقائها فى الجسد، وهذا موافق للأول من وجه، ومخالف من وجه.

ومنهم: من ذهب إلى ان الروح تتوفى عند النوم، بقبضها من الجسد ومفارقتها له، وهذا الذى نجيب به، وهو الأشبه بظاهر الكتاب والسنة.

قال المفسرون: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فتتعارف ما شاء الله، فإذا أرادت جميعها الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله أرواح الأموات عنده، وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها.

فالفرق بين القبضتين والوفاتين أن الروح فى حالة النوم تفارق الجسد على أنها تعود إليه، فلا =

فخرج أبو عبد الله محمد بن عائد بن عبد الرحمن بن عبيد الله القُرشى، فى كتاب (المغازى)، قال: أخبرنى الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة، عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة بن الزبير، قال: إن الله تبارك وتعالى، بعث محمداً ﷺ، فأراه الله رؤيا فى المنام، فشق عليه ذلك، رأى بينا هو بمكة، أتى سقف بيته، فنُزع خشبة خشبة، حتى إذا فرغ، أدخل فيه سلم من فضة، ثم سوّل منه رجلان، فقال رسول الله ﷺ: فأردت أن أَستغيث، فحبسانى ومنعانى الكلام، وقعد أحدهما إلى كذا، وقعد الآخر إلى جنبى وأنا فرق، فأدخل أحدهما يده فى

= تخرج خروجًا ينقطع به العلاقة بينها وبين الجسد، بل يبقى أثرها الذى هو حياة الجسد باقيا فيه، فأما فى حالة الموت، فالروح تخرج من الجسد مفارقة له بالكلية، فلا تخلف فيه شيئًا من أثرها، فلذلك تذهب الحياة معها عند الموت دون النوم.

ثم إن إدراك كيفية ذلك والوقوف على حقيقة متعذر، فإنه من أمر الروح، وقد استأثر بعلمه الجليل تبارك وتعالى، فقال سبحانه: ﴿**قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأما قوله تعالى: ﴿**قالوا أضغاث أحلام**﴾ فإن الأَضغاث جمع ضغث وهو الحزمة التى تقبض من الحشيش ونحوه، والأحلام: جمع حلم، وهى الرؤيا مطلقًا، وقد تختص بالرؤيا التى تكون من الشيطان، فمعنى الآية أنهم قالوا للملك: إن الذى رأيته أحلام مختلطة ولا يصح تأوليها.

وقد أفرد بعض أهل التعبير اصطلاحًا لأضغاث الأحلام، من شأنها أنها لا تدل على الأمور المستقبلة، وإنما تدل على الأمور الحاضرة أو الماضية، ونجد معها أن يكون الرائى خائفًا من شيء. أو راجيًا لشيء.

وقال علىّ رضى الله عنه: فما رأته نفس النائم وهى فى السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهى الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها فى جسدها تُلْقيها الشياطين، وتخيل إليها الأباطيل، فهى الرؤيا الكاذبة.

وعن النبى ﷺ قال: كما تنامون فكذلك تموتون، وكما توقظون فكذلك تبعثون. وسُئل رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها. [قال فى (العلل المتناهية): وقد روى بإسناد أصلح من هذا] حديث رقم (١٥٥٣). (دلائل البيهقى): ٧/١١-٣١ هامش مختصراً.

جنبى، فنزع ضلعين من جانبى، كما ينزع غلق الصندوق الشديد، فأدخل يده فى جوفى، وأنا أجد بردها، فأخرج قلبى فوضعه على كفه، وقال لصاحبه: نعم القلب قلبه، قال: قلب رجل صالح، ثم أدخل القلب فى مكانه، وردّ الضلعين كما يرد غلق الصندوق الشديد، ثم ارتقيا، ورفعا السلم، فاستيقظتُ، فإذا سقف البيت كما هو، فقلتُ: حُلم](١).

[وذكره رسول الله ﷺ لزوجته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، فعصمها الله تعالى من التكذيب، وقالت: أبْشر، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، أخبرها أنه رأى بطنه طَهُر وغُسل ثم أعيد كما كان، فقالت: هذا والله خيراً فأبشر.](١).

[قال ابن عائذ: وأخبرنى محمد بن شعيب، عن عثمان بن عطاء، أنه أخبره عن أبيه عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: ثم بعث الله محمداً رسول الله ﷺ على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة، فكان أول شىء أراهُ الله تعالى إياه من النبوة، رؤيا فى المنام، فشق عليه ذلك، والحق ثقيل، والإنسان ضعيف، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لزوجته خديجة ابنة خويلد رضى الله عنها، فعصمها الله تعالى من التكذيب، فقالت: أبشر، فإن الله لا يصنع بك إلا خيراً، فحدَّثها أنه رأى بطنه طُهّر، وغسل، ثم أعيد كما كان، وقالت: وهذا والله خيراً](٢).

وخرَّج الحافظ أبو موسى، محمد بن أبى بكر بن أبى عيسى المدينى الأصبهانى، من طريق الفرج بن فضالة: حدثنا هلال أبو جبلة، عن سعيد ابن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ذات يوم، ونحن فى صُفّة بالمدينة، فقام علينا فقال: إنى

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج) وأثبتناه من (خ).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج)، وما أثبتناه من (خ).

رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه برّه بوالديه، فردّ ملك الموت عنه[١].

[ورأيتُ رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه، فاستنقذه من ذلك].

ورأيتُ رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين، فجاء ذكر الله عزَّ وجلَّ، فطرد الشياطين عنه[١]][٢].

ورأيتُ رجلا من أمّتى قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاتُه، فاستنقذته من أيديهم[٣].

ورأيتُ رجلا من أمتى يتلهث - وفى رواية يلهث - عطشًا، كلما دنا من حوض مُنع وطُرد، فجاء صيام شهر رمضان، فسقاه وأرواه[٤].

ورأيتُ رجلا من أمتى، ورأيتُ النبيين جلوسًا حلقًا حلقًا، كلما دنا إلى حلقة طُرد، فجاء غُسله من الجنابة، فأخذ بيده، فأقعده إلى جنبى.

ورأيتُ رجلاً من أمتى من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظُلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، وهو متحيّر [فيه]، فجاء حجّه وعمرته فأخرجاه من الظلمة، وأدخلاه فى النور.

ورأيت رجلا من أمتى يتقى بيده وجهه وهج النار وشررها، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار، [وظلاً] على رأسه[٥].

---

(١) (مجمع الزوائد) : ٧/١٧٩ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج)، وما أثبتناه من (خ).

(٣) اتحاف السادة المتقين) : ٨/١١٩ .

(٤) (المرجع السابق).

(٥) (مجمع الزوائد) : ٧/١٧٩ .

ورأيتُ رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المسلمين، إنه كان وصولا لرحمه فكلموه، فكلمه المؤمنون، وصافحوه، وصافحهم.

ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية، فجاء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذه من أيديهم، وأدخله فى ملائكة الرحمة(١).

ورأيتُ رجلا من أمتى جاثيًا على ركبتيه، وبينه وبين الله تعالى حجاب، فجاءه حُسنُ خُلقه، فأخذ بيده، فأدخله على الله عزَّ وجل(٢).

ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عزَّ وجل، فأخذ صحيفته، فوضعها فى يمينه(٣).

ورأيت رجلا من أمتى خفَّ ميزانه، فجاءه أفراطُه فَثَقَّلُوا ميزانه(٤).

ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله [عزَّ وجل]، فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلا من أمتى فى النار، فجاءته دمعته التى بكى من خشية الله [عزَّ وجلّ]، فاستنقذته من ذلك.

ورأيتُ رجلا من أمتى قائمًا على الصراط، يرعد كما [ترعد السعفة فى ريح عاصف، فجاءه حُسن ظنه بالله عزَّ وجلّ، فسكّن رعدته ومضى](٥).

[ورأيتُ رجلا من أمتى يزحف على الصراط، ويحبو أحيانًا، ويتعلق

---

(١) المرجع السابق.

(٢) (اتحاف السادة المتقين): ٧/٣٢٣.

(٣) (مجمع الزوائد): ٧/١٧٩.

(٤) (المرجع السابق).

(٥) (المرجع السابق).

أحيانًا فجاءته صلاته عليّ، فأقامته على قدميه، وأنقذته][(١)].

[ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة، فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة][(٢)].

[قال أبو موسى: هذا حديث حسن جداً، رواه عن سعيد بن المسيب، عمر بن ذرّ، وعلى بن زيد بن جدعان. قال: والفرج بن فضالة بن النعمان ابن نعيم، أبو فضالة،كان وسطًا فى الرواية، ليس بالقوى ولا المتروك. وأبو جبلة سعيد بن هلال، كأنه مدنى، لا يُعرف بغير هذا، ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه هكذا. وذكره الحاكم أبو عبد الله بغير هذا الحديث، وأحاله على مسلم بن الحجاج، ورواه عن الفرج بن فضالة، بشر بن الوليد بن خالد، أبو الوليد الكندى، قاضى بغداد، كان جميل [المذهب]، حسن الطريقة][(٢)].

[وخرّج مسلم[(٣)]، وأبو داود[(٤)]، من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول اله ﷺ: رأيتُ ذات ليلة فى ما يرى النائم، كأنَّا فى دَار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب، فأُوِّلَت الرفعة لنا فى الدنيا، والعاقبة فى الآخرة، وأن ديننا قد طاب][(٢)].

[وخرّج البخارى فى المناقب، فى باب: علامات النبوة فى الإسلام[(٥)]،

---

(١) (المرجع السابق).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط في (ج) واستدركناه من (خ).

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١٥ / ٣٦ - ٣٧، كتاب الرؤيا، باب (٤) رؤيا النبي ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٠).

(٤) (سنن أبي داود): ٥ / ٢٨٦، كتاب الأدب، باب (٩٦) ما جاء في الرؤيا، حديث رقم (٥٠٢٥)، وابن طاب: رجل معروف من أهل المدينة، نسب إليه نوع خاص من التمر. (معالم السنن).

(٥) (فتح الباري): ٦ / ٧٧٨، كتاب المناقب، باب (٢٥) علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٦٢٢).

من حديث حماد بن سلمة، وخرّج مسلم فى الرؤيا[1]، من حديث أبى أسامة، قالا جميعًا: عن بُريد، عن أبى بردة، [عن] جده، عن أبى موسى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: رأيتُ فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، [فذهب وهلى] أنها اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب، ورأيتُ فى رؤياى هذه، أنى هززتُ سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب به المؤمنون يوم أحد، ثم هززتُه أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيتُ أيضًا فيها بقرًا، والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أُحد، وإذا الخير ما جاء الله [به] من الخير بعد، وثواب الصّدق الذى أتانا الله بعد يوم بدر][2].

[وخرجه البخارى فى كتاب التعبير، فى باب: إذا رأى بقرًا تُنحر[3]، وفى باب: إذا هزّ سيفًا فى المنام[4]، من حديث أبى أسامة بهذا الإسناد،

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٥/٣٧ – ٣٨، كتاب الرؤيا، باب (٤) رؤيا النبى ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٢).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج) واستدركناه من (خ).

(٣) (فتح البارى): ١٢/٥٢١، كتاب التعبير، باب (٣٩) إذا رأى بقرًا تنحر، حديث رقم (٧٠٣٥).

(٤) (فتح البارى): ١٢/٥٢٨، كتاب التعبير، باب (٤٤) إذا هزَّ سيفًا فى المنام، حديث رقم (٧٠٤١)، قال الحافظ: ولما كان النبى ﷺ يصول بالصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – عبَّر عن السيف بهم، وبهزّه عن أمره لهم بالحرب، وعن القطع فيه بالقتل فيهم، وفى الهزة الأخرى لما عاد إلى حالته من الاستواء عبرَّ به عن اجتماعهم والفتح عليهم.

ولأهل التعبير فى «السيف» تصرف على أوجه: منها، أن من نال سيفًا فإنه ينال سلطانًا؛ إما ولاية، وإما وديعة، وإما زوجة، وإما ولداً فإن سله من غمده فانثلم سلمت زوجته وأصيب ولده، فإن انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس، وإن سلما أو عطبا فكذلك وقائم السيف يتعلق بالأب والعصبات، ونصله بالأم وذوى الرحم، وإن جرد السيف وأراد قتل شخص فهو لسانه يجرده فى خصومه، وربما عُبر السيف بسلطان جائر.

وقال بعضهم: من رأى أنه أغمد السيف فإنه يتزوج، أو ضرب شخصًا بسيف فإنه يبسط لسانه فيه، ومن رأى أنه يقاتل آخر وسيفه أطول من سيفه فإنه يغلبه، ومن رأى سيفًا عظيمًا فهى فتنة، =

وقال: عن أبى موسى، أُراه عن النبى ﷺ، وقال فيه وفى الذى قبله: فإذا هى اليمامة أو البحر. وقال: فإذا هم المؤمنون يوم أحد. وذكر طرفًا منه فى غزوة بدر(١) بهذا الإسناد وقال: أراه عن رسول الله [ﷺ]. وذكره أيضًا فى غزوة أُحد(٢).](٣).

[وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ للمسلمين بمكة: قد رأيت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان](٣).

وخرّج البيهقى من طريق عبد الله بن وهب قال: أخبرنى ابن أبى الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضى الله عنه قال: تنفل رسول اله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، قال ابن عباس: هو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد، وذلك أن رسول اله ﷺ، لما جاءه المشركون يوم أحد، كان رأىُ رسول اله [ﷺ] أن يقيم بالمدينة يقاتلهم فيها، فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً: يخرج بنا رسول الله نقاتلهم بأُحد، ورجوا أن يصيبوا من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته، ثم ندموا، وقالوا: يا رسول الله! أقم، فالرأى رأيك، فقال: ما ينبغى لنبى أن يضع أداته بعد أن لبسها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، قالوا: وكان مما قال لهم رسول الله لله، يومئذ قبل] أن يلبس الأداة: إنى رأيت أنى فى درع حصينة، فأولتها المدينة، وإنى مُردفٌ كبشًا، فأوّلته

= ومن قُلد سيفًا قُلد أمرًا، فإن كان قصيرًا لم يدم أمره، وإن رأى أنه يجر حمائله فإنه يعجز عنه. (فتح الباری).

(١) (فتح البارى): ٧/ ٣٩٠، كتاب المغازى، باب (١٠) بدون ترجمة، حديث رقم (٣٩٨٧).

(٢) (فتح البارى): ٧/ ٤٧٦، كتاب المغازى، باب (٢٧) من قُتل من المسلمين يوم أحد، حديث رقم (٤٠٨١).

(٣) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج)، واستدركناه من (خ).

كبش الكتيبة، [وإني] رأيتُ [أن] سيفي ذا الفقار فُلَّ، [فأولتُه] فَلاً فيكم، ورأيتُ بقراً تُذبح، فبقرٌ والله خيرٌ، فَبَقَرٌ والله خير(١).

ومن حديث حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: رأيتُ فيما يرى النائم، كأني مردف كبشًا، وكأن ظُبَّة سيفي انكسرت، فأولت أنّي أقتل كبش القوم، وأولت كسر ظُبَّة سيفي، قتل رجل من عترتي، فَقُتِل حمزة رضي الله عنه، وقُتِلَ طلحة، بن أبي طلحة ابن عبد العزى بن عثمان، بن عبد الله بن عبد العُزى، بن عثمان بن عبدالدار بن قصي [وكان] صاحب اللواء. وخرّجه الإمام أحمد به نحوه(٢).

وقال الواقدي في مغازيه – وقد ذكر غزاة أُحد – : وأَى رسول الله ﷺ رؤيا ليلة الجمعة، فلما أصبح واجتمع المسلمون وخطب فحدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر عن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: ظهر النبي ﷺ على المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني رأيتُ في منامي رؤيا، رأيتُ كأني في درع حصينة، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته، ورأيت بقراً تذبح، ورأيتُ كأني مردف كبشًا، فقال الناس: يا رسول الله! فما أولتها؟ قال [رسول الله ﷺ :] أما الدرع الحصينة، فالمدينة، فامكثوا فيها، وأما انقصام سيفي من عند ظبته، فمصيبة في نفسي، وأما البقر المذبّح، فقتلى في أصحابي، وأما مردف كبشًا، فكبش الكتيبة، نقتله إن شاء الله

---

(١) (دلائل البيهقي): ٣ / ٢٠٥، باب ذكر ما أرى رسول الله ﷺ في منامه من شان الهجرة وأُحد، وما جاء الله به من الفتح بعد.

(٣) (مسند أحمد): ١ / ٤٤٧، حديث رقم (٢٤٤١).

[تعالى][1].

حدثنى محمد بن عبد الله، عن الزهرى، عن عروة، عن المسور بن مخرمة، قال: قال النبى ﷺ: ورأيتُ فى سيفى فلا فكرهته، فهو الذى أصاب وجهه ﷺ[1].

وخرج البخارى فى كتاب (المغازى) فى وفد بنى حنيفة، وخرَّج مسلم أيضاً من حديث عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، أوتيتُ خزائن الأرض -وقال البخارى: فأوتيت بخزائن الأرض- فوضع فى يدى سوارين -وقال البخارى: فى كَفِّى سوارين- من ذهب، فكبرا علىّ وأهمانى، فأوحى إلى أن انفخهما، فنفختهما، فذهبا، فأولتهما الكذابين الذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة[2].

وخرج البخارى فى كتاب التعبير، من حديث عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون السابقون، وقال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، إذ أوتيتُ خزائن الأرض، فوضع فى يدى أسواران من ذهب، فكبرا علىّ.. الحديث إلى آخره، وترجم عليه باب: النفخ فى المنام.

---

(1) (مغازى الواقدى): 1 / 208 - 209، (سيرة ابن هشام): 4 / 8 رؤيا رسول الله ﷺ ومشاورته القوم، قال ابن هشام: «وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: رأيت بقرًا لى تُذبح؟ قال: فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى، فهو رجل من أهل بيتى يقتل.

(2) فتح البارى): 8/ 112، كتاب المغازى، باب (71) وفد بنى حنيفة، وحديث ثمامة بن أُثال، حديث رقم (4375).

وخرج البخارى فى كتاب التعبير، من حديث عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون السابقون، وقال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، إذ أوتيت خزائن الأرض، فوضع فى يدى أسواران من ذهب، فكبرا علىّ.. الحديث إلى آخره، وترجم عليه باب: النفخ فى المنام(١).

وخرّج فى باب: إذا رأى أنه أخرج الشيء من كورة، فأسكنه [موضعًا] آخر، من حديث موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال: إن النبى ﷺ قال: رأيتُ كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس، خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة -وهى الجحفة- فأولت أن وباء المدينة نقل إليها(٢)،

(١) (المرجع السابق): ١٢/ ٥٢٣، كتاب التعبير، باب (٤٠) النفخ فى المنام، حديث رقم (٧٠٣٧).

قوله: «فكبرا علىّ»، قال القرطبى: وإنما عظم عليه ذلك لكون الذهب من حليه النساء ومما حرم على الرجال.

قوله: «فأولتهما الكذابين»، قال القاضى عياض: لما كان رؤيا السوارين فى اليدين جميعًا من الجهتين، وكان النبى ﷺ حينئذ. بينهما فتأول السوارين عليهما لوضعهما فى غير موضعهما، لأنه ليس من حلية الرجال، وكذلك الكذب يضع الخبر فى غير موضعه، وفى كونهما من ذهب إشعار بذهاب أمرهما.

وقال ابن العربى: السوار من حلى الملوك الكفار، كما قال تعالى: ﴿**فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب**﴾. واليد لها معان: منها القوة، والسلطان، والقهر.

قال: ويحتمل أن يكون ضرب المثل بالسوار كناية عن الأسوار، وهو من أسامى ملوك الفرس، قال: وكثيرًا ما يُضرب المثل بحذف بعض الحروف.

وقال القرطبى فى (المفهم): مناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا أن أهل صنعاء وأهل اليمامة كانوا أسلموا، فكانوا كالساعدين للإسلام، فلما ظهر فيهما الكذابان، وبهرجا على أهلها بزخرف أقوالهما، ودعواهما الباطلة، انخدع أكثرهم بذلك، فكان اليدان بمنزلة البلدين والسواران بمنزلة الكذابين، وكونهما من ذهب إشارة إلى ما زخرفاه، والزخرف من أسماء الذهب.

(فتح البارى): مختصرًا، وأخرجه مسلم فى كتاب الرؤيا حديث رقم (٢٢٧٤).

(٢) (المرجع السابق): باب (٤١) إذا رأى أنه أخرج الشيء من كوة وأسكنه موضعًا آخر، حديث رقم (٧٠٣٨).

وخرّجه فى باب المرأة السوداء[١]، وفى باب المرأة الثائرة [بهذا] الإسناد نحوه[٢].

وخرَّج الترمذى من حديث عثمان بن عبد الرحمن، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن ورقة، فقالت له خديجة رضى الله عنها: إنه كان صدقك، ولكنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول الله ﷺ: أُريتُه فى المام وعليه ثياب بياض، ولو كان من أهل النار، لكان عليه لباس غير ذلك، قال: هذا حديث غريب. وعثمان ابن عبد الرحمن ليس عند أهل الحديث بالقوى[٣].

وخرّج مسلم[٤] والترمذى[٥] من طريق وهب بن جرير، [قال:] حدثنا أبى، عن أبى رجاء العطاردى، عن حمزة بن جُندب رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه، فقال: هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟ هذا آخر حديث لمسلم فى كتاب الرؤيا، ولم يذكر منه غير هذا الذى كتبناه، وهو أيضًا آخر حديث فى كتاب الرؤيا عند الترمذى ولفظه فيه: كان النبى ﷺ إذا صلى بنا الصبح، أقبل على الناس بوجهه وقال: هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟ ثم قال بعده: هذا حديث حسن[٦].

---

(١) (المرجع السابق): باب (٤٢) المرأة السوداء، حديث رقم (٧٠٣٩).

(٢) (المرجع السابق): باب (٤٣) المرأة الثائرة الرأس، حديث رقم (٧٠٤٠).

(٣) (سنن الترمذى): ٤ / ٤٦٨، كتاب الرؤيا، باب (١٠) ما جاء فى رؤيا النبى ﷺ الميزان والدلو، حديث رقم (٢٢٨٨).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ٤٠ كتاب الرؤيا، باب (٤) رؤيا النبى ﷺ، حديث رقم (٢٢٧٥).

(٥) (سنن الترمذى): ٤ / ٤٧١، كتاب الرؤيا، باب (١٠) ما جاء فى رؤيا النبى ﷺ الميزان والدلو، حديث رقم (٢٢٩٤)، وأخرجه البخارى فى الجنائز، باب ما قيل فى أولاد المشركين، وفى التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

(٦) راجع التعليق السابق.

قال: ويروى هذا عن عوف وجرير بن حازم، عن أبى رجاء، عن سمرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قصة طويلة. قال: وهكذا روى محمد بن بشار هذا الحديث عن وهب بن جرير مختصراً[1].

وخرجه البخارى فى باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وهو آخر أبواب كتاب التعبير، من حديث إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا عوف، حدثنا أبو رجاء، حدثنا سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ [يعنى مما] يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال: فقص عليه ما شاء الله [تعالى] أن يقص، وأنه قال لنا ذات غداة: إنه أتانى الليلة آتيان وأنهما ابتعثانى، وإنهما قالا لى: انطلق، وإنى انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم [عليه] بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى [يصح] رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل به [المرة] الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ فقال: قالا لى: انطلق.

قال: فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه، وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه، فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه -قال: وربما قال أبو رجاء: فيشق - قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصبح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لى: انطلق، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسب أنه كان يقول، فإذا فيه

---

(١) (سنن الترمذى): تعليقا على الحديث رقم (٢٢٩٤).

لغطٌ وأصواتٌ، قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء [عراة]، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا، قال: قلت لهم: ما هؤلاء؟ قال: قالا لى: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا، فأتينا على نهر حسبتُ كأن يقول: أحمر مثل الدم، وإذا فى النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع [حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة] فيفغر له فاه، فيلقمه حجراً، فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه، فألقمه حجراً، قال: قلت لهما: ما هذان؟ قال: قالا لى: انطلق، انطلق.

قال: فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راءٍ رجلاً مرآةً، وإذا عنده نار يحشها، ويسعى حولها، قال: قلت لهما: ما هذا؟ قال: قالا لى: انطلق، انطلق، فانطلقنا، فأتينا على روضة معتمة، فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهرى الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولاً فى السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدانٍ رأيتهم قط، قلتُ لهما: ما هذا؟ ما هؤلاء؟ قال: قالا لى: انطلق، انطلق.

فانطلقنا، فانتهينا إلى روضة عظيمة، لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لى: ارق، فارتقيت فيها، قال: فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب، ولبن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحنا، ففتح لنا، فدخلناها، فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راءٍ، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر، قال: وإذا نهر معترض يجرى، كأن ماءه المحض من البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا، فذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا فى أحسن صورة، قال: قالا لى: هذه جنة عدن وهذاك منزلك. قال: فسما بصرى صعدا، فإذا

قصر مثل [الربابة] البيضاء، قال: قالا لى: هذاك منزلك قال: قلت لهما: بارك الله فيكما، ذرانى فأدخله، قالا: أما الآن، فلا، وأنت داخله، قال: قلتُ لهما: فإنى قد رأت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذى رأيت؟ [قال:] قالا لى: إنا سنخبرك.

أما الرجل الأول الذى أتيت عله يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة.

وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه [ومنخره إلى قفاه]، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق.

وأما الرجال والنساء العراة، الذين فى مثل بناء التنور، [فهم] الزناة والزوانى.

وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجارة، فإنه آكل الربا.

وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه [مالك] خازن لجهنم.

وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة، فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود مات على الفطرة. قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله! وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين.

وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسناً، وشطر منهم قبيحاً، فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، تجاوز الله عنهم(١).

---

(١) (فتح البارى): ١٢/ ٥٤٢ - ٥٤٤، كتاب التعبير، باب (٤٨) تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث رقم (٧٠٤٧).

قوله: «باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح» فيه إشارة إلى ضعف ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر =

= عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمائهم، قال: «لا تقصص رؤياك على امرأة، ولا تخبر بها حتى تطلع الشميس».

وفيه إشارة إلى الرد على من قال من أهل التعبير: أن المستحب أن يكون تعبير الرؤيا من بعد طلوع الشمس إلى الرابعة [من الشروق]، ومن العصر إلى قبل المغرب، فإن الحديث دال على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس، ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها فى أوقات كراهة الصلاة.

قال المهلب: تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقات، لحفظ صاحبها لها، لقرب عهده بها، قبل ما يعرض له نسيانها، ولحضور ذهن العابر، وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه، وليعرف الرائى ما يعرض له بسبب رؤياه، فيستبشر بالخير، ويحذر من الشر، ويتاهب لذلك، فربما كان فى الرؤيا تحذير عن معصية فيكف عنها، وربما كانت إنذاراً لأمر فيكون له مترقباً.

[وقد] كان رسول الله ﷺ يجيد تعبير الرؤيا، وكان له مشارك فى ذلك منهم، لأن الإكثار من هذا القول لا يصدر إلا ممن تدرب فيه، ووثق بإصابته، كقولك: كان زيد من العلماء بالنحو، ومنه قول صاحبى السجن ليوسف عليه السلام: ﴿**نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين**﴾ [يوسف: ٣٦]، أى من المجيدين فى عبارة الرؤيا، وعلما ذلك مما رأياه منه، هذا من حيث البيان.

وأما من حيث النحو: فيحتمل أن يكون قوله: «هل رأى أحد منكم رؤيا» مبتدأ، والخبر مقدم عليه على تأويله هذا القول، مما يكثر رسول الله ﷺ أن يقوله.

قوله: «وإنهما ابتعثانى»، معنى ابتعثانى: أرسلانى، يقال: ابتعثه إذا أثاره وأذهبه، وقال ابن هبيرة: معنى ابتعثانى: أيقظانى، ويحتمل أن يكون رأى فى المنام أنهما أيقظاه، فرأى ما رأى فى المنام، ووصفه بعد أن أفاق على منامه كاليقظة، لكن لما رأى مثالاً كشفه التعبير دل على أنه كان مناماً.

قوله: «وإنى انطلقت معهما»، زاد جرير بن حازم فى روايته: «إلى الأرض المقدسة»، وعند أحمد: «إلى أرض فضاء أو مستوية»، وفى حديث على: «فانطلقا بى إلى السماء».

قوله: «وإنا أتينا على رجل مضطجع»، فى رواية جرير: «مستلق على قفاه».

قوله: «وإذا آخر قائم عليه بصخرة»، فى رواية جرير: «بفهر أو صخرة»، وفى حديث على: «فمررت على تلك وأمامه آدمى، وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمى».

قوله: «يهوى» بفتح أوله وكسر الواو، أى يسقط، يقال: هوى -بالفتح- يهوى هويا، سقط إلى أسفل. وضبطه ابن التين بضم أوله من الرباعى، وقال: أهوى من بعد، وهوى -بفتح الواو- نم قرب.

قوله: «بالصخرة لرأسه فيثلغ» - بفتح أوله وسكون المثلثة اللام بعدها غين معجمة - أى يشدخه، وقد وقع فى رواية جرير: «فيشدخ» والشدخ: كسر الشىء الأجوف. =

= قوله: «فيتدهده الحجر» - بفتح المهملتين بينهما هاء ساكنة - وفى رواية اللشمهينى : «فيتدأدأ» بهمزتين بدل الهائين، وفى رواية النسفى، وكذا هو فى رواية جرير بن حازم: «فيتدهدأ» بهاء ثم همزة، وكل بمعنى. والمراد: أنه دفعه من علو إلى أسفل، وتدهده إذا انحط، والهمزة تبدل من الهاء كثيراً، وتدأدأ تدحرج، وهو بمعناه.

قوله: «فيتبع الحجر» أى الذى رمى به «فيأخذه».

قوله: «فلايرجع إليه» أى إلى الذى شدخ رأسه.

قوله: «حتى يصح رأسه» ، وفى رواية جرير: «حتى يلتئم»، وعند أحمد: «عاد رأسه كما كان»، وفى حديث على: «فيقع دماغه جانبًا وتقع الصخرة جانبيًا». قال ابن العربى: جُعلت العقوبة فى رأس هذه النومة عن الصلاة.

قوله: «فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد»، وفى كتاب الجنائز ضبطه «كَلُّوبٌ»، ووقع فى حديث على : «فإذا أنا بملك وأمامه آدمى، وبيد الملَك كَلُّوب من حديد فيضعه فى شدقه الأيمن فيشقه».

قوله: «فيشرشر شدقه إلى قفاه» أى يقطعه شقًا، والشدق جانب الفم، وفى رواية جرير: «فيدخله فى شقه فيشقه حتى يبلغ قفاه».

قال ابن العربى: شرشرة شدق الكاذب إنزال العقوبة بمحل المعصية، وعلى هذا تجرى العقوبة فى الآخرة بخلاف الدنيا.

قوله: «وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا» بغير همز للأكثر وحكى الهمز، أى رفعوا أصواتهم مختلطة ، ومنهم من سهَّل الهمزة.

قال فى (النهاية) : الضوضاء أصوات الناس ولغطهم، وكذا الضوضى بلا همز مقصور.

وقال الحميدى: المصدر بغير همز.

قوله: «كريه المرآة» بفتح الميم وسكون الراء وهمزة ممدودة بعدها هاء تأنيث، قال ابن التين: أصله المرأية تحركت الياء ، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، وزنه مفعلة، أى قبيح المنظر.

قوله: «عنده نارٌ يحشها» قال الجوهرى: حششت النار أحشاها حشًا: أوقدتُها. وقال فى (التهذيب) : حششت الناد بالحطب : ضممتُ ما تفرق من الحطب إلى النار. وقال ابن العربى: حشَّ النار: حرَّكها.

قوله: «فأتينا على روضة معتمة» قال الحافظ : الذى يظهر أنه من العتمة وهو شدة الظلام، فوصفها بشدة الخضرة، كقوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن: ٦٤].

قوله: «فانتهينا إلى المدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة» اللبن بفتح اللام وكسر الموحدة جمع =

. . . .

= لبنة، وأصلها ما يبنى به من طين. قوله: «فلتقانا فيها رجال شطر من خَلقهم»، هذا الإطلاق يحتمل أن يكون المراد أن نصفهم حسن كله ونصفهم قبح كله، ويحتمل أن يكون كل واحد منهم نصفه حسن ونصفه قبيح - والثانى هو المراد، ويريده قوله فى صفتهم: «هؤلاء قوم خلطوا» أى عمل كل منهم صالحًا وخلطه بعمل سيء.

قوله: «فقعوا فى ذلك النهر» بصيغة فعل الأمر بالوقوع، والمراد أنهم ينغمسون فيه ليغسل تلك الصفة بهذا الماء الخاص.

قوله: «كان ماءه المحض» بفتح الميم وسكون المهملة بعدها ضاد معجمة، هو اللبن الخالص من الماء، حلواً كان أو حامضاً.

قوله: ذهب ذلك السوء عنهم، أى صار القبح كالشطر الحسن، فلذلك قال: وصاروا فى أحسن صورة.

قوله: فيرفضه» بكسر الفاء ويقال بضمها، قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة، لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن، عوقب فى أشرف أعضائه وهو الرأس.

قوله: «وينام عن الصلاة المكتوبة، هذا أوضح من رواية جرير بن حازم بلفظ: «وعلمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار».

فإن ظاهره أنه يعذب على ترك قراءة القرآن بالليل، بخلاف رواية عوف فإنه على تركه الصلاة المكتوبة، ويحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين؛ ترك القراءة وترك العمل.

قوله: «فهم الزناة» مناسبة العرى لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا لأن عادتهم أن يستتروا فى الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمة فى إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى.

قوله: «فإنه آكل الربا». قال ابن هبيرة : إنما عوقب آكل الربا بسباحته فى النهر الإحمر وإلقامه الحجارة، لأن أصل الربا يجرى فى الذهب، والذهب أحمر، وأما إلقام الملك الحجر، فإنه إشارة إلى أنه لا يغنى عنه شيئًا، وكذلك الربا، فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد، والله من ورائه محقه.

قوله: «خازن جهنم» إنما كان كريه الرؤية، لأن فى ذلك زيادة فى عذاب أهل النار.

قوله: «وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإنه إبراهيم» وإنما اختص إبراهيم ﷺ لأنه أبو المسلمين، قال تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ [الحج:٧٨]، وقال تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ [آل عمران: ٦٨]

قوله: «وأما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسن وشطراً منهم قبيح»، كذا فى الموضعين بنصب الشطر... ولغير أبى ذر «شطر» فى الموضعين بالرفع، و«حسنًا» و«قبيحًا» بالنصب، ولكل وجه.

. . . .

= وفى حديث أبى أمامة: « ثم انطلقنا، فإذا نحن برجال ونساء أقبح شيء منظراً وأنتنه ريحًا كأنما ريحهم المراحيض، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزوانى والزناة، ثم انطلقنا؛ فإذا نحن بموتى أشد شيئًا انتفاخًا وأنتنه ريحًا، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء موتى الكفار، ثم انطلقناه فإذا نحن برجال نيام تحت ظلال الشجر، قلت: ما هولاء؟ قال: هؤلاء موتى المسلمين، ثم انطلقناه، فإذا نحن برجال أحسن شيء وجهًا وأطيبه ريحًا، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء هم الصديقون والشهداء والصالحون ».

وفى هذا الحديث من الفوائد : أن الإسراء وقع مراراً، يقظة ومنامًا، على أنحاء شتى، وفيه أن العصاة يعذبون فى البرزخ.

وفيه نوع من تلخيص العلم، وهو أن يجمع القضايا جملة، ثم يفسرها على الولاء، ليجتمع قصورها فى الذهن، والتحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة، وعن رفض القرآن لمن يحفظه، وعن الزنا، وأكل الربا، وتعمد الكذب، وأن الذى له قصر فى الجنة لا يقيم فيه وهو فى الدنيا بل إذا مات، حتى النبى والشهيد.

وفيه الحث على طلب العلم ، واتباع من يلتمس منه ذلك، وفيه فضل الشهداء، وأن منازلهم فى الجنة أرفع المنازل، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أرفع درجة من إبراهيم عليه السلام، لا حتمال أن إقامته هناك بسبب كفالته الولدان، ومنزله هو فى المنزلة التى هى أعلى من منازل الشهداء ، كما تقدم فى الإسراء، أنه رأى آدم فى السماء الدنيا، وإنما كان كذلك لكونه يرى نسم بنيه من أهل الخير ومن أهل الشر، فيضحك ويبكى، مع أن منزلته هو فى عليين، فإذا كان يوم القيامة استقر كل منهم فى منزلته.

وفيه أن الاهتمام بأمر الرؤيا بالسؤال عنها، وفضل تعبيرها، واستحباب ذلك بعد صلاة الصبح، لأنه الوقت الذى يكون فيه البال مجتمعًا.

وفيه استقبال الإمام أصحابه بعد الصلاة إذا لم يكن بعدها راتبة، وأراد أن يعظهم أو يفتيهم، أو يحكم بينهم.

وفيه أن ترك استقبال القبلة للإقبال عليهم لا يكره، بل يشرع كالخطيب.

قال الكرمانى: مناسبة العقوبات المذكورة فيه للجنايات ظاهرة إلا الزنا ففيها خفاء، وبيانه أن العرى فضيحة كالزنا، والزانى من شأنه طلب الخلوة فناسب التنور، ثم خائف حذر حال الفعل كان تحته نار.

وقال أيضًا: الحكمة فى الاقتصار على من ذكر من العصاة دون غيرهم أن العقوبة تتعلق بالقول أو الفعل، فالأول: على وجود ما لا ينبغى منه أن يقال. والثانى: إما بدنىّ أو مالى، فذكر لكل منهم مثال ينبه به على من عداه، كما نبه بمن ذكر من أهل الثواب، وأنهم أربع درجات: درجات النبى،=

وخرجه في آخر كتاب الجنائز، في باب أولاد المشركين، من حديث جرير ابن حازم، عن أبي رجاء، بتقديم وتأخير، وزيادة بعض ألفاظ(١).

وخرّج في كتاب الإيمان، في باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، من حديث إبراهيم بن [سعد]، عن صالح، عن ابن شهاب، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنه سمع أبا سعيد الخدري [رضي الله عنه] يقول: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، رأيت الناس يُعْرضون عليّ، وعليهم قُمُصٌ، منها ما يبلغ الثُّدىَّ، ومنها مادون ذلك، وعرض عليَّ عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] وعليه قميص يَجُرُّه، قالوا: [فما] أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ قال [ﷺ] : الدين(٢).

وخرّجه في كتاب التعبير في باب القميص في المنام(٣)، من حديث إبراهيم، بسنده.. الحديث، ولم يقل: عليّ، وقال: ومرّ عمر بن الخطاب [رضي الله عنه]، وخرَّجه مسلم به(٤).

= ودرجات الأمة أعلاها الشهداء، وثانيها من بلغ، وثالثها من كان دون البلوغ (فتح الباري) مختصراً.

(١) (فتح الباري): ٣ / ٣٢١ - ٣٢٢، كتاب الجنائز، باب (٩٣) بدون ترجمة، حديث رقم (١٣٨٦).

(٢) (فتح الباري): ١ / ١٠٠، كتاب الإيمان، باب (١٥) تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، حديث رقم (٢٣).

(٣) (فتح الباري): ١٢ / ٤٨٨-٤٨٩، كتاب التعبير، باب (١٧) القميص في المنام، حديث رقم (٧٠٠٨).

قوله: « منها ما يبلغ الثديّ » بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء، جمع ثدى بفتح ثم سكون، والمعنى: أن القميص قصير جداً بحيث لا يصل من الحلق إلى نحو السرة، بل فوقها.

وقوله: « ومنها ما يبلغ دون ذلك » يحتمل أن يريد دونه من جهة السفل وهو الظاهر، فيكون أطول، ويحتمل أنه دونه من جهة العلو، فيكون أقصر، ويؤيد الأول ما في رواية الحكيم الترمذي من طريق أخرى، عن ابن المبارك، عن يونس عن الزهري، في هذا الحديث: « فمنهم من كان قميصه إلى سرته، ومنهم من كان قيمصه إلى ركبته، ومنهم من كان قميصه إلى « أنصاف ساقيه ».

(٤) (مسلم بشرح النووي): ١٥ / ١٦٨- ١٦٩، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر =

وخرّجه البخارى من حديث الليث، عن عُقيل عن ابن شهاب، قال: أخبرنى أبو أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبى سعيد الخدرى [رضى الله عنه] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم، رأيتُ الناس عُرضوا علىّ، وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدى، ومنها ما دون ذلك، وعرض على عمر وعليه قميص اجترّه، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين. ذكره فى كتاب التعبير، وترجم عليه باب: جر القميص فى [المنام][1].

وخرّج فى باب اللبن، من حديث يونس عن الزهرى، قال: أخبرنى حمزة ابن عبد الله، أن ابن عمر رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول اله ﷺ يقول: بينا أنا نائم، أتيت بقدح لبن فشربتُ منه، حتى إنى لأرى الرىّ يخرج فى أظافيرى، ثم أعطيت فضلى [يعنى] عمر رضى الله عنه، [قالوا]: فما أولته يا رسول الله؟ قال [ﷺ]: العلم[2]. و[خرجه] فى

= رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩٠).

(١) (فتح البارى): ١٢ / ٤٨٩-٤٩٠، كتاب التعبير، باب (١٨) جر القميص فى المنام، حديث رقم (٧٠٠٩).

(٢) (فتح البارى): ١٢ / ٤٨٦، كتاب التعبير، باب (١٥) اللبن، حديث رقم (٧٠٠٦).

قوله: « باب اللبن » أى إذا رؤى فى المنام بماذا يعبر؟ قال المهلب: اللبن يدل على الفطرة، والسنة، والقرآن، والعلم.

قال الحافظ: وقد جاء فى بعض الأحاديث المرفوعة تأويله بالفطرة، كما أخرجه البزار من حديث أبى هريرة رفعه: « اللبن فى المنام فطرة »، وعند الطبرانى من حديث أبى بكرة رفعه: « من رأى أنه شرب لبنًا فهو الفطرة، ومن حديث أبى هريرة: « أنه ﷺ لما أخذ قدح اللبن قال له جبريل: الحمد لله الذى هداك للفطرة ».

وذكر الدينورى: أن اللبن المذكور فى هذا يختص بالإبل، وأنه لشاربه مال حلال، وعلم، وحكمة. قال: ولبن البقر خصب السنة ومال حلال، وفطرة أيضًا. ولبن الشاة مال، وسرور، وصحة جسم. وألبان الوحش شك فى الدين، وألبان السباع غير محمودة، إلا أن لبن اللبؤة مال، مع عداوة لذى أمر.

قال ابن العربى: اللبن رزق يخلقه الله طيبًا بين أخباث من دم وفرث، كالعلم، نور يظهره الله =

المناقب[١]، وخرجه فى كتاب التعبير، فى باب إذا أعطى فضله غيره فى النوم[٢]، من حديث الليث عن عُقيل، عن ابن شهاب، وخرجه فى كتاب العلم، فى باب فضل العلم[٣]، كذلك.

وخرجه مسلم من حديث يونس عن ابن شهاب[٤]، ومن حديث الليث عن ابن عقيل، عن ابن شهاب[٥].

= فى ظلمة الجهل، فضرب به المثل فى المنام.

قال بعض العارفين: الذى خلص اللبن من بين فرث ودم قادر على أن يخلق المعرفة من بين شك وجهل، ويحفظ العمل عن غفلة وزلل، وهو كما قال؛ لكن اطردت العادة بأن العلم بالتعلم، والذى ذكره قد يقع خارقًا للعادة، فيكون من باب الكرامة.

وفى الحديث مشروعية قص الكبير رؤياه على من دونه، وإلقاء العالم المسائل واختبار أصحابه فى تأويلها، وأن من الأدب أن يرد الطالب علم ذلك إلى معلمه، قال: والذى يظهر أنه لم يُرد منهم أن يعبروها، وإنما أراد أن يسألوه عن تعبيرها، ففهموا مراده، فسألوه، فأفادهم، وكذلك ينبغى أن يسلك هذا الأدب فى جميع الحالات.

وفيه أن علم النبى ﷺ بالله لا يبلغ أحد درجته فيه، لأنه شرب حتى رأى الرى يخرج من أطرافه، وأما إعطاؤه فضله عمر، فيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله، بحيث كان لا يأخذه فى الله لومة لائم.

وفيه أن من الرؤيا ما يدل على الماضى، والحال، والمستقبل، وهذه أوِّلت على الماضى، فإن رؤياه هذه تمثيل بأمر قد وقع، لأن الذى أعطيه من العلم كان قد حصل له، وكذلك أعطيه عمر، فكانت فائدة هذه الرؤيا تعريف قدر النسبة بين ما أعطيه ﷺ من العلم، وما أعطيه عمر رضى الله عنه.. (فتح البارى) مختصراً.

(١) (فتح البارى): ٧/ ٥٠ كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشى العدوى رضى الله عنه، حديث رقم (٣٦٨١).

(٢) (فتح البارى): ١٢/ ٥١٦، كتاب التعبير، باب (٣٤) إذا أعطى فضله غيره فى النوم، حديث رقم (٧٠٢٧)، وقيل الرِّى اسم من أسماء اللبن.

(٣) (فتح البارى): ١/ ٢٣٨، كتاب العلم، باب (٢٢) فضل العلم، حديث رقم (٨٢).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ١٩٦، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩١).

(٥) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى الحديث السابق [بدون رقم].

وخرَّج الحاكم من حديث معتمر بن سليمان، حدثنا عبيد الله بن عمر، أنه سمع أبا بكر بن سالم يحدث عن أبيه، عن ابن عمر [رضى الله عنهما]، أن رسول الله ﷺ قال: إنى رأيت فى النوم أنى أعطيت عسًّا مملوءًا لبنًا، فشربتُ منه حتى تملأتُ، حتى رأيتُه فى عرق بين الجلد واللحم، ففضلت فضلة، فأعطيتها عمر بن الخطاب [رضى الله عنه]؟ فقال: أصبتم. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين[1]. ولم يخرجاه[2].

وخرَّجا من حديث يونس عن ابن شهاب، أن [سعيد] بن المسيب أخبره أنه سمع أبا هريرة [رضى الله عنه] يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم، رأيتنى على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله [تعالى]، ثم أخذها ابن أبى قحافة [رضى الله عنه]، فنزع منها ذنوبًا أو ذنوبين، وفى نزعه ضعف، والله [تعالى] يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربًا، فأخذها ابن الخطاب [رضى الله عنه]، فلم أر عبقريًا من الناس ينزع نزع عمر [رضى الله عنه]، [حتى] ضرب الناس بعطن. لفظهما فيه متقارب.

أورده البخارى فى مناقب أبى بكر رضى الله عنه[3]، وأورده فى كتاب

---

(١) (المستدرك) ٣/٩٢، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٤٤٩٦). قال الحافظ الذهبى فى (التخليص): على شرط البخارى ومسلم.

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك).

(٣) (فتح البارى): ٧/٢٦، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٥) قول النبى ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، حديث رقم (٣٦٦٤).

قوله: «وفى نزعه ضعف» أى أنه على مهل ورفق.

قوله: «والله يغفر له» قال النووى: هذا دعاء من المتكلم، أى أنه لا مفهوم له. وقال غيره: فيه إشارة إلى قرب وفاة أبى بكر، وهو نظير قوله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿فسبح بحمد ربك =

التعبير(١)، من حديث الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب. وخرّجه مسلم عن الليث أيضًا(٢)، وعن إبراهيم بن سعد، عن صالح، بإسناد يونس، نحو

= واستغفره إنه كان توابًا﴾، فإنها إشارة إلى قرب وفاة النبى ﷺ.

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أن قلة الفتوح فى زمانه لا صنع له فيه، لأن سببه قصر مدته، فمعنى المغفرة له رفع الملامة عنه.

قوله: «فاستحالت فى يده غَربًا» بفتح الغين المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة، أى دلوًا عظيمة.

قوله: «فلم أر عبقريًا» بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها قاف مفتوحة وراء مكسورة وتحتانية ثقيلة، والمراد به كل شيء بلغ النهاية، وأصله أرض يسكنها الجن، ضرب بها العرب المثل فى كل شيء عظيم. وقيل: قرية يعمل بها الثياب البالغة فى الحسن، والعطن: هو مناخ الإبل إذا شربت ثم صدرت.

قال البيضاوى: أشار بالبئر إلى الدين الذى هو منبع ماؤها حياة النفوس، وتمام أمر المعاش والمعاد، والنزع منه إخراج الماء، وفيه إشارة إلى إشاعة أمره وإجراء أحكامه، وقوله: «يغفر الله له» إشارة إلى ضعفه - المراد به الرفق - غير قادح فيه، أو المراد بالضعف ما وقع فى أيامه من أمر الردة، واختلاف الكلمة، إلى أن اجتمع ذلك فى آخر أيامه وتكمل فى زمان عمر، وإليه الإشارة بالقوة.

وقد وقع عند الإمام أحمد من حديث سمرة: «أن رجلا قال: يارسول الله، رأيت كأن دلوًا من السماء دليت، فجاءَ أبو بكر فشرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فشرب حتى تضلع».. الحديث، ففى هذا إشارة إلى بيان المراد بالنزع الضعيف والنزع القوى، والله تعالى أعلم. (فتح البارى) مختصراً.

(١) (فتح البارى): ١٢ / ٥١٢-٥١٣، كتاب التعبير، باب (٢٩) نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف، حديث رقم (٧٠٢١)، وفى هذا الحديث والذى قبله (٧٠٢٠): أنه من رأى أنه يستخرج من بئر ماءً أنه يلى ولاية جليلة، وتكون مدته بحسب ما استخرج قلة وكثرة، وقد تعبر البئر بالمرأة، وما يخرج منها بالأولاد، وهذا الذى اعتمده أهل التعبير، ولم يعرجوا على الذى قبله، فهو الذى ينبغى أن يعوَّل عليه، لكنه بحسب حال الذى نزع الماء. (فتح البارى) مختصراً.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٧٠، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩٢).

حديثه[١].

وخرّجه البخارى فى كتاب التوحيد، فى باب المشيئة والإرادة، من حديث إبراهيم بن سعد، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة [رضى الله عنه]، وقال فى آخره: حتى ضرب الناس حوله بعطن[٢].

وخرّجه مسلم[٣] من حديث إبراهيم، عن صالح، قال: قال الأعرج

---

(١) (المرجع السابق): الحديث الذى يلى السابق مختصراً بدون رقم.

قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبى ﷺ ومن بركته وآثار صحبته، فكان النبى ﷺ هو صاحب الأمر. فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الإسلام، ومهد أموره، وأوضح أصوله وفروعه، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا. وأنزل الله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ ثم توفى ﷺ فخلفه أبو بكر رضى الله عنه سنتين وأشهراً. وهو المراد بقوله: ﷺ ذنوبًا أو ذنوبين، وهذا شك من الراوى، والمراد ذنوبان كما صرح به فى الرواية الأخرى، وحصل فى خلافته قتال أهل الردة، وقطع دابرهم واتساع الإسلام، ثم تُوفى فخلفه عمر رضى الله عنه فاتسع الإسلام فى زمنه، وتقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله، فعبر بالقليب عن أمر المسلمين، لما فيها من الماء الذى به حياتهم وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقى لهم، وسقيه هو قيامه بمصالحهم. وتدبير أمورهم، وأما قوله ﷺ فى أبى بكر رضى الله عنه: «وفى نزعه ضعف»، فليس فيه حطٌ من فضيلة أبى بكر، ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس فى ولاية عمر لطولها ولاتساع الإسلام وبلاده، والأموال، وغيرها من الغنائم، والفتوحات، ومصّر الأمصار، ودوّن الدواوين.

وأما قوله: «والله يغفر له»، فليس فيه تنقيص له، ولا إشارة إلى ذنب، وإنما هى كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم، ونعمت الدعامة، كانوا يقولون: افعل كذا والله يغفر لك.

قال العلماء وفى كل هذا إعلام بخلافة أبى بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وبيان صفتها وانتفاع المسلمين بها. (شرح النووى على صحيح مسلم) مختصراً.

(٢) (فتح البارى): ١٣ / ٥٤٩ كتاب التوحيد، باب (٣١) فى المشيئة والإدارة، حديث رقم (٧٤٧٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢)، من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث [بدون رقم].

وغيره: إن أبا هريرة [رضى الله عنه] قال: إن رسول الله ﷺ، قال: رأيتُ ابن أبى قحافة [رضى الله عنه] ينزع.. بنحو حديث الزهرى.

وخرجه البخارى فى كتاب التعبير، فى باب الاستراحة فى المنام، من حديث عبد الرّزاق، عن معمر، عن همام أنه سمع أبا هريرة [رضى الله عنه] يقول: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، رأيتُ أنى على حوض أسقى الناس، فأتانى أبو بكر [رضى الله عنه]، فأخذ الدلو من يدى ليريحنى، فنزع ذنوبين، وفى نزعه ضعف، والله يغفر له، فأتى ابن الخطاب [رضى الله عنه]، فأخذ منه، فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض ينفجر(١).

وخرّجه مسلم من طريق عبد الله بن وهب قال: أخبرنى عمرو بن الحارث، أن أبا [يونس] مولى أبى هريرة [رضى الله عنه]، حدثه عن أبى هريرة [رضى الله عنه]، عن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم، أريت أنى أنزع على حوضى أسقى الناس، فجاءنى أبو بكر [رضى الله عنه]، فأخذ الدلو من يدى ليروِّحنى، فنزع دلوين وفى نزعه ضعف، والله يغفر له، فجاء ابن الخطاب [رضى الله عنه] فأخذه منه، فلم أر نزع رجل أقوى منه، حتى تولى الناس، والحوض ملآن يَتَفجَّر(٢).

وذكره البخارى فى مناقب عمر رضى الله عنه، من طريق [عبيد] الله ابن عمر قال: حدثنى [أبو بكر] بن سالم، عن سالم، عن عبد الله بن عمر

---

(١) (فتح البارى): ١٢ / ٥١٣، كتاب التعبير، باب (٣٠) الاستراحة فى المنام - حديث رقم (٧٠٢٢).

قوله: «الاستراحة فى المنام»، قال أهل التعبير: إذا كان المستريح مستلقيًا على قفاه فإنه يقوى أمره، وتكون الدنيا تحت يده، لأن الأرض أقوى ما يستند إليه، بخلاف ما كان مُنبطحًا فإنه لا يدرى ما وراءه.

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (١٨).

رضى الله [عنهما]، أن النبى ﷺ قال: أريت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة [على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له، ثم جاء عمر [رضى الله عنه] فاستحالت غربًا، فلم أر عبقريًا من الناس يفرى فَرِيَّه، حتى روى الناس وضربوا بعطن](1).

وخرّجاه من حديث موسى بن عقبة، عن سالم، عن أبيه، وخرّجه البخارى من حديث شعيب بن حرب، حدثنا صخر بن جويرية، حدثنا نافع أن ابن عمر [رضى الله عنهما] حدثه، قال: قال رسول اله ﷺ: بينما أنا على بئر أنزع منها إذ جاءنى أبو بكر وعمر [رضى الله عنهما] ، فأخذ أبو بكر [رضى الله عنه] الدلو، فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، وفى نزعه ضعف، فغفر الله له، ثم أخذها ابن الخطاب [رضى الله عنه] من يد أبى بكر، فاستحالت فى يده غربًا، فلم أر عبقريًا من الناس يفرى فريه، حتى ضرب الناس بعطن. ذكره فى كتاب التعبير فى باب نزع الماء من البئر حتى يروى الناس(2). وخرجه فى مناقب أبى بكر رضى الله عنه، من حديث وهب بن جرير، أخبرنا صخر عن نافع، أن عبد الله بن عمر [رضى الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: .. الحديث، وقال فيه: والله يغفر له، وقال فى آخره: فنزع حتى ضرب الناس بعطن، وقال بعد هذا: وقال وهب: العطن، مبرك الإبل، يقول: حتى رُويت الإبل فأناخت(3).

---

(1) (فتح البارى): ٧ / ٥٠)، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حديث رقم (٣٦٨٢).

(2) (فتح البارى): ١٢ /٥٠٩، كتاب التعبير، باب (٢٨) نزع الماء من البئر حتى يروى الناس، رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ، حديث رقم (٧٠١٩).

(3) (فتح البارى): ٧ /٢٦، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٥) قول النبى ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلا»، حديث رقم (٣٦٧٦).

وخرّج الحافظ ابن الجوزى وغيره، من طريق مطر الوراق وهشام، كلاهما عن ابن سيرين: عن أبى هريرة [رضى الله عنه]، عن النبى ﷺ قال: رأيت كأنى أنزع على غنم سود، وخالطها غنم عفر، إذ جاء أبو بكر [رضى الله عنه]، فنزع ذنوبين وفيهما ضعف، ويغفر الله له، إذ جاء عمر [رضى الله عنه]، فأخذ الدلو، فاستحالت غربًا، فأروى الناس، وصدر الشاء، فلم أر عبقريًا يفرى فريه، فقال رسول الله ﷺ: فأوّلت أن الغنم السوداء العرب، وأن العفر إخوانهم من هذه الأعاجم[(١)].

وخرَّج البخارى فى كتاب النكاح، فى باب الغيرة، من حديث يونس عن الزهرى، أخبرنى ابن المسيب، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس، فقال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم، رأيتنى فى الجنة[(٢)]. وخرجه مسلم فى المناقب، من حديث يونس، أن ابن شهاب أخبره عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة [رضى الله عنه]، عن رسول الله ﷺ أنه قال: بينا أنا نائم إذ رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر، فقلتُ: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب [رضى الله عنه]، فذكرت غيرة عمر، فوليتُ مدبرًا، قال أبو هريرة [رضى الله عنه]: فبكى عمر رضى الله عنه، ونحن جميعًا فى ذلك المجلس [مع رسول الله ﷺ][(٣)]، ثم قال عمر [رضى الله عنه] بأبى أنت يارسول الله، أعليك أغار[(٤)]؟

---

(١) (تاريخ أصفهان لأبى نعيم): ١ / ٨.

(٢) (فتح البارى): ٩ / ٤٠٠، كتاب النكاح، باب (١٠٨) الغيرة، حديث رقم (٥٢٢٧).

(٣) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٥ / ١٧٣، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩٥).

وقال البخارى: فبكى عمر [رضى الله عنه] وهو فى المجلس، وقال: أوعليك يارسول الله أغار؟[1]. ورواه مسلم أيضا من حديث صالح، عن ابن شهاب بهذا الإسناد مثله[2].

وخرجه البخارى من حديث الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب. ذكره فى كتاب بدء الخلق، فى باب صفة [الجنة][3]، وفى مناقب عمر [رضى الله عنه[4]، و] فى التعبير، فى باب القصر فى المنام[5].

وخرجه أيضًا فى التعبير، من حديث معمر، أخبرنا عبيد الله بن عمر، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: دخلتُ الجنة، فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لرجل من قريش، فما منعنى أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أعلم من

---

(١) (فتح البارى): ٩/ ٤٠٠، كتاب النكاح، باب (١٠٨) الغيرة، حديث رقم (٥٢٢٧).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ١٧٤، كتاب فضائل الصحابة باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، الحديث الذى يلى الحديث رقم (٢٣٩٥) [بدون رقم].

(٣) (فتح البارى): ٦/ ٣٩١، كتاب بدء الخلق، باب (٨) ما جاء فى صفة الجنة وأنه مخلوقة، حديث رقم (٣٢٤٢).

(٤) (فتح البارى): ٧/ ٥٠، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب (٦) مناقب عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٣٦٨٠).

(٥) (فتح البارى): ١٢/ ٥١٤، كتاب التعبير، باب (٣١) القصر فى المنام، حديث رقم (٧٠٢٣)، وهذه المرأة هى أم سليم، وكانت فى قيد الحياة حينئذ، فرآها النبى ﷺ فى الجنة إلى جانب قصر عمر، فيكون تعبيره بأنها من أهل الجنة، لقول الجمهور من أهل التعبير: أن من رأى أنه دخل الجنة أنه يدخلها، فكيف إذا كان الرائى لذلك أصدق الخلق.

وأما وضوئها فيعبر بنظافتها حسًا ومعنى، وطهارتها جسمًا وحكمًا، وأما كونها إلى جانب قصر عمر، ففيه إشارة إلى أنها تدرك خلافته، وكان كذلك.

قوله: «أعليك أغار» فهو من المقلوب لأن القياس أن يقول: أعليها أغار منك. وفى الحديث جواز ذكر الرجل بما علم من خلقه كغيرة عمه.

غيرتك، قال: وعليك أغار يا رسول الله[1]؟ وخرجه في النكاح، في باب الغيرة[2]. وخرجه مسلم من حديث سفيان، عن عمرو، وابن المنكدر [أنهما] سمعا جابراً [رضى الله عنه]، يخبر عن النبى فذكره[3].

وخرج الإمام أحمد من حديث سفيان، عن مجالد، عن الشعبى، عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما]، أن رسول الله ﷺ قال: رأيتُ كأنى أتيتُ بكثلة تمر، فعجمتها فى فمى، فوجدت فيها نواة آذتنى، فلفظتها، ثم أخذت فيها نواة، فلفظتها]، فقال أبو بكر رضى الله عنه: دعنى، فلأعبرها، فقال ﷺ: اعبرها، قال [رضى الله عنه:] هو جيشك الذى بعثت، يسلمون ويغنمون، فيلقون رجلاً، فينشدهم ذمتك، فيدعونه، ثم

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٧٠٢٤)، قوله: «القصر فى المنام» قال أهل التعبير: القصر فى المنام عمل صالح لأهل الدين، ولغيرهم حبس وضيق، وقد يفسر دخول القصر بالتزويج.

(٢) (فتح البارى): ٩/ ٣٩٩، كتاب النكاح، باب (١٠٨) الغيرة، حديث رقم (٥٢٢٦).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ١٥/ ١٧٢، كتاب فضائل الصحابة، باب (٢) من فضائل عمر رضى الله عنه، حديث رقم (٢٣٩٤).

قوله: «الغيرة بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها راء. قال عياض وغيره: هى مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. هذا فى حق الآدمى.

وأما فى حق الله تعالى، فقال الخطابى: أحسن ما يفسر به، ما فسر به، حديث أبى هريرة: «وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرَّم الله عليه».

قال عياض: ويحتمل أن تكون الغيرة فى حق الله الإشارة إلى تغير حال فاعل ذلك، وقيل: الغيرة فى الأصل الحمية والأنفة، وهو تفسر يلازم التغير فيرجع الغضب، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه فى كتاب العزيز الغضب والرضا.

وقال ابن العربى: التغير محال على الله بالدلالة القطعية، فيجب تأويله بلازمه، كالوعيد أو ايقاع العقوبة بالفاعل، ونحو ذلك.

ثم قال: ومن أشرف وجوه غيرته تعالى، اختصاصه قوماً بعصمته، يعنى فمن ادعى شيئا من ذلك لنفسه عاقبه، قال: وأشد الآدميين غيرة رسول الله ﷺ لأنه كان يغار لله ودينه، ولهذا كان لا ينتقم لنفسه ﷺ.

يلقون رجلاً فينشدهم ذمتك فيدعونه، ثم يلقون رجلاً فينشدهم ذمتك فيدعونه، قال ﷺ : كذاك قال الملك[1].

وخرج الإمام أحمد من حديث عبد الرزاق، وقال: أخبرنا معمر عن قتادة، عن الحسن بن عمران بن حصين، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: أكثرنا الحديث ذات ليلة، عند رسول الله ﷺ، ثم غدونا [إليه]، فقال: عرضت علىّ الأنبياء [الليلة][2] بأممها، فجعل النبى يمر ومعه الثلاثة [والنبى ومعه العصابة]، والنبى ومعه النفر، والنبى وليس معه أحد، حتى مرّ [علىّ][2] موسى عليه الصلاة والسلام، ومعه [كبكبة] من بنى إسرائيل، فأعجبونى، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل [لى][2] هذا أخوك موسى، معه بنو إسرائيل [قال][2] فقلت: أين أمتى؟ فقيل لى: أنظر عن يمينك، فنظرت، فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال [ثم قيل لى: انظر عن يسارك، فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال][2] فقيل لى: أرضيت؟ فقلت: رضيت يا رب، [قال:][2] فقيل لى: إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، فقال النبى ﷺ : فداكم أبى وأمى، إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف فافعلوا، فإن قصرتم، فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم، فكونوا من أهل الأفق، فإنى قد رأيت ثم ناسا يتهاوشون، فقام عكاشة بن محصن رضى الله عنه فقال: أدع الله لى يا رسول الله أن يجعلنى من السبعين فدعا له، فقام رجل آخر فقال: ادع الله يا رسول الله ﷺ أن يجعلنى منهم؟ فقال: قد سبقك بها عكاشة.

[ثم تحدثنا][2]، فقلنا: من ترون هؤلاء السبعين الألف. قوم ولدوا فى الإسلام، ثم لم يشركوا بالله شيئًا حتى ماتوا، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فقال

---

(١) (مسند أحمد): ٤/ ٣٩٧، حديث رقم (١٤٨٦٤)، وفيه: «يسلم ويغنم».

(٢) زيادة للسياق من (مسند أحمد).

ﷺ: هم الذين لا يَكْتَوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون(١).

وخرّج البخارى ومسلم، من حديث مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه [قال]: إن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان [رضى الله عنها] فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت [رضى الله عنهما]. [فدخل] عليها رسول الله ﷺ يومًا، فأطعمته، ثم جلست تفلى رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: يا رسول الله! ما يضحكك؟ قال: ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة فى سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة -يشك أيهما- قال: قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله [تعالى] أن يجعلنى منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه، فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة فى سبيل الله [تعالى]، كما قال فى [الأولى]، قالت: فقلت: يا رسول الله، أدع الله أن يجعلنى منهم، قال: أنت من الأولين، فركبت أم حرام بنت ملحان البحر فى زمن معاوية، [بن أبى سفيان] فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

خرجه البخارى بهذا السند فى باب الدعاء بالجهاد، والشهادة للرجال والنساء(٢)، وفى كتاب الاستئذان(٣)، وكذلك خرجه أبو

---

(١) (مسند أحمد): ١/ ٦٦٢ - ٦٦٣، حديث رقم (٣٧٩٦).

(٢) (فتح البارى): ٦/ ١٢، كتاب الجهاد والسير، باب (٣) الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، حديث رقم (٢٧٨٨)، (٢٧٨٩).

(٣) (فتح البارى): ١١/ ٨٣، كتاب الاستئذان، باب (٤١) من زار قومًا فقال عندهم، حديث رقم (٦٢٨٢)، (٦٢٨٣).

قوله: «قال عندهم» أى وقت القيلولة، والفعل الماضى منه ومن القول مشترك، بخلاف المضارع =

داود[1]، وخرجه الترمذى أيضا من حديث مالك، وقال: هذا حديث حسن صحيح[2]، وأخرجوه من حديث يحى بن سعيد الأنصارى، عن محمد بن يحى بن حبان، عن أنس رضى الله عنه[3]، وخرجه البخارى من حديث الليث، عن محمد بن يحى بن حبان، عن أنس، ومن حديث أبى إسحاق [بن] عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى، عن أنس رضى الله عنه[4].

= فقال يقيل: من القائلة، وقال يقول: من القول: وقد تلطف النضير المناوى حيث قال فى لغز.

قال قال النبى قولاً صحيحا قلتُ قال النبى قولاً صحيحا

قال المهلب: فى هذا الحديث مشروعية القائلة للكبير فى بيوت معارفه لما فى ذلك من ثبوت المودة، وتأكد المحبة.

قوله: «ثبج هذا البحر» الثبج بفتح المثلثة والموحدة ثم جيم: ظهر الشيء وقال الخطّابى: متن البحر وظهره، وقال الأصمعى: ثبج كل شيء وسطه، وقال أبو على فى (أماليه): قيل: ظهره، وقيل: معظمه، وقيل: هوله، وقال أبو زيد فى (نوادره): ضرب ثبج الرجل بالسيف أى وسطه، وقيل: ما بين كتفيه، والراجح أن المراد هنا ظهره، كما وقع فى التصريح به؛ والمراد أنهم يركبون السفن التى تجرى على ظهره. كما وقع فى التصريح به؛ والمراد أنهم يركبون السفن التى تجرى على ظهره. (فتح البارى) مختصراً.

(١) (سنن أبى داود): ٣/ ١٤، كتاب الجهاد، باب (١٠) فضل الغزو فى البحر، حديث رقم (٢٤٩٠)، (٢٤٩١) مختصراً.

(٢) (سنن الترمذى): ٤/ ١٥٢ - ١٥٣، كتاب فضائل الجهاد، باب (١٥) ما جاء فى غزو البحر، حديث رقم (١٦٤٥)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأم حرام بنت ملحان هى أخت أم سليم، وهى خالة أنس بن مالك رضى الله عنه.

(٣، ٤) (فتح البارى): ٦/ ٢١ - ٢٢، كتاب الجهاد والسير، باب (٨) فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم، حديث رقم (٢٧٩٩) و (٢٨٠٠).

وفى (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ٦١ - ٦٢، كتاب الإمارة، باب (٤٩) فضل الغزو فى البحر، حديث رقم (١٩١٢).

فى هذا الحديث معجزات للنبى ﷺ: منها إخباره ببقاء أمته بعده، وأنه تكون لهم شوكة وقوة =

. . . .

= وعدد، وأنهم يغزون، وأنهم يركبون البحر، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان، وأنها تكون معهم، وقد وجد بحمد الله تعالى كل ذلك.

وفيه فضيلة لتلك الجيوش، وأنهم غزاة في سبيل الله تعالى، واختلف العلماء متى جرت هذه الغزوة التي توفيت فيها أم حرام في البحر، قال أهل السير والأخبار: أن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه [كان ذلك في سنة (٢٨ هـ) وكان معاوية في هذه الغزوة ومعه زوجته فَاخِتَة، فأتى قبرص وفتحها، وتوفيت أم حرام بها ودفنت هناك وقبرها فيها يزار] (شرح النووي على صحيح مسلم) مختصراً.

وفي هذا الحديث جواز ركوب البحر للرجال والنساء، وكذا قاله: الجمهور وكره مالك ركوبه للنساء، لأنه لا يمكنهن غالبًا التستر فيه، ولا غض البصر عن المتصرفين فيه، ولا يؤمن انكشاف عوراتهن في تصرفهن، لا سيما فيما صغر من السفيان، مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال، [لكن في هذه الأيام فالسفن مجهزة بكافة حاجات الإنسان المعيشية خلال رحلته في الباخرة مهما طال وقتها، الأمر الذي تنتفي معه هذه الكراهة].

قال القاضي: وروى عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عنهما منع ركوبه، وقيل: إنما منعه العمران للتجارة وطلب الدنيا لا للطاعات.

وقد روى عن ابن عمر، عن النبي ﷺ النهي عن ركوب البحر، إلا لحاج أو معتمر أو غازٍ. وضعف أبو داود هذا الحديث وقال: رواته مجهولون. (شرح النووي على صحيح مسلم) مختصراً.

وهذا الحديث [حديث الباب] أخرجه أيضا كل من:

ابن ماجة في (السنن): ٢ / ٩٢٧، كتاب الجهاد، باب (١٠) فضل غزو البحر، حديث رقم (٢٧٧٦).

والنسائي في (السنن): ٦ / ٣٤٧ – ٣٤٩، كتاب الجهاد باب (٤٠) فضل الجهاد في البحر، حديث رقم (٣١٧١)، (٣١٧٢).

والدار قطني في (السنن): ٢ / ١٢٩، باب فضل غزاة البحر، حديث رقم (٢٤٢٦).

والإمام مالك في (الموطأ): ٣٠٩، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، حديث رقم (١٠٠٢) بسياقه أتم.

والإمام أحمد في (المسند): ٤ / ١٢٤، حديث رقم (١٣١٠٨)، ٤ / ١٦٥ – ١١٦، حديث رقم (١٣٣٧٩) كلاهما مختصر جداً.

وخرّج الحاكم من حديث عبد الله بن صالح قال: حدثنى الليث عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، عن عطاء، أن جابر بن عبد الله الأنصارى، رضى الله [عنهما]، قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ يومًا فقال: إلى رأيت فى المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسى، وميكائيل عليه السلام عند رجلى، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، مثلك ومثل أمتك، كمثل ملك اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول، من أجابك دخل [الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(1).

وخرّجه البيهقى من حديث عبد الله بن صالح، حدثنى الليث، حدثنى خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبى هلال، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن على بن الحسين، وتلا هذه الآية: ﴿**والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾، فقال: حدثنى جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا.. فذكر الحديث(2).

وخرّج البخارى من حديث سليم بن حبان، أخبرنا سعيد بن مينا [قال]: أخبرنا -أو سمعت- جابر بن عبد الله رضى الله عنها يقول: جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن

---

(1) (المستدرك) 2/ 369، كتاب التفسير، تفسير سورة يونس عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿**الله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾، حديث رقم (3299) باختلاف يسير فى اللفظ، وما بين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (الأصلين)، وصوبناه من (المستدرك)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): صحيح.

(2) هذه الفقرة هى صدر الحديث السابق رقم (3299) من (المستدرك).

العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعى، دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعى، لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها بفقهها، فقالوا: فالدار، الجنة، والداعى، محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً فقط أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس[1].

وخرّج الحاكم[2] من طريق محمد بن فضيل، عن حصين، بن عبد الرحمن عن ابن أبى ليلى، عن أبى أيوب رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: إنى رأيت فى المنام غنمًا سودًا، يتبعها غنم عفر، يا أبا بكر، أعبرها، فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا رسول الله، هى العرب تتبعك، ثم تتبعها العجم حتى تغمرها، فقال النبى ﷺ: هكذا عبرها الملك سحراً.

وخرّج من حديث عبد الرحمن، عن عبد الله بن دينار، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ غنما كثيرة سوداء، دخلت فيها غنمًا كثيرة بيض، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: [العجم يشركونكم فى دينكم وأنسابكم، قالوا: العجم يا رسول الله؟ قال: لو كان الإيمان معلقًا بالثريا لَنَالَهُ رجال من العجم وأسعدهم به الناس][3]. قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخارى

---

(١) (فتح البارى): ١٣/ ٣١٠ - ٣١١، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (٢) الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وقول الله تعالى: ﴿**واجعلنا للمتقين إمامًا**﴾ حديث رقم (٧٢٨١).

(٢) (المستدرك): ٤/ ٤٣٧، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (٨١٩٣)، وقد سكت عنه الذهبى فى التلخيص.

(٣) (المستدرك): ٤/ ٤٣٧، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (٨١٩٤)، وما بين الحاصرتين سياقه مضطرب فى (الأصلين) وصوبناه من (المستدرك)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط البخارى.

ولم يخرجاه.

وخرج من حديث يحى بن محمد بن يحى الذهلى، حدثنا مسدد، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن عوف، حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال: فيقص عليه من شاء، وإنه قال ذات غداة: أنه أتاني الليلة آتيان ملكان، فقعد أحدهما عند رأسى، والاخر عند رجلى، فقال الذى عند رجلى للذى عند رأسي: اضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته، كمثل قوم سُفَّر انتهوا إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبيناهم كذلك، إذ أتاهم رجل مرجل فى حلة حبرة، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضًا معشبة، وحياضًا رواءًا [أتتبعونى؟ فقالوا: نعم، فانطلق بهم فأوردهم رياضًا معشبة وحياضًا رواء]، فأكلوا، [وشربوا]، وسمنوا، فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال، فقلت لكم إن وردت بكم رياضًا عشبة، وحياضًا رواءا تتبعونى؟؟ قالوا: بلى، فقال: إن بين أيديكم رياضًا أعشب من هذا، وحياضًا أروى من هذه، فاتبعونى، فقالت طائفة: صدق والله، لنتبعن، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا، نقيم عليه(١). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه].

وخرّج الحاكم من طريق موسى بن يعقوب الزمعى، قال: أخبرنى هاشم ابن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتنى أم سلمة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم، فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد، ثم استيقظ وهو حائر،

---

(١) (المستدرك): ٤ / ٤٣٩، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (٨٢٠٠) وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (المستدرك) وقال الحافظ الذهبى فى التلخيص: على شرط البخارى ومسلم.

دون ما رأيتُ به المرة الأولى، ثم اضطجع، فاستيقظ، وفى يده تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرنى جبريل عليه السلام أن هذا يقتل بأرض العراق، للحسين رضى الله عنه، فقلت لجبريل: أرنى تربة الأرض التى يقتل بها، فهذه تربتها(١). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وخرج الترمذى من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أتانى الليلة ربى فى أحسن صورة، قال: أحسبه فى المنام [قال: كذا فى الحديث]، فقال: يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، فوضع يده بين كتفى، حتى وجدت بردها بين ثديى -أو قال: فى نحرى- فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض، قال: يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، قال: فى الكفارات والمفازات: المكث فى المساجد بعد الصلوات، والمشى على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء فى المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إنى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضنى إليك غير مفتون، قال: والدرجات، إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام(٢). قال أبو عيسى: وقد ذكروا بين أبى قلابة وبين ابن عباس رضى الله عنها فى هذا الحديث، [وقد رواه قتادة عن أبى

---

(١) (المستدرك): ٤/ ٤٤٠، كتاب تعبير الرؤيا، حديث رقم (٨٢٠٢) وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): مرَّ هذا على شرط البخارى ومسلم.

(٢) (سنن الترمذى): ٥/ ٣٤٢، كتاب تفسير القرآن، باب (٣٩) ومن سورة ﴿ص﴾، وحديث رقم (٣٢٣٣)، وما بين الحاصرتين فى آخره من (الترمذى).

قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس].

ثم ذكر من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة، عن أبى قلابة، عن خالد ابن اللجلاج، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] عن النبى ﷺ قال: أتانى ربى فى أحسن صورة فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربى وسعديك، قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: ربى لا أدرى، فوضع يده بين كتفى، فوجدت بردها بين ثديى، فعلمت ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد، فقلت: لبيك رب وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: فى الدرجات، والكفارات، وفى نقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء فى المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن يحافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه(١). قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وفى الباب: عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، وعبد الرحمن بن عائش، عن النبى ﷺ، وقد روى هذا الحديث [عن] معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى بطوله، وقال: إنى نعست فاستثقلت نومًا، فرأيت ربى فى أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟(٢).

وخرّج من طريق يحى بن أبى كثير، عن زيد بن سلام، عن أبى سلام، عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى، أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكى، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى، أى عين الشمس، فخرج سريعًا، فثوب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوز فى الصلاة، فلما

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/ ٣٤٢ - ٣٤٣، كتاب تفسير القرآن، باب (٣٩) ومن سورة ﴿ص﴾، حديث رقم (٣٢٣٤).

(٢) (المرجع السابق): ٣٤٣ تعليقًا على الحديث السابق رقم (٣٢٣٤).

سلم، دعا بصوته، قال لنا: على مصافكم، كما أنتم، ثم انفتل إلينا، ثم قال: أما [إنى] سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة، قال: إنى قمتُ من الليل فتوضأت، وصليت ما قدر لى، فنعست فى صلاتى حتى استثقلت، فإذا أنا بربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدرى، قالها ثلاثًا، قال: فرأيته وضع كفه بين كتفيّ، فوجدت برد أنامله بين ثديى، فتجلى لى كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: فى الكفارات، قال: ما هن؟ قلت: مشى الأقدام إلى الحسنات، والجلوس فى المساجد [بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات، قال: ثم فيم؟ قلت: إطعام الطعام] ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم إنى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لى وترحمنى، وإذا أردت فتنة فى قوم، فتوفنى غير مفتون، أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله ﷺ: إنها حق، فادرسوها، ثم تعلموها.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال: هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن [يزيد بن] جابر، قال: حدثنا خالد بن اللجلاج، قال حدثنى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى، قال: سمعت رسول الله ﷺ ... فذكر الحديث، وهذا غير محفوظ، هكذا ذكر الوليد فى حديثه، عن عبد الرحمن بن عائش قال: سمعتُ رسول الله ﷺ.

وروى بشر بن بكر، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر هذا الحديث بهذا الإسناد، عن عبد الرحمن بن عائش، عن النبى ﷺ، وهذا أصح.

وعبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبى ﷺ(١).

وخرج الإمام أحمد من حديث زهير بن محمد، عن يزيد بن يزيد بن جابر، عن خالد بن اللجلاج، عن عبد الرحمن بن عائش، عن بعض أصحاب النبى ﷺ، [قال:] إن رسول الله ﷺ خرج عليهم ذات غداة وهو طيب النفس، مشرق الوجه، أو مسفر الوجه، فقلنا: يا رسول الله! إنا نراك مسفر الوجه، أو مشرق الوجه، فقال: وما يمنعنى وأتانى ربى عز وجل الليلة فى أحسن صورة، فقال: يا محمد، فقلت: لبيك ربى وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدرى، أى رب، قال ذاك مرتين أو ثلاثًا، قال: فوضع كفه بين كتفى، فوجدت بردها بين كتفى، حتى تجلى لى ما فى السموات والأرض [وليكون من الموقنين] قال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: فى الكفارات، قال: وما الكفارات؟ قلت: المشى على الأقدام، والجلوس فى المسجد خلاف الصلوات، وإسباغ الوضوء فى المكاره، فمن فعل ذلك عاش بخير، [ومات بخير]، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، وقال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إنى أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تتوب علىّ، وإذا أردت فتنة فى الناس، فتوفنى غير مفتون(٢). [قال: والدرجات بذل الطعام،

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/ ٣٤٣ - ٣٤٤، كتاب تفسير القرآن، باب (٣٩) ومن سورة ﴿ص﴾، حديث رقم (٣٢٣٥).

والملأ الأعلى: الملائكة المقربون، واختصامهم إما عبارة عن تبادرهم إلى إثبات تلك الأعمال والصعود إلى السماء، وإما عن تقاولهم فى فضلها وشرفها، وقد سماها مخاصمة، لأنه ورد مورد سؤال وجواب، وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة، فلهذا أحسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه (زاد المعاد): ١/ ١٣٧.

(٢) (مسند أحمد): ١/ ٦٠٧، حديث رقم (٣٤٧٤)، بزيادة ونقصان.

وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام] (١).

وقال الواقدى فى غزوة الطائف : وكان رسول الله ﷺ قال لأبى بكر رضى الله عنه : إنى رأيت أنى أهديت لى قعبة مملوءة زبداً، فنقرها ديك، [فأهراق] ما فيها، قال أبو بكر [رضى الله عنه] : ما أظن أن تدرك منهم يا رسول الله يومك هذا ما تريد، قال أبو بكر رضى الله عنه : وأنا لا [أرى] ذلك(٢).

وخرّج الإمام أحمد [رحمه الله]، من حديث حماد بن سلمة، حدثنا الأشعث بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : إن رجلاً قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت كأن دلواً دليت من السماء، فجاء أبو بكر رضى الله عنه، فأخذ بعراقيبها، فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر رضى الله عنه، فأخذ بعراقيبها، فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان رضى الله عنه، فأخذ بعراقيبها، فشرب، فانتشطت منه، فانتضح عليه منها شيء(٣). [ثم جاء على فأخذ بعراقيبها، فانتشطت وانتضح عليه منها شيء](٤).

وخرّج الإمام أحمد من حديث اسماعيل بن عياش : سمعتُ عمرو بن [العاص] رضى الله عنه يقول : سمعتُ عن عبد الله بن الحرث، قال :

---

(١) زيادة للسياق من (المسند). وأخرجه أيضا فى (المسند) : ٦ / ٣٢٢ - ٣٢٣، حديث رقم (٢١٦٠٤) بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير.

(٢) (مغازى الواقدى) : ٣ / ٩٣٦، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٣) (مسند أحمد) : ٥ / ٦٥٣، حديث رقم (١٩٧٣٠) باختلاف يسير فى اللفظ، وأخرجه أبو داود فى (السنن) : ٥ / ٣١ - ٣٢، كتاب السنة، باب (٩) فى الخلفاء، حديث رقم (٤٦٣٧)، وقال فيه : « بعراقيها ».

(٤) زيادة للسياق من (سنن أبى داود).

سمعتُ عمرو بن [العاص] رضى الله عنه يقول : بينا أنا فى منامى أتتنى الملائكة، فحملت عمود الكتاب من تحت وسادتى فعمدت به إلى الشام، ألا فالإيمان حيث تقع الفتن بالشام(١).

ومن حديث زيد بن واقد قال : حدثنى بشر بن [عبد] الله، عن أبى إدريس الخولانى، عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم رأيتُ عمود الكتاب احتمل من تحت رأسى، فظننت أنه مذهوب، فأتبعته بصرى فعهد به إلى الشام .. الحديث(٢).

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الرزاق قال : أنبأنا معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : نمتُ فرأيتنى فى الجنة، فسمعت صوت قارىء يقرأ، فقلت : من هذا : قالوا : حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ : كذلك البر، قال : وكان أبر الناس بأمه . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة . قال ابن عيينة وغيره : قالوا فيه : دخل رسول الله ﷺ الجنة، ولم يذكروا فيه النوم ولا برَّ أمه(٣).

[وخرّج عثمان بن سعيد الدارمى] من حديث محمد بن حرب، عن الزبيدى، عن الزهرى، عن عمرو بن أبان بن عثمان، عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما] قال : قال رسول الله ﷺ : أُريت الليلة رجل صالح أن أبا بكر رضى الله عنه نيط برسول الله ﷺ، قلنا : أما الرجل الصالح، فرسول الله ﷺ، وأما ما ذكر ما نوط بعضهم ببعض، فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله

---

(١) (مسند أحمد) : ٥/٢٢٢، حديث رقم (١٧٣٢١).

(٢) انظر التعليق السابق .

(٣) (المستدرك) : ٤ / ١٦٧، كتاب البر والصلة، حديث رقم (٧٢٤٧)، وقال عنه الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى ومسلم وأخرجاه مختصراً.

[تعالى] به نبيه ﷺ(١). قال الدارمى: فسمعتُ يحى بن معين يقول: محمد بن حرب يسند هذا الحديث، والناس يحدثون به عن الزهرى مرسلاً، وإنما هو عمر بن إبان، ولم يكن لإبان بن عثمان أن يقال له: عمرو(٢).

وخرّج الحاكم من حديث زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: دخلتُ الجنة البارحة، فنظرت فيها، فإذا جعفر رضى الله عنه يطير مع الملائكة، وإذا حمزة رضى الله عنه متكىء على [سرير]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد(٣) [ولم يخرجاه].

وخرجه من حديث على بن عبد الله المدينى قال: حدثنى أبى عبد الله ابن جعفر، حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [رأيت] جعفر بن أبى طالب [رضى الله

---

(١) أخرجه أبو داود فى (السنن): ٥ / ٣٠ - ٣١، كتاب السنة، باب (٩) فى الخلفاء، حديث رقم (٤٦٣٦)، (دلائل البيهقى): ٦ /٣٤٨، (كنز العمال): (١٤٩٦٣).

(٢) فعلى ما ذكره أبو داود عنهما يكون الحديث منقطعًا، لأن الزهرى لم يسمع من جابر. وقوله: « نيط » معناه: عُلق، والنوط: التعليق،والتنوط: التعلق. (معالم السنن).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٤ / ٣٢، حديث رقم (١٤٤٠٧)، (مسند أحمد): ٥ / ٢٢٢، حديث رقم (١٧٣٢١).

(٣) (المستدرك): ٣ / ٢١٧، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم (٤٨٩٠)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): سلمة بن وهرام ضعفه أبو داود.

وسنده فى (المستدرك): حدثنا الهيثم بن خلف الدورى، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنى عبيد الله بن عبد المجيد الحنفى، حدثنا ربيعة بن كلثوم، عن سلمة بن وهرام: عن عكرمة، عن ابن عباس به.

وأخرجه أيضا بسياقة أخرى فى مناقب جعفر بن أبى طالب، حديث رقم (٤٩٣٣)، وقد حذفه الحافظ الذهبى من (التلخيص) لضعفه.

عنه] ملكًا يطير مع الملائكة بجناحين. قال : هذا حديث صحيح الإسناد[١] [ولم يخرجاه].

ومن حديث معن بن زائدة [الأسدى الكوفى قائد الأعمش] عن الأعمش، عن أبى صالح، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال : قال رسول الله ﷺ : رأيتُ كأنى دخلتُ الجنة، فرأيتُ لجعفر [رضى الله عنه] درجة فوق درجة زيد [رضى الله عنه] فقلت : ما كنتُ أظن أن زيداً يدون أحداً، فقيل : يا محمد، تدرى بم رفعت درجة جعفر [رضى الله عنه]؟ قال ﷺ : قلت : لا، قيل : لقرابة ما بينك وبينه[٢]. قال : هذا حديث صحيح الإسناد [ولم يخرجاه].

ومن حديث عبد الرزاق قال : أنبأنا معمر عن الزهرى، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن رسول الله ﷺ قال : رأيتُ فى المنام كأن أبا جهل أتانى فبايعنى، فلما أسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه، قيل لرسول الله ﷺ : قد صدق الله تعالى رؤياك يا رسول الله، هذا كان إسلام خالد رضى الله عنه، [فقال :] ليكونن غيره حتى أسلم عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه، [وكان] ذلك تصديق رؤياه[٣]. قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين [ولم يخرجاه].

[وقال الزبير بن بكار : قال عمى مصعب بن عبد الله : وزعم من يعلم أن قيام رسول الله ﷺ إلى عكرمة بن أبى جهل، وفرحه به، أن رسول الله ﷺ

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٩٣٥)، قال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : المدينى واهٍ.

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (٤٩٣٨)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : منكر، وإسناده مظلم.

(٣) (المرجع السابق) : ذكر مناقب عكرمة بن أبى جهل، حديث رقم (٥٠٦٠)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : على شرط البخارى ومسلم.

رأى فى منامه الجنة، ورآى فيها عذقًا مذللاً فأعجبه، فقال: لمن هذا؟ فقيل لأبى جهل، فشق ذلك عليه، وقال: ما لأبى جهل والجنة؟ والله لا يدخلها، فلما رأى عكرمة أباه مسلمًا، ناول ذلك العذق عكرمة بن أبى جهل][1].

وخرج الحاكم من حديث الربيع بن سليمان، حدثنا بشر بن بكر التليسى، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليم بن عامر الكلاعى، حدثنى أبو أمامة الباهلى [رضى الله عنه قال:] سمعتُ رسول الله ﷺ [يقول:] بينا أنا نائم إذا أتانى رجلان فأخذا بضبعى، فأتيانى جبلاً وعرًا، فقالا لى: اصعد، فقلتُ: إنى لا أطيقه، فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى كنت فى سواء الجبل، إذا أنا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بى، فإذا [أنا] بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، قلت: من [هؤلاء]؟ قال: [هؤلاء] الذين يفطرون قبل تحلة صومهم[2].

ثم انطلق بى، فإذا بقوم أشد شىء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا [وأسوئه] منظرًا، فقلت: من [هؤلاء]؟ قال: [هؤلاء] الزانون والزوانى، ثم انطلق بى، فإذا أنا بنساء ينهشن ثديهن الحياتُ، فقلت: ما بال [هؤلاء]؟. فقال: [هؤلاء] اللاتى يمنعن أولادهن ألبانهن.

ثم انطلق بى، فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين، فقلت: من [هؤلاء]؟ قالوا: [هؤلاء] [ذرارى] المؤمنين، ثم [تشرف بى شرفًا]، فإذا أنا بثلاثة نفر يشربون من خمر لهم، قلت: من [هؤلاء]؟ [قالوا]: [هؤلاء] جعفر بن أبى طالب، وزيد، [و] ابن رواحة [رضى الله عنهم]، ثم [تشرف بى

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج) واستدركناه من (خ).

(٢) إلى هنا ذكره الحاكم فى (المستدرك): ١/ ٥٩٥، كتاب الصوم، حديث رقم (١٥٦٨)، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): على شرط مسلم.

شرفًا] آخر، فإذا أنا بثلاثة نفر، قلت: من [هؤلاء]؟ قال: [هؤلاء] إبراهيم، وموسى، وعيسى، [عليهم الصلاة والسلام]، وهم ينتظرونك.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقد احتج البخارى بجميع رواته، غير سليم بن عامر، وقد احتج به مسلم، [وخرّجه ابن حبان فى صحيحه، خلا قوله: قالوا: [هؤلاء] على بن أبى طالب، وزيد، وابن رواحة][1].

---

(١) (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان): ١٦/ ٥٣٦ - ٥٣٧، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب (٦) صفة النار وأهلها، حديث رقم (٧٤٩١)، وهو آخر أحاديث الكتاب، وقال فى هامشه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير بشر بن أبى بكر فمن رجال البخارى، وسليم بن عامر فمن رجال مسلم، وابن جابر: هو عبد الرحمن بن زيد بن جابر، وهو فى (صحيح ابن خزيمة) حديث رقم (١٩٨٦) بأطول منه.

فصل فى ذكر صديق رسول الله ﷺ قبل النُّبُوَّة

قال الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم: كان عمرو بن عَبَسة [بن منقذ بن خالد بن حذيفة][1] السلمى [كان][1]، صديق رسول الله ﷺ فى الجاهلية[2]. وقال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: عمرو بن عَبَسة بن عامر بن خالد السلمى، يكنى أبا نجيح، ويقال أبا شعيب، وينسبونه عمرو بن عَبَسة بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتاب ابن امرئ القيس بن بُهثة بن سُليم، أسلم قديمًا فى أول الإسلام، وذكر حديث إسلامه، و هو يقضى أنه قدم مكة، وأسلم بعد أبى بكر وبلال، رضى الله عنهما، ثم رجع إلى قومه، ومقتضاه أنه لم يكن يعرف النبى ﷺ قبل إسلامه، وأنه فارقه فلم يره بعد ذلك، حتى قدم عليه المدينة، فتعرف له، فعرفه ﷺ[3].

[وقال ابن الكلبى: عياض بن حماد بن محمد بن سفيان، كان حِرْمِىّ[1] رسول الله ﷺ، وفد على النبى ﷺ قبل أن يُسلم، ومعه نجيبة

---

(١) زيادة للنسب والسياق من (جمهرة أنساب العرب لابن حزم).

(٢) (المرجع السابق): ٢٦٤.

(٣) عمرو بن عبسة، له ترجمة فى (الاستيعاب): ٣/ ١١٩٢ – ١١٩٤، ترجمة رقم (١٩٣٧)، (جمهرة أنساب العرب): ١٨٦، ٢٦٤، (طبقات خليفة): ٤٩، ٣٠٢، (المعارف): ٢٩٠، (الجرح والتعديل): ٦/ ٢٤١، (المستدرك): ٣/ ٧١٤، ذكر عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه، (جامع الأصول): ٩/ ١١٦، (تهذيب التهذيب): ٨/ ٦١، ترجمة رقم (١٠٧)، (الإصابة): ٤/ ٦٥٨–٦٦١، ترجمة رقم (٥٩٠٧)، (سير أعلام النبلاء): ٢/ ٤٥٦ – ٤٦٠، ترجمة رقم (٨٨)، (أسماء الصحابة الرواة): ٩٦، ترجمة رقم (٨٤)، (تاريخ الصحابة): ١٧٥، ترجمة رقم (٨٩٠).

يُهديها له، فقال: أسلمتَ؟ قال: لا، قالك إن الله نهانى أن أقبل [زَبْدًا][2] من المشركين، فأسلم، فقبلها منه، فقال: يا رسول الله! الرجل من قومى أسفل منى يشتمنى، أفانتصر منه؟ فقال النبى ﷺ: المستبَّان شيطانان يتكاذبان[3]، ويتهاتران][4].

[وقال ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عياض بن حمار المجاشعى، وكان يقال: العياض حرمى النبى ﷺ، كان ينزل على رسول الله ﷺ مك، إذا قدمها فى الجاهلية][4].

وقال محمد بن حزم: وكان عياض بن حمار بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، حرمى رسول الله ﷺ فى الجاهلية[5].

---

(1) الحِرْمِىّ: قال فى (اللسان): الحَرِيمُ: ثوب المُحْرِم، وكانت العرب تطوف عراة وثيابهم مطروحةٌ بين أيديهم فى الطواف.

وفي الحديث: أن عياض بن حِمار المجاشعى كان حِرمِىّ رسول الله ﷺ، فكان إذا حج طاف فى ثيابه؛ كان اشراف العرب يتحمسون على دينهم، اى يتشدَّدون إذا حجَّ احدهم لم ياكل إلا طعام رجل من الحرم، ولم يُطفْ إلا فى ثيابه، فكان لكل رجل من أشرافهم رجلٌ من قريش، فيكون كل واحد منهما حِرْمِىُّ صاحبه، كما يقال: كرِيّ للمُكرِى والمُكْتَرِى. (لسان العرب): ١٢ / ١٢٠.

(2) الزبد: الهدية.

(3) (جمهرة النسب): ٢٠٣ - ٢٠٤.

(4) قوله: «يتهاتران» زيادة للسياق من (مسند احمد): ٥ / ١٦٦ - ١٦٧، حديث رقم (١٧٠٣٣)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (خ) وليس فى (ج). وعياض بن حمار له ترجمة فى: (الإصابة): ٤ / ٧٥٢، ترجمة رقم (٦١٣٢)، (تهذيب التهذيب): ٨ / ١٧٩، ترجمة رقم (٣٦٧)، (الاستيعاب): ٣ / ١٢٣٢ - ١٢٣٣، ترجمة رقم (٢٠١١).

(5) (جمهرة أنساب العرب): ٢٣١.

ومعنى ذلك أن قريشًا كانت [فى] الحُمْس، وكانت [بنو] مجاشع من الحلة، وهما دينان من أديان العرب فى الجاهلية، فكان الحلى لا يطوف بالبيت إلا عُريان، إلا أنه يُعيره رجل من الحُمس ثيابًا يطوف فيها، وكان عياض يطوف فى ثياب رسول الله ﷺ .

وقال ابن عبد البر [رحمه الله] : عياض بن حمار بن أبى حمار بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع المجاشعى التميمى، كان من الحلة الذين لا يطوفون إلا فى ثياب الحُمس[١] .

وقال فى (التمهيد) : روينا عن طاووس ومجاهد، وأبى صالح، ومحمد ابن كعب القرظى، ومحمد بن شهاب الزهرى، يعنى ما نورده بدخول [كلام] بعضهم فى بعض، وأكثره على لفظ ابن شهاب قال [جامعه : كانت] العرب تطوف بالبيت عراة، إلا الحمى : قريش وأحلافهم، فمن جاء من [غيرهم]، وضع ثيابه فطاف فى ثوبى أحمس يستعيرها منه، فإن لم يجد من يعيره، استأجر من ثيابهم، فإن لم يجد [من يستأجر منه ثوبه من الحمس، ولا من يعيره ذلك]، كان بين أحد أمرين : إما أن يلقى [عليه] ثيابه ويطوف عريانا، وإما أن يطوف فى ثيابه، فإذا طاف فى ثيابه ألقاها عن نفسه إذا قضى طوافه، وحرمها عليه [فلا] يقربها غيره، فكان ذلك الثوب يسمى اللقى[٢]، وفى ذلك قول بعضهم :

---

(١) (الاستيعاب) : ٣ / ١٢٣٢ - ١٢٣٣ .

(٢) قال ابن الأثير : قيل : أصل اللقى أنهم كانوا إذا طافوا خلعوا ثيابهم وقالوا : لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها، فيلقونها عنهم، ويسمون ذلك الثوب لقىً، فإذا قضوا نسكهم لم يأخذوها، وتركوها بحالها ملقاةً .

وقال أبو الهيثم : اللقى ثوب المحرم يلقيه إذا طاف بالبيت فى الجاهلية، وجمعه ألقاء . (لسان العرب) : ١٥ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

كفى حزنا حزنى عليه كأنه لقىً بين أيدى الطائفين حريم(١)

والمرأة فى ذلك والرجل سواء، إلا أن النساء كن يطفن بالليل، والرجال [بالنهار]، فقدمت امرأة لها هيئة وجمال، فطافت عريانة، وقال بعضهم: بل كان عليها من ثيابهم ما ينكشف عنها، فجعلت تقول:

اليوم يبدو بعضه أوكله فما بدا منه فلا أحله

[وكانوا] على ذلك، حتى بعث الله [تعالى] نبيه ﷺ، فأنزل الله [تعالى] عليه: ﴿**يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى [ذلك خير]**﴾(٢) [لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة]، ونزلت: ﴿**خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾(٣)، وأمر رسول الله ﷺ مناديا فنادى: ألا لا يطوفون بالبيت عريان(٤).

---

(١) هذا البيت فى كافة المراجع هكذا:

كفى حزنًا كرى عليه كانه لقىً بين أيدى الطائفين حريمُ

(٢) الأعراف: ٢٦.

(٣) الأعراف: ٣١.

(٤) كان هذا النداء بمكة سنة تسع (البحر المحيط): ٥/ ٤٠. والحديث فى ذلك رقم (١٣٤٧) من (صحيح مسلم). ويذكر أن المرأة التى القائلة:

اليوم يبدو بعضه أوكله وما بدا منه فلا أحله

هى ضباعة بنت عامر بن صعصعة، ثم من بنى سلمة بن قشير.

وذكر محمد بن حبيب ان رسول الله ﷺ خطبها، فذكرت له ﷺ عنها كبرة، فتركها فقيل إنها ماتت كمدا وحزنا على ذلك.

قال ابن حبيب: إن كان صح هذا، فما أخرها عن ان تكون أُما للمؤمنين، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها: اليوم يبدو بعضه أوكله، تكرمة من الله لنبيه، وعلما منه بغيرته، والله تعالى أغير منه (سيرة ابن هشام): ٢/ ٢٥.

ذكر أنه ﷺ كان يحسن العوم فى الماء

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن واقد الأسلمى، حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهرى قال: وحدثنا محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وحدثنا [عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم، قالوا: حدثنا هاشم بن عاصم الأسلمى، عن أبيه، عن ابن عباس، دخل حديث بعضهم فى بعض، قالوا: وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، فلما بلغ ست سنين، خرجت به إلى [أخواله] بنى عدى ابن النجار بالمدينة، تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به ى دار النابغة فأقامت به عندهم شهرا، وكان رسول الله ﷺ، يذكر أمورا كانت فى مقامه ذلك، لما نظر إلى أطم بنى عدى بن النجار عرفه، وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالى، نُطيّر طائرا كان يقع عليه، ونظر إلى الدار، فقال: ها هنا نزلت بى أمى، وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله بن عبد المطلب، وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه، فقالت أم أيمن: فسمعتُ أحدهم يقول: هو نبى هذه الأمة، وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامه، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانت بالأبواء، توفيت آمنة بنت وهب، فقبرها هناك، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما [إلى] مكة، وكانت تحضنه مع أمه، ثم أن بعد أن ماتت

[أيضا].. وذكر الحديث[1].

* * *

(١) وتمامه: فلما مرَّ رسول الله ﷺ فى عمرة الحديبية بالأبواء، قال: إن الله قد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه، فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ، فقيل له، فقال: أدركتني رحمتها فبكيت. (طبقات ابن سعد): ١ / ١١٦ - ١١٧، ذكر وفاة آمنة أم رسول الله ﷺ، وما بين الحاصرتين ليس فى (ج).

ذكر شريك رسول الله ﷺ قبل البعث

[قال أبو بكر بن أبى [شيبة]، حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا عبد الله بن عثمان بن [خيثم]، عن مجاهد، عن السائب، أنه كان يشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام فى التجارة، فلما كان يوم الفتح، أتاه فقال: مرحبا بأخى وشريكى، كان لا يدارى، ولا يمارى، يا سائب! كنت تعمل أعمالاً فى الجاهلية لا تتقبل منك، وهى اليوم تتقبل منك، وكان ذا سلف وصلة][1].

وقال الزبير بن بكار: وحدثنى أبو ضمرة، أنس بن عياض الليثى، قال: حدثنى أبو السائب، عبد الله بن السائب المخزومى، قال: كان جدى أبو السائب شريك رسول الله ﷺ فى الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ : نعم الشريك، كان أبو السائب لا يشارى ولا يمارى].

[وخرج أبو نعيم الأصفهانى، من حديث الأعمش، عن مجاهد، قال: حدثنى مولاى عبد الله بن السائب، قال: كنت شريك النبى ﷺ فى الجاهلية، فلما قدمتُ المدينة، قال: تعرفنى؟ قلت: نعم، كنت شريكى، قال: نعم الشريك، لا تدارى، ولا تمارى][2].

[وقال ابن عبد البر: الحديث فى من كان شريك رسول الله ﷺ مضطرب جدا، من يجعل الشركة للسائب بن أبى السائب، ومنهم من

---

(١) (مصنف ابن أبى شيبة): ٧/ ٤١٠، كتاب المغازى، باب (٣٤) فتح مكة، حديث رقم (٣٦٩٣٧)، وما بين الحاصرتين ليس فى (خ).

(٢) (مجمع الزوائد): ٩/ ٤٠٩ . وما بين الحاصرتين ليس فى (ج) فى كل المواضع.

يجعلها لأبى السائب أبيه، ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب، ومنهم من يجعلها لعبد الله بن السائب، [و] هذا اضطراب لا يثبت به شيء، ولا تقوم به حجة][1].

[وقال الزبير بن بكار، فى كتاب (نسب قريش) ومنه نقلت: وولد عائذ ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبا السائب، واسمه صيفى، وأبا رفاعة، واسمه أمية، وعتيق، وزهير، فولد أبو السائب بن عائذ. السائب، قتل ببدر كافرا، والمسيب وأبا نهيك، واسمه عبد الله، وأبا عطاء، واسمه عبد الله، أُسر ببدر].

[قال: ومن ولد أبى السائب بن عائذ، أو السائب الذى كان يستغرب فى الشعر إذا استحسنه، وكان علماء قريش يذكرون منه عفافا، ثم ذكر حديث أبى السائب، عبد الله بن السائب [قال]: كان جدى أبو السائب شريك رسول الله ﷺ. وذكر ابن إسحاق فيمن قتل ببدر من المشركين: السائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[2].

[قال ابن هشام عفى الله عنه: السائب بن أبى السائب، شريك رسول الله ﷺ، الذى جاء فيه الحديث، عن رسول الله ﷺ: نعم الشريك السائب،

(1) (الاستيعاب): ٣/ ٩١٥، ترجمة رقم (١٥٤٣)، ٣/ ١٢٨٨ - ١٢٨٩، ترجمة قيس بن السائب رقم (٢١٣٣).

(2) وقال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى: فمن ولد أبى السائب: عبد الله بن أبى السائب، كان شريكا للنبى ﷺ فى الجاهلية، فاتى النبى ﷺ يوم الفتح فقال: يا رسول الله أتعرفنى؟ قال: ألست شريكى؟ قال: بلى يا رسول الله. فكنت خير شريك، كنت لا تدارى لا تُمارى. [مات عبد الله بن أبى السائب بمكة فى إمارة ابن الزبير، وقال الحافظ فى (الإصابة): والمحفوظ أن هذا لأبيه السائب]. (جمهرة النسب): ٩٠.

[لا يشارى، ولا يمارى]. وكان أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا](١).

[وذكر ابن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، أن السائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين](٢).

[وقال أبو محمد بن حزم: والسائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، اختلف فيه؛ فقيل: لم يقتل يومئذ -يعنى يوم بدر- بل أسلم بعد ذلك](٣).

[وقال أبو عمر بن عبد البر: اختلف فى إسلامه، ثم ذكر قول ابن إسحاق، وقول الزبير الذى تقدم ذكره، ثم قال: وقد نقض الزبير ذلك فى موضعين من كتابه، فذكر ما أورده الزبير من حديثه، عن يحى بن محمد ابن عبد الله بن ثوبان، عن جعفر بن عكرمة، عن يحى بن كعب، عن أبيه كعب، مولى سعيد بن العاصى، وهو يطوف بالبيت ومعه جنده، فرجموا

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٣/ ٢٦٨، وقال فى هامشه: وذكر فيمن قتل من المشركين: السائب بن أبى السائب، واسم أبى السائب صيفى بن عابد [أو ابن عائذ]، وأنكر ابن هشام أن يكون السائب قتل كافرا، قال: وقد أسلم وحسن إسلامه. وفى هذا الموضوع اضطراب لا يثبت به شىء، ولا تقوم به حجة، والله تعالى أعلم.

ثم ذكره ابن هشام فى باب توزيع غنائم حنين على المبايعين من قريش، قال ابن هشام: ومن بنى مخزوم بن يقظة... والسائب ابن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. (سيرة ابن هشام): ٥/ ١٧٢.

(٢) راجع التعليق السابق.

(٣) الذى قاله أبو محمد بن حزم: وولد عبد الله بن عائذ: السائب؛ وولد أبو السائب -وهو صيفى بن عائذ- المسيب بن أبى السائب، والسائب بن أبى السائب، وأبا نهيك بن أبى السائب، فولد السائب: عبد الله بن السائب، شريك رسول الله ﷺ، فولد عبد الله أبو السائب: السائب بن أبى السائب، قُتل يوم بدر كافرا. (جمهرة أنساب العرب لابن حزم): ١٤٣.

السائب بن صيفى بن عائذ، فسقط، فوقف عليه معاوية -وهو يومئذ خليفة- فقال: ارفعو الشيخ، فلما قام قال: هيا معاوية!

أجئتنا بأوباش الناس يصرعوننا حول البيت، [أما] والله لقد أردت أن أتزوج أمك، فقال معاوية: ليتك فعلت فجاءت بمثل أبى السائب، يعنى عبد الله بن السائب](١).

[قال ابن عبد البر: وهذا واضح فى إدراكه الإسلام، وفى طول عمره، ثم ذكر حديث الزبير الذى تقدم ذكره، من قوله ﷺ: نعم الشريك كان أبو السائب](١).

[قال ابن عبد البر: وهذا كله من الزبير مناقضة لما ذكر أن السائب بن السائب قتل يوم بدر كافرا، ثم ذكر ابن عبد البر قول ابن هشام الذى تقدم ذكره، ثم قال: وهذا أولى ما عول عليه فى هذا الباب، يعنى أن السائب بن السائب من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم](١).

وقد خرج حديث السائب -رحمه الله- أبو داود فى سننه(٢)، وابن ماجة (٣) أيضا من حديث سفيان، قال: حدثنى إبراهيم بن المهاجر، عن

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس فى (ج).

(٢) (سنن أبى داود): ٥/ ١٧٠ - ١٧١، كتاب الأدب، باب (٢٠) فى كراهية المراء، حديث رقم (٤٨٣٦).

وقال فى هامشه: السائب هذا قد ذكر بعضهم أنه قتل كافرا يوم بدر، قتله الزبير بن العوام، وذكر بعضهم أنه أسلم وحسن إسلامه، وهذا هو المعول عليه، وقد ذكره غير واحد من الأئمة فى كتب الصحابة، والسائب بن أبى السائب من المؤلفة قلوبهم [من المنذرى باختصار].

قال الشيخ: قوله: «لا تدارى» يعنى لا تخالف ولا تمانع، وأصل الدرء: الدفع، يصفه ﷺ بحسن الخلق والسهولة فى المعاملة.

وقوله: «لا تمارى» يريد المراء والخصومة، (معالم السنن).

(٣) (سنن ابن ماجة): ٢/ ٧٦٨، كتاب التجارات، باب (٦٣) الشركة والمضاربة، حديث رقم =

مجاهد، عن [قائد] السائب عن السائب قال : أتيتُ النبى ﷺ ، فجعلوا يثنون عليَّ ويذكروننى، فقال رسول الله ﷺ : أنا أعلمكم -يعنى به- فقلت : صدقت، بأبى [أنت][(١)] وأمى، كنت شريكى، فنعم الشريك، كنت لا تدارى ولا تمارى. رواه عند أبى داود : يحى عن سفيان، وهذه سياقته، ذكره فى كتاب الأدب . ورواه عند ابن ماجه : عبد الرحمن بن مهدى، ولفظه : عن السائب أنه قال للنبى ﷺ : كنت شريكى فى الجاهلية، فكنت خير شريك، كنت لا تدارينى، ولا تمارينى][(٢)].

* * *

= (٢٢٨٧)، وقال فى هامشه : « لا تدارينى » من درأ بالهمز إذا دفع، وفى النهاية) : أصله يدارئنى مهموز، وجاء فى الحديث غير مهوز ليزاوج يمارينى .

« ولا تمارينى » من المراء وهو الجدال، والمراد أنه كان شريكا موافقا، لا يخالف ولا ينازع .

(١) زيادة للسياق من (سنن أبى داود) .

(٢) ما بين الحاصرتين ليس فى (ج) .

فصل فى ذكر سفره ﷺ

اعلم أن رسول الله ﷺ كان يحب السفر فى يوم الخميس، وكان يذكر الله تعالى عند سفره، وإذا رجع من سفره، بأذكار معلومة، وكان ﷺ يدعو الله تعالى إذا ودع مسافرا، وإذا نزل منزلاً، وإذا كان وقت السحر، وكان يتنفل على الراحلة، وله سير معروف، وكان ﷺ لا يطرق أهله ليلاً.

أما يوم سفره ﷺ

فخرج البخارى عن يونس، عن الزهرى قال: أخبرنى عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أن كعب بن مالك كان يقول: لقل ما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا خرج [فى سفر] إلا يوم الخميس(١). هكذا وقع الحديث فى كتاب البخارى، عن يونس، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب، قال: سمعت مالكا يقول.. والحديث منقطع، لأنه لم يسمع عبد الرحمن بن عبد الله، من جده كعب بن مالك شيئا، وإنما سمع من أبيه عبد الله، ومن عمه عبيد الله، عن أبيهما كعب بن مالك، ونسب ذلك لابن المبارك، لا ليونس، لأن الليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، روياه عن يونس، عن الزهرى، عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جده كعب بن مالك، ورواه الليث أيضا، عن عقيل، عن الزهرى، بهذا الإسناد أيضا متصلا(٢).

---

(١) (فتح البارى): ٦/ ١٤٠، كتاب الجهاد، باب (١٠٣) من أراد غزوة فورى بغيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس، حديث رقم (٢٩٤٩)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه.

(٢) قال الحافظ فى (الفتح): والحاصل أن رواية الزهرى للجملة الأولى هى عن عبد الرحمن بن عبد الله =

وخرج النسائى من طريق ابن جريج، قال أخبرنى معمر، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن جده، أن رسول الله ﷺ خرج فى غزوة تبوك يوم الخميس، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس، وخرج من طريق ابن وهب قال: أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال: حدثنى عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه، عن جده، قال: ما كان رسول الله ﷺ يخرج فى سفر جهاد وغيره، إلا فى يوم الخميس. هكذا قال فى الأول: عبد الرحمن عن جده، وفى الثانى: عبد الرحمن عن أبيه(١).

وخرج أبو بكر الشافعى، من طريق عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط، أبى محمد العبدى قال: حدثنا يونس عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه قال: قل ما رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا، أن يخرج إلا يوم الخميس(٢).

وخرج ابن حيان من طريق خالد بن إلياس [ويقال: ابن إياس]، عن

= ابن كعب بن مالك، وروايته للجملة الثانية المتعلقة بيوم الخميس هى عن عمه عبد الرحمن بن كعب ابن مالك، وقد سمع الزهرى منهما جميعا، وحدَّث يونس عنه بالحديثين مفصلاً، وأراد البخارى بذلك دفع الوهم واللبس عمن يظن فيه اختلافا (فتح البارى).

(١) نسبة المنذرى إلى النسائى، ولعله فى (الكبرى)، وأخرجه الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد): ١٤ / ٢١٩، فى ترجمة يحى بن إسحاق، رقم (٧٥١٠).

(٢) وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٣ / ٧٩، كتاب الجهاد، باب (٨٤) حديث رقم (٢٦٠٥)، وقال فى هامشه: وأخرجه النسائى.

وأخرجه أيضا أبو محمد الدارمى فى (السنن): ٢ / ٢١٤، كتاب السير، باب فى الخروج يوم الخميس، بسنده ولفظه.

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٤ / ٤٩١، حديث رقم (١٥٣٥٢) من حديث كعب بن مالك الأنصارى، ولفظه: «أن النبى ﷺ خرج يوم الخميس فى غزوة تبوك» وحديث رقم (١٥٣٥٤) من حديث كعب بن مالك الأنصارى ولفظه: «أقلَّ) ما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا أراد سفرا إلا يوم الخميس»، وحديث رقم (٢٦٦٣٧) من حديث كعب بن مالك ولفظه: «أن رسول الله ﷺ إذا أراد أن يسافر لم يسافر إلا يوم الخميس».

محمد بن المنكدر، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب يوم الخميس، ويستحب أن يسافر فيه[1]. وخالد بن إياس هذا؛ قال أحمد: منكر الحديث، وقال ابن معين: لا يكتب حديثه[2].

وخرج أيضا من طريق عثمان بن المخارق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يسافر فى يوم الاثنين والخميس[3].

* * *

---

(١) (أخلاق النبى): ٢٤٣.

(٢) له ترجمة فى (تهذيب التهذيب): ٣/ ٧٠ - ٧١، ترجمة رقم (١٥٢).

(٣) (أخلاق النبى): ٢٤٤.

وأما ما يقوله ﷺ إذا خرج مسافرا

فخرج النسائى من طريق حماد، عن عاصم قال: قال عبد الله بن سرجس: كان النبى ﷺ إذا سافر يقول: اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم اصحبنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر فى الأهل والمال[1].

---

(١) (سنن النسائى): ٨/ ٦٦٦، كتاب الاستعاذة، باب (٤١)، الاستعاذة من الحور بعد الكور، حديث رقم (٥٥١٣)، ولفظه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر قال: اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر فى الأهل والمال».

وحديث رقم (٥٥١٤): عن عبد الله بن سرجس: «أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر قال: اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد».

وفى باب (٤٢) الاستعاذة من دعوة المظلوم، حديث رقم (٥٥١٥) عن عبد الله بن سرجس: كان النبى ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر».

وفى باب (٤٣) الاستعاذة من كآبة المنقلب، حديث رقم (٥٥١٦)، عن أبى هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر فركب راحلته قال بإصبعه، ومد شعبة بإصبعه قال: اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل والمال، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب».

قوله: «من وعثاء السفر» بفتح واو، وسكون عين مهملة، ومثلثة، ومد، أى شدته ومشقته.

قوله: «وكآبة المنقلب» بفتح كاف وهمزة ممدودة أو ساكنة كرأفة ورآفة، فى (القاموس): هى الغم، وسوء الحال، والانكسار من حزن، والمنقلب: مصدر بمعنى الانقلاب، أو اسم مكان.

قال الخطابى: معناه أن ينقلب إلى أهله كئيبا حزينا لعدم قضاء حاجته، أو إصابة آفة له، أو يجدهم مرضى، أو مات منهم بعضهم.

«والحور بعد الكور» الكور لف العمامة، والحور نقضها، والمراد الاستعاذة من النقصان بعد =

وخرجه الترمذى بهذا السند مثله، وقال: هذا حديث حسن صحيح[١]، قال: ويروى: الحور بعد الكور أيضا، قال: ومعنى قوله: الحور بعد الكون أو الكور فكلاهما له وجه: إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية، إنما يعنى الرجوع من شئ إلى شئ من الشر[٢].

وخرجه أبو بكر الشافعى رحمه الله، من حديث عاصم [قال:] حدثنا أبو الأحوص، عن سماك عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى سفر قال: اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من الفتنة فى السفر، والكآبة فى المنقلب، اللهم اقبض لنا الأرض، وهون علينا السفر[٣].

وللإمام أحمد من حديث عمران بن ظبيان، عن حكيم بن سعد أبى يحى، عن على رضى الله عن قال: كان النبى ﷺ إذا أراد سفراً قال: اللهم

= الزيادة، أو من الشتات بعد الانتظام، أى من فساد الأمور بعد صلاحها، وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد الكون فيهم.

وروى «بعد الكون» بنون، أى الرجوع من الحالة المستحسنة بعد أن كان عليها، قيل: هو مصدر كان التامة، أى من التغير بعد الثبات.

«ودعوة المظلوم»: استعاذة من الظلم، فإنه يترتب عليه دعوة المظلوم، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

«وسوء المنظر»: هو كل منظر يعقب النظر إليه سوء.

(حاشية السندى على سنن النسائى): ٨/ ٦٦٦.

(سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٤، كتاب الدعوات، باب (٤٢).

(١) ما يقول إذا خرج مسافرا، حديث رقم (٣٤٣٩).

(٢) (المرجع السابق).

(٣) (كنز العمال): ٦/ ٧٣٥ - ٧٣٦، حديث رقم (١٧٦٢٧) وعزاه لابن أبى شيبة، وزاد فى آخره: فإذا أراد الرجوع من السفر قال: تائبون عابدون لربنا حامدون، وإذا دخل على أهله قال: توباً توباً، لربنا أوباً، لا يغادر علينا حوباً.

بك أصول، وبك أجول، وبك أسير[١].

ولمسلم من حديث إسماعيل بن علية، عن عاصم الأحول، عن عبد الله ابن سرجس قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر فى الأهل والمال. انفرد بإخراجه مسلم[٢].

ولمسلم من حديث ابن جريج، قال: أخبرنى أبو الزبير، أن عليا الأزدى أخبره أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، علمهم أن رسول الله ﷺ، كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا ثم قال: ﴿**سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾[٣] اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوعنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل، وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون[٤].

وخرجه الترمذى من حديث حماد بن سلمة، عن أبى الزبير، عن على ابن عبد الله البارقى، عن ابن عمر [رضى الله عنهما قال:] أن النبى ﷺ كان إذا سافر ركب راحلته، كبر ثلاثا ويقول: ﴿**سبحان الذى سخر لنا هذا**

---

(١) (مسند أحمد): ١/ ١٤٥، حديث رقم (٦٩٣).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٩/ ١١٩، كتاب الحج، باب (٧٥)، يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم (١٣٤٣).

(٣) (الزخرف: [١٣ - ١٤].

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٩/ ١١٨ - ١١٩، كتاب الحج، باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم (١٣٤٢).

قوله: ﴿**وما كنا له مقرنين**﴾ معنى مقرنين مطيقين، أى ما كنا نطيق قهره واستعماله، لولا تسخير الله تعالى إياه لنا، وفى الحديث استحباب هذا الذكر عند ابتداء الأسفار كلها، وقد جاءت فيه أذكار كثيرة جمعتها فى كتاب (الأذكار) (شرح النووى).

وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ ثم يقول: اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا من البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر، واطو عنا بُعد الأرض، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم اصبحنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا. وكان يقول إذا رجع إلى أهله: آيبون [إن شاء الله](١) تائبون عابدون، لربنا حامدون(٢). قال: هذا حديث حسن [غريب من هذا الوجه](١).

وخرجه الإمام أحمد رحمه الله، ولفظه: عن ابن عمر [رضى الله عنهما] أن النبى ﷺ كان إذا ركب راحلته -يعنى إلى السفر- كبر ثلاثا ثم قال: **﴿ سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾** ثم يقول: اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر، واطو لنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم اصحبنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا(٣).

وللنسائى من حديث جرير، عن منصور، عن أبى إسحاق، عن على بن ربيعة الأسدى، قال: أتى على رضى الله عنه بدابة، فوضع رجله فى الركاب فقال: بسم الله، فلما استوى عليها قال: **﴿ سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾** ثم كبر ثلاثا، وحمد الله ثلاثا، ثم قال: لا إله إلا أنت، سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وقال: إن رسول الله ﷺ قال يوما مثل ما قلت، ثم استضحك، فقلت: مم استضحكت؟ قال: يعجب ربنا من قول عبده: سبحانك إنى ظلمت نفسى، فاغفر لى ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت،

---

(١) زيادة للسياق من (سنن الترمذى).

(٢) (سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٨، كتاب الدعوات، باب (٤٧)، يقول إذا ركب الناقة، حديث رقم (٣٤٤٧).

(٣) (مسند أحمد): ٢/ ٣١٢ - ١٣٣، حديث رقم (٦٢٧٥)، وزاد فى آخره: «وكان إذا رجع إلى أهله قال: آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون».

قال: علم عبدى أنه له ربا يغفر له الذنوب(١).

وخرجه الترمذى من حديث قتيبة، حدثنا أبو الأحوص، عن أبى إسحاق، فذكره وقال: حديث حسن صحيح(٢).

وقال محمد بن إسحاق [عفى الله عنه]: وبلغنى أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجرا إلى الله يريد المدينة قال: الحمد لله الذى خلقنى ولم أكُ شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا، وبوائق الدهر، ومصائب الليالى والأيام، اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللنى، وعلى صالح خلقى فقومنى، وإليك رب فوجهنى، وإلى الناس فلا تكلنى، رب المستضعفين وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن يحل علىّ غضبك، أو ينزل بى سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتك، وتحول عافيتك، وجميع سخطك، لك العُتْبى عندى ما استطعت؛ ولا حول ولا قوة إلا بك. كذا ذكره أبو نعيم، عن ابن إسحاق [رحمه الله تعالى](٣).

---

(١) أخرجه النسائى فى (الكبرى)، السير، باب التسمية عند ركوب الدابة والتحميد والدعاء إذا استوى على ظهرها.

(٢) (سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٧، كتاب الدعوات، باب (٤٧) ما يقول إذا ركب الناقة، حديث رقم (٣٤٤٦)، وقال الترمذى: وفى الباب عن ابن عمر رضى الله عنهما، وأخرجه أبو داود فى (السنن): ٣/ ٧٧، كتاب الجهاد، باب (٨١) ما يقول الرجل إذا ركب، حديث رقم (٢٦٠٢).

(٣) لم أجده.

وأمّـا ما يقوله ﷺ إذا علا على شيء

فخرج الإمام أحمد من حديث عمارة، حدثنا زياد النميرى، حدثنى أنس، أن رسـول الله ﷺ كـان إذا عـلا نشـزا من الأرض قـال: اللهم لك الشرف على كل شرف، ولك الحمد على كل حال[1].

وأمّا الدعاء لمن وَدَّعَهُ ﷺ

فخرج النسائى من حديث حماد بن سلمة، قال: أنبأنا أبو جعفر الخطمى، عن محمد بن كعب القرظىّ، عن عبد الله بن يزيد الخطمىّ قال: كان رسول الله ﷺ إذا شيع جيشا فبلغ عقبة الوداع قال: استودع الله دينكم، وأعمالكم، وخواتيم أعمالكم[2].

ومن حديث يحى بن إسماعيل عن قزعة، عن ابن عمر رضى الله عنه

---

(١) (مسند أحمد): ٤/ ١٢٢، حديث رقم (١٣٠٩٢).

(٢) عبد الله الخطمى: هو عبد الله بن يزيد الأنصارى الخطمى، له صحبة، سكن الكوفة، وكان اميرا عليها. (معالم السنن).

والحديث اخرجه أبو داود فى (السنن): ٣/ ٧٦ - ٧٧، كتاب الجهاد، باب (٨٠) فى الدعاء عند الوداع، حديث رقم (٢٦٠١)، ولفظه: كان النبى ﷺ إذا أراد أن يستودع الجيش قال: استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم اعمالكم.

والنسائى فى (الكبرى)، السير، باب ما يقول إذا ودع، وفى عمل اليوم والليلة، باب ذكر الاختلاف على حنظلة بن أبى سفيان فى باب ما يقول عند الوداع.

وابن ماجة فى (السنن): ٢/ ٩٤٣، كتاب الجهاد، باب (٢٤) تشييع الغزاة ووداعهم، حديث رقم (٢٨٢٥).

قال: ودع النبى ﷺ رجلاً فقال: استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك(١). وفى لفظ عن قزعة قال: كنت عند عبد الله بن عمر، فأردت الانصراف، فقال: كما أنت حتى أودعك كما ودعنى النبى ﷺ، فأخذ بيدى، فصافحنى، ثم قال: استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك(١).

وخرجه الترمذى [رحمه الله] من حديث سعيد بن خيثم، عن حنظلة، عن سالم، أن ابن عمر [رضى الله عنهما] كان يقول للرجل إذا أراد سفرا: ادن منى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك. قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح [غريب] من هذا الوجه من حديث سالم(٢).

وله من حديث جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس [رضى الله عنه] قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! إنى أريد سفرا فزودنى، قال: زودك الله التقوى، قال: زدنى، قال: وغفر ذنبك، قال: زدنى بأبى أنت وأمى، قال: ويسر لك الخير حيثما ما كنت. قال: هذا حديث حسن غريب(٣).

وله من حديث أسامة بن زيد، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة رضى الله عنه [قال:] أن رجلاً قال: يا رسول الله! إنى أريد أن أسافر فأوصنى، قال: عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف، فلما أن ولى الرجل،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) (سنن الترمذى): ٥/ ٤٦٦، كتاب الدعوات، باب (٤٤) ما يقول إذا ودع إنسانا، حديث رقم (٣٤٤٣).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٤٤٤).

وأخرج الإمام أحمد فى (المسند): ٢/ ٦٩ - ٧٠، حديث رقم (٤٥١٠) من حديث عبد الله =

قال: اللهم طو له البعد، وهون عليه السفر، قال: هذا حديث حسن(١).

وخرجه تقي بن مخلد بهذا الإسناد، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف، فلما ولّى قال: اللهم ازو له الأرض، وهون عليه السفر(٢).

ولابن يونس من حديث ابن لهيعة، عن الحسن بن ثوبان، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: ودعني رسول الله ﷺ فقال: استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه(٣).

= ابن عمر عن سالم بن عبد الله بن عمر، قال: «كان أبي عبد الله بن عمر إذا أتى الرجل وهو يريد السفر قال له: ادن حتى أودعك الله كما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك».

وحديث رقم (٤٧٦٦) بنحوه، وكذلك حديث رقم (٤٩٣٧)، وحديث رقم (٦١٦٤).

«الأمانة» ها هنا: أهله ومن يخلفه منهم، وما له الذي يودعه ويستحفظه أمينه ووكيله، ومن في معناهما، وجرى ذكر الدين مع الودائع لأن السفر موضع خوف وخطر، وقد تصيبه فيه المشقة والتعب فيكون سبب لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق. (معالم السنن).

(١) (سنن الترمذي): ٥/ ٤٦٦ - ٤٦٧ كتاب الدعوات، باب (٤٦) [بدون ترجمة]، حديث رقم (٣٤٤٥).

(٢) راجع التعليق السابق، والشرف: المكان المرتفع، وأخرجه ابن ماجة مختصرا في (السنن): ٢/ ٩٢٦، كتاب الجهاد، باب (٨) فضل الحرس والتكبير في سبيل الله، حديث رقم (٢٧٧١)، وقال في هامشه: «كل شرف»: أي كل أرض مرتفعة، فإن ارتفاع المخلوق يُذكر بارتفاع الخالق.

(٣) (سنن ابن ماجة): ٢/ ٩٤٣، كتاب الجهاد، باب (٢٤) تشييع الغزاة ووداعهم، حديث رقم (٢٨٢٥). قال في (الزوائد): في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

وأمّـا كيف سيره ﷺ

فخرج البخارى من حديث مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه قال: سُئل أسامة -وأنا جالس- كيف كان رسول الله ﷺ يسير فى حجة الوداع حين دفع؟

قال: كان يسير العنق، فإذا وجد فجوةً نص، قال هشام: والنص، فوق العنق، قال أبو عبد الله: فجوة، متسع، والجمع فجوات وفجاء، وكذلك ركوة وركاء.

ذكره فى كتاب الجهاد[1]، وفى آخر حجة الوداع[2]. وخرجه مسلم من

---

(١) (فتح البارى): ٦/ ١٧١، كتاب الجهاد والسير، باب (١٣٦) السرعة فى السير، وقال أبو حميد: قال النبى ﷺ: إنى متعجل إلى المدينة، فمن أراد أن يتعجل معى فليتعجل، حديث رقم (٢٩٩٩).

(٢) (فتح البارى): ٣/ ٦٦٠، كتاب الحج، باب ٩٢ السير إذا دفع من عرفة، حديث رقم (١٦٦٦). وأخرجه أيضًا فى كتاب المغازى، باب (٧٨) حجة الوداع، حديث رقم (٤٤١٣).

وفى (مسلم بشرح النووى): ٩/ ٣٨، كتاب الحج، باب (٤٧) الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة واستحباب صلاتى المغرب والعشاء جميعا بالمزدلفة فى هذه الليلة، حديث رقم (٢٨٣)، (٢٨٤).

قوله: «وكان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص»، وفى الرواية الأخرى: «قال هشام: والنص فوق العنق» أما العنق فبفتح العين والنون، والنص بفتح النون وتشديد الصاد المهملة، وهما نوعان من إسراع السير، وفى العنق نوع من الرفق، والفجوة بفتح الفاء المكان المتسع، ورواه بعض الرواة فى الموطأ «فرجة» بضم الفاء وفتحها، وهى بمعنى الفجوة، وفيه من الفقه استحباب الرفق فى السير فى حال الزحام، فإذا وجد فرجه استحب الإسراع ليبادر إلى المناسك، وليتسع له الوقت ليمكنه الرفق فى حال الزحمة، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى).

وفى (سنن أبى داود): ٢/ ٤٧٢ - ٤٧٣، كتاب مناسك الحج، باب (٦٤) الدفعة من عرفة، حديث رقم (١٩٢٣). =

حديث الربيع بن حماد، حدثنا هشام عن أبيه، فذكره. ومن حديث حميد بن عبد الرحمن عن هشام.

وخرج الحاكم من حديث الإمام أحمد، حدثنا إسماعيل بن أبي علية، حدثنا الحجاج بن أبي عثمان، عن أبي الزبير، أن جابر بن عبد الله [رضي الله عنهما] حدثهم قال: كان رسول الله ﷺ يتخلف عن المسير، [فيزجي] الضعيف ويردف، ويدعو لهم. [قال:] صحيح على شرط مسلم. [ولم يخرجاه](١).

= العنق: السير الوسيع، والنص: أرفع السير، وهو من قولهم: نصصت الحديث إذا رفعته إلى قائله ونسبته إليه، ونصصت العروس إذا رفعتها فوق المنصة، والفجوة: الفرجة بين المكانين.

وفي هذا بيان أن السكينة والتؤدة المأمور بهما إنما هي من أجل الرفق بالناس، لئلا يتصادموا، فإذا لم يكن زحام، وكان في الموضع سعة سار كيف شاء. (معالم السنن).

وأخرجه الإمام مالك في (الموطأ): ٢٧٠ كتاب الحج، باب السير في الدفعة، حديث رقم (٨٨٨).

وأخرجه النسائي في (السنن): ٥ / ٢٨٥ - ٢٨٦، كتاب المناسك، باب (٢٠٥) كيف السير من عرفة، حديث رقم (٢٠٢٣).

وابن ماجة في (السنن): ٢ / ١٠٠٤، كتاب المناسك، باب (٥٨) الدفع من عرفة، حديث رقم (٣٠١٧) وفي هامشه: «العنق»: سير سريع معتدل، و «نص»: أي حرك الناقة يستخرج أقصى سيرها.

والدارمي في السنين: ٢ / ٥٧، كتاب الحج، باب كيف السير في الإفاضة من عرفة.

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند): ٦ / ٢٦٦ - ٢٦٧ من حديث أسامة بن زيد، حديث رقم (٢١٢٧٦)، ولفظه: «كان سيره ﷺ العنق، فإذا وجد فجوة نص، والنص فوق العنق، وأنا رديفه، وحديث رقم (٢١٣٢٦) بنحوه.

(١) (المستدرك): ٢ / ١٢٦، كتاب الجهاد، حديث رقم (٢٥٤١) وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): على شرط مسلم.

وأمَّـا ما يقوله ﷺ ويعمله إذا نزل منزلاً

فخرج النسائى من حديث بقية [قال :] حدثنا صفوان بن عمرو، حدثنا شريح بن عبيد، عن الزبير بن الوليد، عن عبد الله بن عمر رضى الله [عنهما] قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض، ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خُلق فيك، ومن شر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسدٍ وأسودٍ، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والدٍ وما ولد(١).

وخرجه الإمام أحمد بهذا السند، ولفظه : عن عبد الله بن عمر [رضى الله عنهما] قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا أو سافر، فأدركه الليل قال : يا أرض، ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما دب عليك، أعوذ بالله من شر كل أسدٍ وأسودٍ، وحيةٍ وعقرب، ومن شر ساكن البلد، [ومن شر](٢) والد وما ولد(٣).

وخرج الحاكم من حديث محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن أبى صفوان الثقفى، حدثنا عبد السلام بن هاشم، حدثنا عثمان بن سعد الكاتب، عن أنس بن مالك [رضى الله عنه] قال : كان رسول الله ﷺ لا ينزل منزلاً إلا ودعه بركعتين. قال الحاكم : هذا حديث صحيح ولم

---

(١) لم أجده فى (المجتبى)، ولعله فى (الكبرى)، والحديث أخرجه أبو داود فى (السنن) : ٣ / ٧٨، كتاب الجهاد باب (٨٢) ما يقول الرجل إذا نزل المنزل، حديث رقم (٢٦٠٣).

وأخرجه الحاكم فى (المستدرك) : ٢ / ١١٠، حديث رقم (٢٤٨٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح.

(٢) زيادة للسياق من (المسند).

(٣) (مسند أحمد) : ٢ / ٢٩١، حديث رقم (٦١٢٦) من مسند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، وحديث رقم (١١٨٤٠) من مسند أنس ابن مالك رضى الله عنه.

يخرجاه، وعثمان بن سعد ممن يجمع حديثه [في البصريين][1].

وأمّا ما يقوله ﷺ في السَّحر

خرج مسلم[2] والنسائي[3] من حديث ابن وهب قال: أخبرني سليمان ابن بلال، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا كان في سفر وأسحر يقول: سمع سامع بحمد الله، وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا، وأفضل عائذا بالله [من] النار[4].

---

(١) (المستدرك): ١/ ٤٦٠ - ٤٦١، من كتاب صلاة التطوع، حديث رقم (١١٨٨)، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): ذكر أبو حفص الفلاس عبد السلام هذا فقال: لا أقطع على أحد بالكذب إلا عليه، وحديث رقم (١٦٣٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبي في (التلخيص): عثمان ضعيف ما احتج به البخاري، وحديث رقم (٢٤٩٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعثمان بن سعد ممن يجمع حديثه، قال الحافظ الذهبي في (التلخيص): لا، فإن عبد السلام كذبه الفلاس، وعثمان لين.

(٢) (مسلم بشرح النووي): ١٧/ ٤٣، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب (١٨) التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧١٦).

قوله: «أسحر» فمعناه قام في السحر، أو انتهى في سيره إلى السحر، وهو آخر الليل.

وقوله: «سمع سامع» فروي بوجهين أحدهما فتح الميم من سمع، وتشديدها، والثاني كسرها مع تخفيفها، واختار القاضي هنا وفي (المشارق)، وصاحب (المطالع) التشديد، وأشار إلى أنه رواية أكثر رواة مسلم، قال: ومعناه بلغ سامع قولي هذا لغيره، وقال مثله تنبيها على الذكر في السحر والدعاء في ذلك، وضبطه الخطابي وآخرون بالكسر والتخفيف، قال الخطابي: معناه شهد شاهد على حمدنا لله تعالى على نعمه وحسن بلائه.

وقوله: «ربنا صاحبنا وأفضل علينا» أي احفظنا واكلأنا، وأفضل علينا بجزيل نعمتك، واصرف عنا كل مكروه.

(٣) لم أجده في (المجتبى)، ولعله في (الكبرى).

(٤) وأخرجه الحاكم في (المستدرك): ١/ ٦١٥، كتاب المناسك، حديث رقم (١٦٣٦)، قال الحافظ الذهبي في (التلخيص): على شرط مسلم.

ذكر ما يقوله ﷺ إذا رأى قرية

خرج النسائى من حديث سليمان بن بلال [قال :] حدثنا أبو بكر، حدثنا سليمان عن أبى سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه كان يسمع قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو يؤم الناس فى مسير رسول الله ﷺ من دار أبى جُهم[1].

وقال كعب الأحبار : والذى فلق البحر لموسى، لين مهيبا، حدثنى أن محمدا رسول الله ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها : اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها[2]. وحلف كعب بالذى فلق البحر لموسى، لأنها كانت دعوة داود عليه السلام حين يرى القرية. ذكره من طرق.

* * *

---

(١) لم أجده فى (المجتبى)، ولعله فى (الكبرى).

(٢) إلى هنا ذكره الحاكم فى (المستدرك) : ١ / ٦١٤، كتاب المناسك، حديث رقم (١٦٣٤) من حديث كعب الأخبار، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص) : صحيح.

ذكر تنفله ﷺ على الراحلة

خرج البخارى من حديث موسى بن عقبة، عن نافع قال: كان ابن عمر [رضى الله عنهما] يصلى على راحلته ويوتر عليها، ويخبر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك[1].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر أراد أن يتطوع استقبل القبلة بناقته، ثم كبر، ثم صلى حيث وجهه ركابه»، حديث رقم (١٢٢٥) فى الصلاة، باب التطوع على الراحلة والوتر، وإسناده حسن.

وحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه أخرجه كل من البخارى، ومسلم، ومالك، وأبو داود، والترمذى، والنسائى: «أن النبى ﷺ كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه ويومىء برأسه، وكان ابن عمر يفعله» أخرجه البخارى ومسلم.

وأخرج الترمذى رواية سعيد بن يسار، وهذا لفظه: قال: «كنت مع ابن عمر فى سفر فتخلفت عنه، فقال: أين كنت؟ فقلت: أوترتُ..» فذكر الحديث، وفيه: «على راحلته».

وأخرج الرواية التى فيها ذكر الآية، وهذا لفظه: «إن النبى ﷺ كان يصلى على راحلته أينما توجهت به، وهو جاء من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر هذه الآية: **﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾** [البقرة: ١١٥]، وقال: فى هذا أنزلت.

(جامع الأصول): ٥ / ٤٧٦ - ٤٧٨، [ما جاء] فى أمكنة الصلاة وما يصلى عليه، وفيه أربعة أنواع، النوع الثالث: في الصلاة على الدابة، حديث (٣٦٧٥)، ومعنى قوله: «يسبح»: التسبيح صلاة النافلة ها هنا، يراجع فى ذلك:

البخارى: فى تقصير الصلاة، باب صلاة التطوع على الدابة وحيثما توجهت به، وباب الإيماء على الدابة، وباب من لم يتطوع فى السفر دبر كل صلاة، وباب من لم يتطوع فى السفر دبر الصلاة، وباب من تطوع فى السفر، وفى الوتر، باب الوتر على الدابة، وباب الوتر فى السفر.

ومسلم فى صلاة المسافرين، باب جواز صلاة النافلة على الدابة فى السفر حيث توجهت.

والموطأ فى قصر الصلاة، باب صلاة النافلة فى السفر بالنهار والليل، وأبو داود فى الصلاة، باب التطوع على الراحلة والوتر. =

وخرجه مسلم من حديث عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما]، أن رسول آلله ﷺ، كان يصلى سبحته حيث توجهت به ناقته. وفى لفظ: كان يصلى على راحلته حيث توجهت به. ذكره من عدة طرق.

وللإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون، قال: أخبرنا ربعى بن الجارود [قال]: حدثنى عمرو بن الحجاج، عن الجارود بن أبى سبرة، عن أنس رضى الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يصلى على راحلته، استقبل القبلة، وكبر للصلاة، ثم خلى عن راحلته، فصلى حيث توجهت به(١).

وأمَّــا ما يقول إذا رجع من سفره

فَخَرَّجَ البخارى من حديث مالك عن نافع، عن ابن عمر [رضى الله عنهما قال:] إن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزوة، أو حج، أو عمرة، يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شئ قدير، آيبون، تائبون، عابدون، [ساجدون] لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر

= والترمذى فى الصلاة، باب ما جاء فى الوتر على الراحلة، وفى التفسير، باب ومن سورة البقرة.

والنسائى فى القبلة، باب الحالة التى يجوز فيها استقبال غير القبلة، وفى قيام الليل، باب الوتر على الراحلة.

(١) وأخرج أيضا الإمام أحمد فى (المسند): ٢/ ١٧٥، حديث رقم (٥٣١٢) من مسند عبد الله بن عمر رضى الله عنه، ٤ / ٢٣٨، حديث رقم (١٣٨٦٠) من مسند جابر بن عبد الله، وحديث رقم (١٤١٢٤) من مسند جابر بن عبد الله، وحديث رقم (١٤٦٢٠) من حديث جابر بن عبد الله، بسياقات مختلفة، (سنن الدارمى): ١/ ٣٥٦، باب فى الصلاة فى الراحلة، من حديث جابر.

عبده، وهزم الأحزاب وحده. وخرجه مسلم، فذكره من طرق عديدة[1].

ولأبى بكر الشافعي من حديث أبى الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد الرجوع من سفر قال: آيبون تائبون، لربنا حامدون، فإذا دخل ﷺ على أهله قال: أوبا أوبا، لربنا توبا، لا [يغادر] علنيا حوبًا[2].

* * *

(١) (فتح البارى): ٣/ ٧٨٩، كتاب العمرة، باب (١٢) ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو؟ حديث رقم (١٧٩٧) وفى كتاب الجهاد والسير، باب (١٣٣) التكبير إذا علا شرفًا، حديث رقم (٢٩٩٥)، وفى كتاب المغازى، باب (٣٠) غزوة الخندق وهى الأحزاب، حديث رقم (٤١١٦)، وفى كتاب الدعوات، باب (٥٢) الدعاء إذا أراد سفرًا، حديث رقم (٦٣٨٥).

و (مسلم بشرح النووى): ٩/ ١٢٠ - ١٢١، كتاب الحج، باب (٧٦) ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، حديث رقم (١٣٤٤) و (سنن أبى داود): ٣/ ٢١٤، كتاب الجهاد، باب (١٧٠) فى التكبير على كل شرف فى المسير، حديث رقم (٢٧٧٠).

و (سنن الترمذى): ٣/ ٢٨٥، كتاب الحج، باب (١٠٤) ما جاء ما يقول عند القفول من الحج والعمرة، حديث رقم (٩٥٠).

و (موطأ مالك): ٢٩١، كتاب الحج، حديث رقم (٩٥٢).

(٢) (مسند أحمد): ١/ ٤٢٣، حديث رقم (٢٣١١) من مسند عبد الله بن عباس، وهو حديث طويل، وفيه: «توبًا توبًا، لربنا أوبًا».

وأمَّـا مَـا يصنع إذا قدم من سفر

فخرج البخاري[1] من حديث محمد بن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن أبيه، وعمه عبيد الله بن كعب بن مالك [رضى الله عنه قال:] أن النبى ﷺ كان إذا قدم من سفر ضحى، دخل المسجد فصلى ركعتين قبل أن يجلس. وذكره مسلم بنحو ذلك[2].

وخرّجه النسائى بهذا السند، ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان لا يقدم من سفر إلا نهارا ضحى، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم جلس[3].

---

(١) (فتح البارى): ٦ / ٢٣٨، كتاب الجهاد، باب (١٩٨) الصلاة إذا قدم من سفر، حديث رقم (٣٠٨٨).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٥ / ٢٣٥ - ٢٣٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (١٢) استحباب الركعتين فى المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه، حديث رقم (٧١٦).

فى هذه الأحاديث استحباب ركعتين للقادم من سفره فى المسجد أول قدومه، وهذه الصلاة مقصودة للقدوم من السفر، لا أنها تحية المسجد، والأحاديث المذكورة صريحة فيما ذكرته. وفيه استحباب القدوم أوائل النهار، وفيه أنه يستحب للرجل الكبير فى المرتبة، ومن يقصده الناس إذا قدم من سفر للسلام عليه أن يقعد أول قدومه قريبا من داره فى موضع بارز سهل على زائريه، إما المسجد، وإما غيره. (شرح النووى).

(٣) (سنن النسائى): ٢ / ٣٨٦، كتاب المساجد، باب (٣٨) الرخصة فى الجلوس فيه والخروج منه بغير صلاة، حديث رقم (٨٣٠)، وهو حديث طويل، وفيه: « ثم جلس للناس ».

وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب التوبة، باب (٩) حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم (٢٧٦٩)، وهو حديث طويل، وفيه: « وكان [رسول الله ﷺ] إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، وكل سرائرهم إلى الله ». =

وخرَّجه ابن حيان من حديث الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن تميم، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، عن كعب بن مالك [رضى الله عنه] قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، ثم يقعد ما قُدر له فى مسائل الناس وسلامهم[1].

وخرَّج البخارى من حديث شعبة، عن محارب بن دثار، عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما]، أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة، نحر جزورا أو بقرة، زاد معاذ عن شعبة، عن محارب، سمع جابر بن عبد الله : اشترى منى النبى ﷺ بعيرا [بأوقيتين] ودرهم أو درهمين، فلما قدم صراراً، أمر ببقرة فذبحت، فأكلوا منها، فلما قدم المدينة أمرنى أن آتى المسجد فأصلى ركعتين، ووزن ثمن البعير. ذكره فى كتاب الجهاد، وترجم عليه باب : الطعام عند القدوم[2].

= وأخرجه أبو داود فى (السنن) : ٣ / ٣٢٠ - ٣٢١، كتاب الجهاد، باب (١٧٨) فى الصلاة عند القدوم من السفر، حديث رقم (٢٧٨١)، وفى باب (١٧٣) فى إعطاء البشير، حديث رقم (٢٧٧٣).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند) : ٤ / ٤٩٠، حديث رقم (١٥٣٤٥)، (١٥٣٤٦)، (١٥٣٤٧)، (١٥٣٤٨) بسياقات مختلفة، كلهم من حديث كعب بن مالك الأنصارى رضى الله عنه.

وأخرجه ابن عدى فى (الكامل) : ٤ / ٢٩٣، فى ترجمة عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، شامى دمشقى، رقم (١٥٣ / ١١٢٠)، ولفظه : « كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يقعد ما قدر له لمسائل الناس ولكلامهم ».

قال : وقوله فى هذا المتن : « يقعد لمسائل الناس وكلامهم » لا أعرفه إلا من حديث ابن تميم هذا عن الزهرى.

(١) (أخلاق النبى) : ٢٤٤.

(٢) (فتح البارى) : ٦ / ٢٣٨، كتاب الجهاد والسير، باب (١٩٩)، الطعام عند القدوم، وكان ابن عمر يفطر لمن يغشاه، حديث رقم (٣٠٨٩). =

وخرَّج مسلم من حديث شعبة عن محارب [أنه] سمع جابر بن عبد الله [رضى الله عنهما] يقول : اشترى منى رسول الله ﷺ بعيرا بأوقيتين ودرهم أو درهمين، قال : فلما قدم صرارًا أمر ببقرة فذبحت، فأكلوا منها، فلما قدم المدينة، أمرنى أن آتى المسجد فأصلى ركعتين، ووزن ثمن البعير فأرجح لى(١). وفى لفظ له : وقال أمر ببقرة فنحرت، ثم قسم لحمها(٢).

وأما كونه ﷺ لا يطرق أهله ليلا

فخرج البخارى من حديث همام عن إسحاق بن أبى عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس رضى الله عنه قال : كان النبي ﷺ لا يطرق أهله ليلا، كان لا يدخل إلا غدوة أو عشية. وخرجه مسلم بهذا السند، ولفظه : كان لا يطرق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية(٣).

= قال ابن بطال : فيه إطعام الإمام والرئيس أصحابه عند القدوم من السفر، وهو مستحب عند السلف، ويسمى النقيعة بنون وقاف، وزن عظيمة، ونقل عن المهلب أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أطعم من يأتيه، ويفطر معهم، ويترك قضاء رمضان، لأنه كان لا يصوم السفر، فإذا انتهى الطعام ابتدأ قضاء رمضان.

قال : وقد جاء هذا مفصلا فى (كتاب الأحكام) لإسماعيل القاضى وتعقبه ابن بطال بأن الأثر الذى أخرجه إسماعيل ليس فيه ما ادعاه المهلب، يعنى من التقييد برمضان، وإن كان يتناوله بعمومه. مختصرا من (فتح البارى).

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١١ / ٣٨، كتاب المساقاة، باب (٢١) بيع البعير واستثناء ركوبه، حديث رقم (١١٥).

(٢) (المرجع السابق) : حديث رقم (١١٦).

(٣) أخرجه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً ».

قال الحافظ فى (الفتح) : التقييد فيه بطول الغيبة، يشير إلى أن علة النهى إنما توجد حينئذ، فالحكم يدور مع علته وجودا وعدما، فلما كان الذى يخرج لحاجة مثلاً نهارا، ويرجع ليلاً، لا يتأتى =

. . . .

= له [illegible] يحذر، مثل الذى يطيل الغيبة، كأن طول الغيبة مظنة الأمن من الهجوم، فيقع للذى يهجم بعد طول الغيبة غالبا ما يكره؛ إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظيف والتزين المطلوب من المرأة، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما.

قال: وإما أن يجدها على حالة غير مرضية، والشرع محرض على التستر، وقد أشار إلى ذلك بقوله: «أن يتخونهم ويتطلب عثراتهم»، فعلى هذا من أعلم أهله بوصوله، وأنه يقدم فى وقت كذا مثلا، لا يناوله النهى.

قال الحافظ: وفى الحديث الحث على التواد والتحاب، خصوصا بين الزوجين، لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجين، مع اطلاع كل منهما على ما جرت العادة بستره، حتى إن كل واحد منهما لا يخفى عنه من عيوب الآخر شىء فى الغالب، ومع ذلك فقد نهى عن الطروق لئلا يطلع على ما تنفر نفسه عنه.

قال: ويؤخذ منه أن الاستحداد ونحوه مما تتزين به المرأة ليس داخلا فى النهى عن تغيير الخلقة، وفيه التحريض على ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم. (فتح البارى).

وفى رواية أخرى: «نهى أن يطرق أهله ليلاً» وزاد فى رواية: «لئلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم».

وفى رواية: قال له رسول الله ﷺ: «إذا جئت من سفر فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة، وعليك بالكيس» هذه روايات البخارى ومسلم.

وفى رواية أبى داود قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فلما ذهبنا لندخل، قال: أمهلوا حتى لا ندخل ليلا، لكى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة».

وفى رواية له: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحسن ما دخل الرجل على أهله إذا قدم من سفر: أول الليل».

وفى أخرى له، قال: كان رسول الله ﷺ يكره أن يأتى الرجل أهله طروقا».

وفى رواية الترمذى: «أن رسول الله ﷺ نهاهم أن يطرقوا النساء ليلا». وفى أخرى له أنه قال: «لا تلجوا على المغيبات، فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم، قلنا: ومنك؟ قال: ومنى، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم».

قال سفيان بن عيينة: معنى «أسلم» أى فأسلم أنا منه فإن الشيطان لا يسلم. قال: و «المغيبات» جمع مغيبة، وهى التى زوجها غائب.

يراجع فى ذلك: البخارى فى النكاح، باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة، مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم، وفى الحج باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة.

ومسلم فى الإمارة، باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلا. وأبو داود فى الجهاد، باب فى الطروق =

= والترمذى فى الرضاع والاستئذان، باب ما جاء فى كراهية طروق الرجل أهله ليلا .

وفى رواية ذكرها رزين قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزاة أو سفر فوصل عشية، لم يدخل حتى يصبح، فإن وصل قبل أن يصبح، لم يدخل إلا وقت الغداة، ويقول، أمهلوا، كى تمتشط التفلة الشعثة، وتستحد المغيبة » .

شرح الغريب :

« يطرقوا » الطروق : أن يأتى الرجل المكان الذى يريده ليلا .

« يتخونهم » التخون : طلب الخيانة والتهمة .

« تستحد » الاستحداد : حلق العانة، وهو استفعال من الحديد، كأنه استعمل الحديد، على طريق الكناية أو التورية .

« المغيبة » : التى غاب عنها زوجها .

« الشعثة » : البعيدة العهد بالغسل، وتسريح الشعر، والنظافة .

« الكيْس » : الجماع، والكيس : العقل، فيكون قد جعل طلب الولد من الجماع عقلا .

« التفلة »، امرأة تفلة : إذا كانت غير متطيبة، (جامع الأصول) : ٥ / ٢٨ - ٣١ .

فصل فى الأماكن التى حلها رسول الله ﷺ وهى الرحلة النبوية

اعلم أن النبى ﷺ سافرت به أمه إلى المدينة وهو غلام، وسافر إلى الشام مرة مع عمه أبى طالب، وله من العمر نحو اثنتى عشرة سنة، ومرة فى تجارة لخديجة بنت خويلد، فبلغ أرض بُصرى، وأسرى به ﷺ من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى، فاجتمع بالأنبياء عليهم السلام، وصلى بهم فيه، ثم رقا إلى السماء، [و] قد روى أنه نزل فى ليلة الإسراء بطيبة، وطور سيناء [و] بيت لحم، وبقبر إبراهيم الخليل، وأنه ذهب إلى يأجوج ومأجوج، وإلى مدينة جابلقا بالمشرق، وإلى مدينة جابرسا بالمغرب، وخرج ﷺ إلى الطائف، وحضر مجنة، وعكاظ، [وذا المجاز]، ثم هاجر إلى طيبة، واتخذها وطنا، وغزا منها سبعا وعشرين غزاة، وخرج إلى العمرة مرتين، صُدَّ عن البيت فى الأولى، وطاف فى الثانية بالبيت، وسعى [بين] الصفا والمروة، وقدم مكة مرتين بعد هجرته، سوى القدمة التى اعتمر فيها، ففتح مكة فى إحدى قدمتيه، وسار منها إلى الطائف، وحج فى الثانية ﷺ تسليما كثيرا.

وأمَّا سفره ﷺ مع عمه

فخرَّج أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، من حديث قراد أبى نوح، واسمه عبد الرحمن بن غزوان قال: أخبرنا يونس بن أبى إسحاق، عن أبى بكر بن أبى موسى، عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبى ﷺ فى أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطو، فحلوا

رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة، لم يبق حجر، ولا شجر، إلا خرَّ ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبيّ، وإني لأعرفه بخاتم النبوة، أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به، وكان هو فى رعيه الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا إلى القوم، وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة، فلما جلس مال فئ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم [أن لا] يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه، عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة [من الروم قد أقبلوا]، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟.

قالوا: جئنا [أن] هذا النبى، خارج فى هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد [أخبرنا خبره] وبعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحدٌ هو خيرٌ منكم؟ فقالوا: إنما أخبرنا خبره لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد [من الناس] رده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه، قال: أنشدكم الله، أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى ردّه أبو طالب، وبعث معه أبو بكر رضى الله عنه بلالاً، وزوده الراهب من الكعك والزيت. قال أبو عيسى: هذا حديث [حسن غريب] لا نعرفه إلا من هذا الوجه[1].

---

(١) (سنن الترمذى): ٥/ ٥٥٠ - ٥٥١، كتاب المناقب، باب (٣) ما جاء فى بدء نبوة النبى ﷺ، حديث رقم (٣٦٢٠).

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم فى (المستدرك): ٢/ ٦٧٢ - ٦٧٣، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (٤٢٢٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم =

[قال مؤلفه] عفى الله عنه: فى هذا الحديث وهم، وهو أن أبا بكر رضى الله عنه لم يكن حاضرا، ولا كان فى حال من يملك، ولا ملك بلالاً إلا بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما، فإنه ما اشتراه إلا بعد المبعث، وخروج النبى ﷺ مع عمه كان وله من العمر اثنى عشر سنة ونيف.

وقال البيهقى [رحمة الله عليه]: قال أبو العباس محمد بن يعقوب، سمعت العباس بن محمد يقول: ليس فى الدنيا مخلوق يحدث به غير قراد[1]، وسمع هذا أحمد ويحى بن معين من قراد. قال البيهقى[2]: وإنما أراد بإسناده هذا موصولاً، فأما القصة، فهى عند أهل المغازى مشهورة[3].

= يخرجاه، وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): أظنه موضوعا فبعضه باطل.

وأخرجه الحافظ البيهقى فى (دلائل النبوة): ٢/ ٢٤ - ٢٦، باب ما جاء فى خروج النبى ﷺ مع أبى طالب حين أراد الخروج إلى الشام تاجرا، ورؤية بحيرى الراهب من صفته وآياته، ما استدل به على أنه هو النبى الموعود فى كتبهم ﷺ.

(١) هو عبد الرحمن بن غزوان الخزاعى، أبو نوح المعروف بقراد، روى عنه: يحى بن معين، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، وأخرج له البخارى، والأربعة سوى ابن ماجة.

وثقه: على بن المدينى، وابن نمير، ويعقوب بن شيبة، وابن سعد، وابن حبان، وقال: «كان يخطئ»، وروى له الدار قطنى فى (غرائب مالك)، وقال: «أخطأ فيه قراد»، وقال الخليلى: «قراد قديم، روى عنه الأئمة، ينفرد بحديث عن الليث لا يتابع عليه»، وقال الدار قطنى: «ثقة، وله أفراد»، ترجمته فى (تهذيب التهذيب): ٦/ ٢٢٣ - ٢٢٥، ترجمة رقم (٤٩٨).

(٢) (دلائل البيهقى): ٢/ ٢٦.

(٣) ذكرها الحافظ أبو نعيم فى (دلائل النبوة): ١٧٠ - ١٧٢، باب ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام فى المرة الأولى، وما اشتمل عليه ذلك من الدلائل المتقدمة لنبوته ﷺ، وهو ابن عشر سنين، حديث رقم (١٠٩).

وذكرها ابن هشام فى (السيرة): ١/ ٣١٩ - ٣٢٢، قصة بحيرى.

وذكرها ابن سيد الناس فى (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير): ١/ ٤٠ - ٤٤ ذكر سفره ﷺ مع عمه أبى طالب إلى الشام، وخبره مع بحيرى الراهب، وذكر نبذة من حفظ الله تعالى لرسوله ﷺ قبل النبوة، ثم قال فى آخره: قلتُ: ليس فى إسناد هذا الحديث إلا من خرج له فى =

وقال شيخنا العماد بن كثير: وهو إسناد صحيح، ولكن فى متنه غرابة، وفيه ذكر الغمامة، ولم أر لها ذكرًا فى حديث ثابت أعلمه سواه(١).

[وفى هذا الحديث أمور ينبغى النظر فيها:](٢).

[**الأول**: على أى شئ تابعوه أو بايعوه؟ وهل البيعة لرسول الله ﷺ؟ أو

= الصحيح»، وعبد الرحمن بن غزوان لقبه قراد، انفرد به البخارى، ويونس بن أبى إسحاق انفرد به مسلم، ومع ذلك ففى متنه نكارة، وهى إرسال أبى بكر مع النبى ﷺ بلالاً، وكيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين، فإن النبى ﷺ أسن من أبى بكر بأزيد من عامين، وكانت للنبى ﷺ تسعة أعوام، على ما قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى وغيره، أو اثنا عشر على ما قاله آخرون.

وأيضا فإن بلالاً لم ينتقل لأبى بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما، فإنه كان لبنى خلف الجمحيين، وعندما عُذب فى الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رضى الله عنه رحمةً له، واستنقاذا له من أيديهم، وخبره بذلك مشهور.

وقوله «فبايعوه»: إن كان المراد فبايعوا بحيرا على مسالمة النبى ﷺ فقريب، وإن كان غير ذلك، فلا أدرى ما هو؟ (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير): ١ / ٤٣ - ٤٤.

(١) قال الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية): قلت: فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة، فإن أبا موسى الأشعرى إنما قدم فى سنة خيبر سنه سبع من الهجرة، ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق فى جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى تقدير ذلك فهو مرسل.

فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة. ولعل أبا موسي تلقاه من النبى ﷺ فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم، أو كان هذا مشهورا مذكورا، أخذه من طريق الاستفاضة.

الثانى: أن الغمامة لم تذكر فى حديث أصح من هذا.

الثالث: أن قوله: «وبعث معه أبو بكر بلالاً»، إن كان عمره ﷺ إذ ذاك ثنتى عشرة سنة، فقد كان عمر أبى بكر إذا ذاك تسع سنين أو عشرة، وعمر بلال أقل من ذلك، فاين كان أبو بكر إذ ذاك؟ ثم أين كان بلال؟ كلاهما غريب، اللهم إلا أن يقال: إن هذا كان ورسول الله ﷺ كبيرا، إما بان يكون سفره بعد هذا، أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتى عشرة سنة غير محفوظ، فإنما ذكره مقيدا بهذا الواقدى.

وحكى السهيلى عن بعضهم: أنه كان عمره ﷺ إذ ذاك تسع سنين، والله تعالى أعلم. (البداية والنهاية): ٢ / ٣٤٨.

(٢) ما بين الحاصرتين فى كل الفقرات زيادة للسياق من النسخة (ج).

للراهب؟ فإن كانت للراهب فلا فائدة إذًا، لأنه قد ناشدهم فتركوه عند المناشدة، وإن كانت لرسول الله ﷺ وهو الظاهر، لأن سياق اللفظ إنما هو راجع إليه ﷺ، كان إذ ذاك فى حيّز من لا يُبايع، لأنه كان ابن تسع سنين](١).

[**الثاني**: أبو بكر رضى الله عنه لم يكن معهم فى هذه السفرة، ولا كان فى سنٍّ من يملك ولا ملك بلالاً، إلا بعد هذا بنحو ثلاثين سنة، ولعل بعضهم وهم فى هذا، ويشتبه أن يكون الحمل فيه على عبد الرحمن بن غزوان، الملقب بقراد، وإن كان البخارى قد خرّج حديثه، فإنه موصوف بالخطأ، والتفرد، وقلة العلم، وقد تفرد بهذا الحديث. قال العباس بن محمد الدورى، فيما ذكره ابن عساكر: ليس فى الدنيا مخلوق يحدث بهذا غير قراد، أى نوح عن يونس بن أبى إسحاق، عن أبى بكر بن أبى موسى، عن أبيه](١).

[وقال أبو الخطاب عمر بن دحية: يمكن أن يكون أبو بكر استأجر بلالاً حينئذ،، أو يكون أمية بن خلف بعثه معه، وذلك فيه أمران:](١).

[**أحدهما**: أن أبا بكر رضى الله عنه لم يكن معهم فى هذه السفرة، ولا كان فى سن من يملك، فإنه كان أصغر من رسول الله ﷺ بنحو ثلاث سنين، وإذا كان رسول الله ﷺ فى هذه السفرة ابن تسع سنين، فيكون حينئذ أبو بكر له من العمر نحو ست سنين](١).

[**الثاني**: أنَّ بلالاً رضى الله عنه، توفى سنة عشرين، وقيل إحدى وعشرين، وسنه تسع وستون سنة، فيكون سنه فى هذه السفرة نحو سنتين](١).

[**وشئ آخر**: وهو أن أبا بكر رضى الله عنه صحب رسول الله ﷺ وهو

---

(١) ما بين الحاصرتين فى كل الفقرات زيادة للسياق من النسخة (ج).

ابن ثمان عشرة، والنبى ﷺ ابن عشرين سنة، فكيف يكون معه فى هذه السفرة وهو لم يصحبه إلا بعدها بنحو إحدى عشرة سنة؟](١).

وقال يونس بن بكير [رحمه الله]: قال محمد بن إسحاق: وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله ﷺ بعد جده وكان معه، ثم إن أبا طالب خرج فى ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع السير، صب له(٢) رسول الله ﷺ، فأخذ بزمام ناقته، وقال: يا عم! إلى من تكلنى؟ لا أب لى ولا أم لى، فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا.. أو كما قال.

فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام(٣)، وبها راهب يقال له: بحيرا، فى صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل فى تلك الصومعة راهب بصير، وكان علمهم عن كتاب فيه فيما يزعمون، يتوارثونه كابرا عن كابر.

فلما نزلوا ببحيرا ذلك العام، وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام، نزلوا به قريبا من صومعته، فصنع لهم طعاما كثيرا، وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه فى صومعته فى الركب حين أقبلوا، وغمامة بيضاء تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة، حتى أظلت

---

(١) ما بين الحاصرتين فى كل الفقرات زيادة للسياق من (ج).

(٢) الصبابة: الشوق؛ وقيل: رقته، وحرارته، وقيل: رقة الهوى. صببت إليه صبابة، فانا صب أى عاشق مشتاق، والأنثى صبة. قال ابن الأعرابى: صب الرجل إذا عشق، يصب صبابة، ورجل صب، ورجلان صبان، ورجال صبون، وامرأتان صبتان، ونساء صبات. مختصرا من (لسان العرب): ١ / ٥١٨.

(٣) بُصرى، بضم أوله، وإسكان ثانيه، وفتح الراء المهملة: مدينة جوران، مشهورة عند العرب قديما وحديثا، وهى التى وصل إليها النبى ﷺ للتجارة. (معجم البلدان): ١ / ٥٢٢ موضع رقم (١٩٤٩)، (معجم ما استعجم): ١ / ٢٥٣، (مراصد الإطلاع): ١ / ٢٠١.

الشجرة، وشمرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ، حتى استظل تحتها.

فلما رآى ذلك بحيرا، نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إنى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا! إن لك اليوم لشأنا، ما كنت تصنع هذا فيما مضى، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا فى القوم، لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده، قال: يا معشر قريش، لا يتخلف أحد منكم عن طعامى هذا، قالوا له: يا بحيرا. ما تخلف عنك أحد ينبغى أن يأتيك إلا غلام، وهو أحد القوم سنا، تخلف فى رحالهم، قال: فلا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.

فقال رجل من قريش مع القوم: [واللات والعزى](١) إن هذا للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا [قال:] ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل حتى أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا، جعل يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده فى صفته، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا، قام بحيرا [فقال](١) له: يا غلام! أسألك باللات والعزى ألا أخبرتنى عما أسألك عنه، وإنما قال بحيرا ذلك، لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: لا تسألنى

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغض بعضهما شيئا قط.

فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه، [فقال][1]: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء، من حاله في نومه، وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرآى خاتم النبوة بين كتفيه، على موضعه من صفته التي عنده.

[قال][1]: فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، فقال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، قال: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن، فأسرع به إلى بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة، حين فرغ من تجارته بالشام، فزعموا فيما يتحدث الناس، أن زريرا[2]، وتماما[3]، ودريسا -وهم نفر من أهل الكتاب- قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب أشياء، فأرادوه، فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله، وما يجدون في الكتاب من ذكر وصفته، وأنهم إن أجمعوا بما أرادوا، لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قاله لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا [عنه][4]، فقال أبو طالب في ذلك شعرا، يذكر مسيره برسول الله ﷺ،

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) في (الأصلين): «زبيرا»، وصوبناه من كتب السيرة.

(٣) في (دلائل البيهقي): «ثمام».

(٤) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

وما أراد منه أولئك النفر، وما قال لهم فيه بحيرا(١).

وقال الواقدى [رحمه الله تعال]: حدثنا محمد بن أبى حبيبة، عن داود ابن الحصين، قالوا لما خرج أبو طالب إلى الشام، خرج معه رسول الله ﷺ فى المرة الأولى، وهو ابن اثنتى عشرة سنة، فلما نزل الركب بصرى، وبها راهب يقال له: بحيرا فى صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون فى تلك الصومعة، يتوارثنوها عن كتاب يدرسونه، فلما نزلوا ببحيرا، وكانوا كثيرا ما يمرون به لا يكلمهم، حتى إذا كان ذلك العام، نزلوا [منزلا] قريبا من صومعته [قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا به]، فصنع لهم طعاما،

---

(١) قال أبو طالب:

إن ابن آمنة الأمين محمدا ... عندي بمثل منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلصن بالأزواد
فارفضّ من عينى دمعٌ ذارفٌ ... مثل الجمان مفرق الأفراد
راعيتُ منه قرابةً موصولةً ... وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومة ... بيض الوجوه مصالت أنجاد
ساروا لأبعد طية معلومة ... فلقد تباعد طية المرتاد
حتى إذا ما القوم بُصرى عاينوا ... لاقوا على شرك من المرصاد
حبرا فأخبرهم حديثا صادقا ... عنه ورد معاشر الحساد
قوما يهودا قد رأوا ما قد رأى ... ظل الغمامة ثاغرى الأكباد
ساروا لفتك محمد فنهاهمو ... عنه وأجهد أحسن الإجهاد
فثنى [زبيراء] بحير فانثنى ... فى القوم بعد تجادل وتعاد
ونهى دريسا فانتهى لما نهى ... عن قول حبر ناطق بسداد

(دلائل النبوة للبيهقى): ٢ / ٢٩، باب ما جاء فى خروج النبى ﷺ مع أبى طالب حين أراد الخروج إلى الشام تاجرا، ورؤية بحيرى الراهب من صفته وآياته ما استدل به على أنه هو النبى الموعود فى كتبهم ﷺ، ثم قال الحافظ البيهقى: وذكر ابن إسحاق ثلاث قصائد من شعره فى ذلك.

ثم دعاهم، وإنما حمله على دعائمهم، أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم، حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة، فأخضلت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حين استظل تحتها.

فلما رآى بحيرا، نزل من صومعته، وأمر بذلك الطعام، فأتى به وقال: إنى صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروه كلكم، ولا تخلفوا منكم صغيرا ولا كبيرا، حرا ولا عبدا، فإن هذا شئ تكرمونى به، فقال رجل: إن لك لشأنا يا بحيرا، ماكنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم؟ قال: إنى أحببت أن أكرمكم، ولكم حق، فاجتمعوا إليه.

وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه، ليس فى القوم أصغر منه فى رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا إلى القوم، ولم ير الصفة التى يعرف ويجدها عنده، جعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ، قال: يا معشر قريش! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى، قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سناً فى رحالهم، فقال: ادعوه ليحضر طعامى، فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد، مع أنى أراه من أنفسكم، فقال القوم: هو والله أوسطنا نسبا، وهو ابن أخى هذا الرجل -يعنون أبا طالب- وهو من ولد عبد المطلب، فقال الحارث بن المطلب: والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه.

وجعل بحيرا يلحظه لحظًا شديدا، وينظر إلى أشياء فى جسده، قد كان [يجدها] عنده فى صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم، قام إليه الراهب فقال:

يا غلام! أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألنى باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئا بعضهما، قال: فبالله إلا أخبرتنى عما أسألك، قال: سلنى عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله، حتى نومه، ورسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر فى عينيه، ثم كشف عن ظهره، فرآى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التى عنده، فقبل موضع الخاتم.

وقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدرا، وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب، يخاف على ابن أخيه، فقال الراهب لأبى طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب: ابنى، قال: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا، قال: فابن أخى، قال: فما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حبلى به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريبا، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله إن رأوه، وعرفوا منه ما أعرف ليبغنه سوءا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده فى كتابنا، وما درينا عن آبائنا، وأعلم أنى قد أديتُ إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجارتهم، خرج به سريعا، وكان رجال من اليهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته، فأرادوا أن يغتالوه، فذهبوا إلى بحيرا، فذاكروه أمره، فنهاهم أشد النهى وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم، قال: فما لكم إليه سبيل، فصدقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفًا عليه. قال البلاذرى [رحمة الله عليه] فلما بلغ رسول الله ﷺ اثنتى عشرة سنة، عرض لأبى طالب شخوص إلى الشام فى تجارة، وكان رسول الله ﷺ يألفه، فسأله إخراجه معه، فأبى ذلك ضنا عليه،

وصيانة له، فاغتم وبكى، فأخرجه، فرآه راهب من علماء الرهبان يقال له: بحيرا، وكانت قد أظلته غمامة، قال: ابن أخى، قال أما ترى هذه الغمامة كيف تظله وتنتقل معه، والله إنه لنبى كريم، وإنى لأحسبه الذى بشر به عيسى عليه السلام، فإن زمانه قد قرب، وينبغى لك أن تحتفظ به، فرده أبو طالب إلى مكة. وذكر بعض الرواة أن أبا طالب أشخص رسول الله ﷺ إلى الشام وهو ابن تسع، والأول أثبت.

* * *

وأمّا سفره ﷺ في تجارة خديجة رضى الله تعالى عنها

فخرج البيهقى من حديث محمد بن فضيل قال: حدثنا الربيع بن بدر، عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ آجرت نفسى من خديجة سفرتين بقلوص[1].

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: وكانت خديجة بنت خويلد [رضى الله عنها] امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها، وتضاربهم إياه بشئ تجعل لهم منه، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها تاجرا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله منها رسول الله ﷺ، وخرج فى مالها، ذلك ومعه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام.

فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة، قريب من صومعة راهب من الرهبان، فأطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له

---

(١) (دلائل النبوة للبيهقى): ٢/ ٦٦، وقال فى هامشه: «الخبر فى إسناده الربيع بن بدر ضعفه ابن معين وقال: «ليس بشئ»، وقال النسائى ويعقوب بن سفيان: «متروك»، وقال ابن حبان: «بقلب الأسانيد، ويروى عن الثقات المقلوبات»، وقال الدار قطنى والأزدى: «متروك» (تهذيب التهذيب): ٣/ ٢٠٧ - ٢٠٨، ترجمة رقم (٤٦٢).

الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى(١)، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلاً إلى مكة، ومعه ميسرة، وكان ميسرة -فيما يزعمون- إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعفت أو قريبا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه.

وكانت خديجة امرأة حازمة، شريفة لبيبة، مع ما أراد الله [تعالى] بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت: فيما يزعمون يا ابن عم؟ إنى قدر رغبت فيك لقرابتك منى، وشرفك فى قومك، ووسيطتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالاً، وكل قومها قد كان حريصا على ذلك منها، لو يقدر على ذلك(٢).

---

(١) قول الراهب: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى»، قال السهيلى: «يريد ما نزل تحتها هذه الساعة قط إلا نبى، لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك... والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل، حتى يُدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى ﷺ أو غيره من الأنبياء».

(٢) (دلائل النبوة للبيهقى): ٢/ ٦٦ - ٦٧، (سيرة ابن هشام): ٢/ ٦ - ٨، ثم قال فى هامشه: «قول خديجة رضى الله عنها: لسطتك - أو وسيطتك- فى عشيرتك»، وقوله فى وصفها: «هى أوسط قريش نسبا» فالسطة: من الوسط، مصدر، كالعدة والزنة، والوسط من أوصاف المدح، والتفضيل، ولكن فى مقامين: فى ذكر النسب، وفى ذكر الشهادة.

أما النسب؛ فلان أوسط القبيلة أعرفها، وأولاها بالصميم، وأبعدها عن الأطراف، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان الوسط من أجل هذا مدحا فى النسب بهذا السبب.

وأما الشهادة، فنحو قوله سبحانه: ﴿**قال أوسطهم**﴾، وقوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**﴾، فكان هذا مدحا فى الشهادة؛ لأنها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وسطا =

وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر الواقدى قال: حدثنى موسى بن شيبة، عن عميرة بنت عبيد الله بن كعب بن مالك، عن أم سعد بنت سعد بن الربيع، عن نفيسة بنت منية -أخت يعلى بن منية- قالت: لما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة، قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لى، وقد اشتد الزمان علينا، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك فى عيراتها، فلوجئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت [إليك]، وبلغ خديجة ما كان من [محاورة] عمه له، فأرسلت إليه فى ذلك، وقالت له: أنا أعطيك ضعف ما أُعطى رجلاً من قومك، فقال أبو طالب: هذا رزق قد ساقه الله إليك، فخرج مع غلامها ميسرة، وجعل عمومته يوصون به أهل العير، حتى قدما بُصرى من [أرض] الشام[1].

فنزلا فى ظل شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة [قط][2] إلا نبىّ، ثم قال لميسرة: أفى عينيه حُمرة؟ قال: نعم، قال: لا تفارقه؟ قال نعم، قال: هو نبى، وهو آخر الأنبياء، ثم باع سلعته، فوقع بينه وبين رجل تلاح[3]، فقال له: احلف باللات والعزى، فقال له رسول الله ﷺ: ما حلفت بهما قط، وإنى لأمر [عليهما] فأُعرض عنهما، فقال الرجل: القول قولك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبى تجده أحبارنا منعوتا فى

= كالميزان، لا يميل مع أحد، بل يصمم على الحق تصميما، لا يجذبه هوى، ولا تميل به رغبة ولا رهبة، من ها هنا، ولا من ها هنا، فكان وصفه بالوسط غاية فى التزكية والتعديل.

وَظَنَّ كثير من الناس أن معنى الأوسط: الأفضل على الإطلاق، وقالوا: معنى الصلاة الوسطى: الفضلى، وليس كذلك، بل هو فى جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم كما يقتضى لفظ التوسط.

(١) (طبقات ابن سعد): ١/ ١٢٩، ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام فى المرة الثانية.

(٢) زيادة للسياق من (الطبقات).

(٣) التلاحى: الشقاق والمنازعة.

كتبهم، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة، واشتد الحر، يرى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس، فوعى ذلك كله ميسر[1].

وباعوا تجارتهم، وربحوا ضعف ما كانوا يربحون [حتى][2] دخل مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة [رضى الله عنها] فى علية لها، فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره، وملكان يظلان عليه، فأرته نساءها، فتعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله ﷺ بما ربحوا في وجههم فسُرَّت بذلك، فلما دخل عليها فميسرة أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال الراهب نسطور، وبما قال الآخر الذى خالفه [فى البيع][2].

---

(١) (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٣٠ .

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق) .

وأمَّـا الإسراء برسول الله ﷺ
ثم إلى السماوات العلى ورؤيته آيات ربه الكبرى

فإنه ثابت بكتاب الله العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبسنة رسول الله ﷺ الثابتة، المستفيضة عنه بالنقل، من حديث عبد الله بن مسعود، وأبى ذر، وحذيفة، وعبد الله بن عباس، وأبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى، ومالك بن صعصعة، وأبى بن كعب وأنس بن مالك، وشداد بن أوس، وأبى ليلى الأنصارى، وعبد الرحمن بن قُرظ، وأم هانى بنت أبى طالب، رضى الله عنهم، حتى صار فى الثبوت مصير التواتر.

قال الله جلَّ وعزَّ سبحانه: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾(١).

اعلم ان التسبيح هو التنزيه، والتنزيه والتبعيد مأخوذ من قولهم: سبَح الرجل فى الأرض إذا ذهب فيها، ومنه قيل للفرس إذا كان جيد الركض: سابح، ومنه السبح فى الماء، فقولك: سبحتُ الله، أى نزّهتُه وبرأتُه مما لا يليق بجلاله، وأصل المعنى والاشتقاق، باعدته مما لا يليقُ به، أى جعلته بمعزل منها، متباعداً تباعد المنزلة والرتبة(٢).

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) قال ابن الفرج: سمعت أبا الجهم الجعفرى يقول: سبحت فى الأرض وسَبَحْتُ فيها إذا تباعدتُ فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وكل فى فلك يسبحون** ﴾ أى يجرون، ولم يقل: تَسْبَحُ، لانه وصفها بفعل من يعقل.

وكذلك قوله: ﴿ **والسابحات سبحا** ﴾ هى النجوم تسبح فى الفلك، أى تذهب فيها بسطا، كما يسبح السابح فى الماء سبحًا، وكذلك السابح فى الماء سبحًا، وكذلك السابح من الخيل يمد يديه فى =

= الجرى سبحًا.

وقال الأزهرى فى قوله عز وجل: ﴿ **والسابحات سبحا فالسابقات سبقًا** ﴾؛ قيل: السابحات السفن، والسابقات الخيل.

والتسبيح: التنزيه، وسبحان الله: معناه: تنزيها لله من الصاحبة والولد. وقيل: تنزيه لله تعالى عن كل ما لا ينبغى له أن يوصف.

تقول: سَبَّحتُ الله تسبيحا له أى نزَّهته تنزيها، وكذلك روى عن النبى ﷺ.

قال الزجَّاج فى قوله تعالى: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا** ﴾ قال: منصوب على المصدر، المعنى: أسبح الله تسبيحا، قال: وسبحان فى اللغة تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن السوء.

وسبَّح الرجل: قال سبحان الله، وفى التنزيل: ﴿ **كل قد علم صلاته وتسبيحه** ﴾.

وقال قوم: ﴿ **وإن من شىء إلا يسبح بحمده** ﴾ أى ما من دابة إلا وفيه دليل على أن الله عز وجلَّ خالقه، وأن خالقه مُبَرَّأٌ من الأسواء، ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصنعة فى هذه المخلوقات.

قال الأزهرى: ومما يدلك على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تَعبدت به، قول الله عَز وجلَّ للجبال: ﴿ **يا جبال أوبى معه والطير** ﴾؛ ومعنى أوبى: سبحى مع داود النهار كله إلى الليل ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله عزَّ وجل للجبال بالتأويب إلا تعبداً لها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **ألم ترَ أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدَّوابُّ وكثير من الناس** ﴾؛ فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها، لا لانفقهها عنها، كما لا نفقه تسبيحها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وإنَّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يَشَّقَّق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ وقد علم الله تعالى هبوطها من خشيته، ولم يُعَرِّفنا ذلك، فنحن نؤمن بما أعلمنا، ولا نَدعى بما لا نُكلَّف بأفهامنا من علم فعلها كيفية نحُدُّها.

ومن صفات الله عز وجل: السُّبوحُ القُدوسُ، قال أبو إسحاق: السبوح: الذى ينزه عن كل سوء، والقدوس: المبارك، وقيل: الطاهر.

وقال ابن سيده: سبوح قدوس، من صفة الله عز وجل، لأنه تعالى يُسَبَّح ويقدس، ويقال: سَبُّوح قَدسٌ؛ قال الحيانى: المجتمع عليه فيها الضم.

وسُبُحات وجه الله، بضم السين والباء: أنواره، وجلاله، وعظمته، وقال جبريل عليه السلام: إن لله دون العدش سبعين حجابا، لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سُبُحات وجه ربنا؛ رواه صاحب (العين).

قال ابن شُميل: سبحات وجهه، نور وجهه. وفى حديث آخر: حجابه النور والنار، لو كشفه =

والإسراء: سير الليل، يقال: سَرى سرى ومسرا، وأسرى اسراءًا، وقيل: أسرى، سار فى أول الليل، وسرى، سار فى آخره[1].

= لاحرقت سبُحاتُ وجهه كلَّ شيء أدركه بصره.

وقال ابن عرفة الملق بنغطويه. فى قوله تعالى: ﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾: أى سبّحه باسمائه، ونَزهه عن التسمية بغير ما سمى به نفسه. قال: ومن سمى الله تعالى بغير ما سمى به نفسه فهو مُلْحد فى أسمائه، وكل من دعاه باسمائه فمسبح له بها، إذ كانت أسماؤه مدائح له وأوصافًا؛قال تعالى: ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾، وهى صفاته التى وصف بها نفسه، وكل من دعا الله باسمائه فقد اطاعه ومدحه، ولِحقه ثواب. (لسان العرب): ٢/٤٧١-٤٧٤ مختصراً.

(١) ﴿ **أسرى** ﴾: لغة فى سَرى، بمعنى سار فى الليل، فالهمزة هنا ليست للتعدية، لأن التعدية حاصلة بالباء، بل أسرى فعل مفتتح بالهمزة، مرادف سرى، وهو مثل: أبان المرادف بان، ومثل: انهج الثوب بمعنى نهج زى بلى فـ ﴿ **اسرى بعبده** ﴾ بمنزلة ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾.

وللمبرد والسهيل نكتة فى التفرقة بين التعدية بالهمزة والتعدية بالباء: بأن الثانية ابلغ، لأنها فى اصل الوضع تقتضى مشاركة الفاعل المفعول فى الفعل، فأصل ذهب به انه استصحبه. كما قال تعالى: ﴿ **وسار بأهله** ﴾.

وقالت العرب: أشبعهم شتمًا، وراحوا بالإبل، وفى هذا لطيفة تناسب المقام هنا، إذ قال: ﴿ **اسرى بعبده** ﴾ دون سرى بعبده، وهى التلويح إلى أن الله تعالى كان مع رسوله فى اسرائه، بعنايته وتوفيقه؛ كما قال تعالى: ﴿ **فإنك بأعيننا** ﴾، وقال: ﴿ **إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾.

فالمعنى: الذى جعل عبده مُسريًا، اى ساريًا، وهو كقوله تعالى: ﴿ **فاسر بأهلك بقطع من الليل** ﴾.

وإذ قد كان السُّرى خاصا بسير الليل، كان قوله: ﴿ **ليلا** ﴾ إشارة إلى أن السير به إلى المسجد الأقصى كان فى جزء ليلة، وإلا لم يكن ذكره إلا تاكيداً على أن الإفادة - كما يقولون - خير من الإعادة.

وفى ذلك إيماء إلى أنه إسراء خارق للعادة، لقطع المسافة التى بين مبدأ السير ونهايته فى بعض ليلة، وأيضا ليتوسل بذكر الليل إلى تنكيره، المفيد للتعظيم.

فتنكير ﴿ **ليلا** ﴾ للتعظيم بقرينة الاعتناء بذكره، مع علمه من فعل ﴿ **اسرى** ﴾، وبقرينة عدم تعريفه، اى هو ليل عظيم، باعتبار جعله زمنا لذلك السرى العظيم، فقام التنكير هنا مقام ما يدل على التعظيم، الا ترى كيف احتيج إلى الدلالة على التعظيم بصيغة خاصة فى قوله تعالى: ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ إذا وقعت ليلة القدر غير منكرة. (تفسير التحرير والتنوير): ١٥/١١- ١٢.

والمراد بعبده: محمد ﷺ، وليلا: [أى] فى جوف الليل، وقيل: فى بعض الليل، لا فى كله، وقيل: أى ذهب بعبده فى سراة الأرض، أى متسعها(١).

والمسجد الحرام، قيل: المراد به نفس الكعبة، وقيل: نفس المسجد الذى فيه الكعبة، وفيه يقع الطواف والصلاة إليها، وقيل: نفس مكة، وقيل: جميع الحرم، وقد أطلق لفظ المسجد الحرام بهذه الاعتبارات الأربعة، على الموضع الذى [اسرى منه بالنبى عليه الصلاة والسلام](٢).

---

(١) و«عبد» المضاف إلى ضمير الجلالة هنا هو محمد ﷺ، كا هو مصطلح القرآن، فإنه لم يقع فيه لفظ العبد مضافًا إلى ضمير الغيبة الراجع إلى الله تعالى، إلا مراداً به النبى ﷺ، ولأن خبر الإسراء به إلى بيت المقدس قد شاع بين المسلمين، وشاع إنكاره بين المشركين، فصار المراد «بعبده» معلومًا.

والإضافة إضافة تشريف لا إضافه تعريف، لأن وصف العبودية لله متحقق لسائر المخلوقات، فلا تفيد إضافته تعريفًا. (المرجع السابق).

(٢) ذكر الماوردى فى (الحاوى) فى كتاب الجزية، أن كل موضوع ذكر الله فيه المسجد الحرام، فالمراد به: الحرم، إلا فى قوله تعالى: ﴿**فولّ وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ فإنه أراد به الكعبة.

وأما ابن أبى الصيف اليمنى فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر [التى ذكر الله تعالى فيها اسم ﴿**المسجد الحرام**﴾ فى القرآن الكريم]: منها ما أراد الله به الكعبة، كقوله تعالى: ﴿**فولّ وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ [البقرة: ١٤٤]، ومنها ما أراد به مكة كقوله تعالى: ﴿**سبحانه الذى أسرى بعبده**﴾ [الإسراء:١]، وقد روى أنه ﷺ أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب.

ومنها ما أراد به الحرم، كقوله تعالى: ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام**﴾ [التوبة: ٢٨]. قال: وقد روى النسائى فى سننه، من حديث ميمونة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الكعبة.

وروى أيضا من حديث أبى هريرة: إلا الكعبة. وفى رواية ابن ماجة: وصلاته بمكة بمائة ألف. مع ذكر المساجد يظهر أنه أراد مسجد مكة، والمصلى فيه مصل بمكة. [فإنه قال فى الحديث الذى أخرجه جابر، عن رسول الله ﷺ قال: صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل مائة ألف صلاة فيما سواه]. رواه ابن ماجة.

قال: والإنصاف أن الكل داخل فى الاسم المذكور فى القرآن، إلا أن الإطلاق إنما ينصرف إلى =

فقد ثبت من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، عن النبى [عليه الصلاة والسلام]، قال: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان.. وذكر حديث الإسراء. وفى رواية: بينا أنا فى الحطيم - وربما قال فى الحجر - مضطجعًا، إذ أتانى آتٍ.. الحديث[1]، فإن كان فى الحجر، فقد وقع

= المسجد الذى قُدِّر به الطواف، ولهذا ورد: كنا فى المسجد الحرام، وخرجنا من المسجد الحرام، واعتكفنا فى المسجد الحرام، وبتنا فيه، ولا شك أن مساجد الحرم متعددة، واختص هو من بينها بالمسجد الحرام فى العرف.

وقد ذكر الأزرقى فى (أخبار مكة): عن جده، عن مسلم بن خالد، عن محمد بن الحارث، عن سفيان، عن على الأزدى، قال: سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول: إنا لنجد فى كتاب الله عزَّ وجل أن حدَّ المسجد الحرام من الحَزوَرة إلى المسعى.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: أساس المسجد الذى وضعه إبراهيم عليه السلام من الحَزوَرة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد. [الحزورة: موضع بمكة يلى البيت، وهو بفتح الحاء وسكون الزاى، والمحدثون يقولونه بتشديد الواو، وهو تصحيف، وأجياد: موضع من بطحاء مكة] (معجم ما استعجم للبكرى)، (إعلام الساجد بأحكام المساجد): ٦٠-٦١.

فالمسجد الحرام هو المكان المعدّ للسجود، أى الصلاة، وهو الكعبة والفناء المجعول حرمًا لها، وهو يختلف سعة وضيقًا باختلاف العصور من كثرة الناس فيه للطواف، والاعتكاف، والصلاة.

والحرام: فَعَال بمعنى مفعول، كقولهم: امرأة حصان، أى ممنوعة بعفافها عن الناس. (تفسير التحرير والتنوير): ١٥/ ١٣.

ومن ذلك ما قاله حسَّان بن ثابت رضى الله عنه معتذرًا عن خوضه مع الذين خاضوا فى حديث الإفك، فقال مخاطبًا لأم المؤمنين، المبرأة، أم عبد الله عائشة رضى الله عنها:

حَصَانٌ رزانٌ ما تُـزَنُّ بريبـةٍ ... وتُصبح غَرثى من لحوم الغوافـلِ
عقيلة حيٍّ من لـؤى بن غالـبٍ ... كرام المساعى مجدُهم غَير زائلِ

(ديوان حسان بن ثابت): ٢٢٨.

(١) (فتح البارى): ٦/ ٣٧١، كتاب بدء الخلق، باب (٦) ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٧)، وهو حديث طويل أمسكنا عن ذكره لطوله واشتهاره. وفى (المرجع السابق): ٧/ ٢٥٥، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٢) المعراج، حديث رقم (٣٨٨٧)، وفيه: «بينما أنا فى الحطيم - وربما قال: فى الحجر - مضطجعا إذ أتانى آت... فذكره، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه، فى كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٤)، وأخرجه الترمذى فى (السنن): ٥/ ٢٨١، كتاب تفسير القرآن، باب (١٨) ومن سورة بنى اسرائيل، =

الإسراء من نفس الكعبة، لأن معظم الحجر من البيت(١).

وإن كان من الحطيم، فقد وقع الإسراء من نفس المسجد، فإن الحطيم ما بين الركن والمقام، وما بين زمزم والحجر، على أن رواية «عند» محتملة للأمرين، فإن كان بالحِجر، فإنه عند البيت، لأن الحِجر لما أخرج من البيت، صار كانه ليس منه، ولو لم يثبت أنه كان فى الحجر، لصح لمن كان عند البيت أن يقال عنه أنه أسرى به من البيت، أى من عند البيت(٢).

= حديث رقم (٣١٣٣) عن جابر بن عبد الله مختصراً، ولفظه: «لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وفى الباب عن مالك بن صعصعة، وأبى سعيد، وابن عباس.

وأخرجه النسائى فى (السنن): ١/ ٢٣٧، كتاب الصلاة، باب(١) فرض الصلاة، حديث رقم (٤٤٧).

وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٥/ ٢٣٦، حديث رقم (١٧٣٧٨) من حديث مالك بن صعصعة عن النبى ﷺ، وحديث رقم (١٧٣٧٩)، وحديث رقم (١٧٣٨٠)، وحديث رقم (١٧٣٨١) كلهم من حديث مالك بن صعصعة بسياقات مختلفة.

(١) قال الإمام النووى: قال أصحابنا: ست أذرع من الحِجر مما يلى البيت محسوبة من البيت بلاخلاف، وفى الزائد خلاف؛ فإن طاف فى الحج وبينه وبين البيت أكثر من ستة أذرع ففيه وجهان لأصحابنا، **أحدهما**: يجوز، لظواهر هذه الأحاديث، وهذا هو الذى رجحه جماعات من أصحابنا الخراسانيين.

والثانى: لا يصح طوافه فى شيء من الحِجْر ولا على جداره، ولا يصح حتى يطوف خارجًا من جميع الحِجر، وهذا هو الصحيح، وهو الذى نصَّ عليه الشافعى، وقطع به جماهير أصحابنا العراقيين، ورجحه جمهور الأصحاب، وبه قال علماء المسلمين، سوى أبى حنيفة فإنه قال: إن طاف فى الحِجْر وبقى فى مكة أعاده، وإن رجع من مكة بلا إعادة أراق دما، وأجزاه طوافه.

واحتج الجمهور بأن النبى ﷺ طاف من وراء الحجر وقال: لتأخذوا [عنى] مناسككم، ثم أطبق المسلمون عليه من زمنه ﷺ إلى الآن، وسواء كان كله من البيت أم بعضه، فالطواف يكون من ورائه، كما فعل النبى ﷺ، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى): ٩/ ٩٩-١٠٠، كتاب الحج، باب (٦٩) نقض الكعبة وبنائها.

(٢) حطيم مكة هو ما بين الركن والباب، وقيل: هو الحِجر المُخْرَجُ منها، سمى به لأن البيت رُفع وتُرك هو محطومًا، وقيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما كانت به من الثياب، فبقى حتى حُطِم بطول الزمان، فيكون فعيلا بمعنى فاعل. =

وثبت أيضا من حديث أنس، عن أبى ذر [رضى الله عنهما]، عن النبى ﷺ قال: فرج سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل... الحديث، وهذا صريح فى أنه كان بمكة خارج المسجد لأن بيته بمكة لم يكن بالمسجد(١).

وروى الواقدى [رحمه الله]، أنه أُسرى برسول الله ﷺ من شعب أبى طالب(٢) إلى بيت المقدس، ليلة سبع عشرة من ربيع الأول، قبل الهجرة بسنة. قال الواقدى: وذلك غير ثبت، كذا رواية أنه أسرى به من بيت أم هانئ، فإنها تدل على أن الإسراء كان من خارج المسجد.

[وقد روى إسرائيل، عن ثور، عن مجاهد، وروى عبد الله بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قالا: الحرم كله مسجد. وعن عطاء: الحرم مسجد كله. وعن عطاء، عن ابن عباس: الحرم كله المسجد الحرام. ذكره عمر بن [أبى] شيبة فى كتاب (أخبار مكة)](٣).

والمسجد الأقصى، هو مسجد بيت المقدس، سمى بذلك لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، وقيل: وصف بالأقصى من العرب، أو من أهل مكة، أو من النبى ﷺ، والأقصى: أفعل من القصى، والقاصى، وهو

= وقال ابن عباس: الحطيم الجدار بمعنى جدار الكعبة. وقال ابن سيده: الحطيم حِجر مكة مما يلى الميزاب، سمى بذلك لانحطام الناس عليه، وإنما سُمى حطيما لأن البيت رُفع وتُرك ذلك محطومًا. (لسان العرب): ١٢ / ١٣٩-١٤٠ مختصراً.

(١) (جامع الأصول): ١١ / ٣٠٥-٣٠٧، فى الإسراء وما يتعلق به، حديث رقم (٨٨٦٨).

(٢) كانت كل عشيرة تتخذ بيوتها متجاورة، ومجموع البيوت يسمى « شِعْبًا » - بكسر الشين - وكانت كل عشيرة تسلك إلى المسجد الحرام من منفذ دورها، ولم يكن للمسجد الحرام جدار يُحفظ به، وكانت المسالك التى بين دور العشائر تسمى أبوابًا، لأنها يُسلك منها إلى المسجد الحرام، مثل باب بنى شيبة، وباب بنى هاشم، وباب بنى مخزوم - وهو باب الصفا - وباب بنى سهم، وباب بنى تيم، وأول من جعل للمسجد الحرام جدار يحفظ به هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة سبع من الهجرة. (تفسير التحرير والتنوير) ١٥ / ١٣ مختصراً.

(٣) ما بين الحاصرتين من (خ) وليس فى (ج).

البعيد[1].

وقد كثرت الأحاديث الواردة فى صفة الإسراء، وتباينت كيفيته، وجاء فى بعضها: أن الإسراء كان بجسده [ﷺ، وفى بعضها: أن الإسراء كان

---

(١) المسجد الأقصى: هو المسجد المعروف ببيت المقدس الكائن. بإيلياء، وهو المسجد الذى بناه سليمان عليه الصلاة والسلام.

والأقصى: أى الأبعد، والمراد بُعده عن مكة، بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء، وكونه خارقا للعادة لكونه قطع مسافة طويلة فى بعض ليلة.

وبهذا الوصف الوارد له فى القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علمًا بالغلبة على مسجد بيت المقدس، كما كان المسجد الحرام علمًا بالغلبة على مسجد مكة.

وفى هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزة خَفِيَّة من معجزات القرآن، إيماءً إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم، هو مسجد طيبة، الذى هو قَصى عن المسجد الحرام، فيكون مسجد بيت المقدس أقصى منه حينئذ.

فتكون الآية مشيرة إلى جميع المساجد الثلاثة المفضلة فى الإسلام على جميع المساجد الإسلامية، والتى بينها قول النبى ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدى».

والمسجد الأقصى هو ثانى مسجد بناه إبراهيم عليه السلام، كما ورد ذلك عن النبى ﷺ: ففى الصحيحين عن أبى ذر قال: قلت يا رسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة.

فهذا الخبر قد بين أن المسجد الأقصى من بناء إبراهيم، لأنه حُدِّد بمدة هى من مدة حياة إبراهيم عليه السلام، وقد قُرن ذكره بذكر المسجد الحرام.

وهذا مما أهمل أهل الكتاب ذكره، وهو ما خصَّ الله تعالى نبيه بمعرفته، والتوراة تشهد له، فقد جاء فى سفر التكوين فى الإصحاح الثانى عشر: أن إبراهيم لما دخل أرض كنعان [وهى بلاد فلسطين]، نصب خيمته فى الجبل شرقىّ بيت إيل [بيت إيل مدينة على بعد أحد عشر ميلا من أورشليم إلى الشمال، وهو بلد كان اسمه عند الفلسطينيين «لوزا» فسماه يعقوب: «بيت إيل، كما فى الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين] وغربىّ بلاد عاى [مدينة عبرانية تعرف الآن «الطيبة»] وبنى هنالك مذبحًا للرب (تفسير التحرير والتنوير): ١٥/١٦، (العهد القديم): ٤٥، سفر التكوين، الإصحاح الثامن والعشرون، عدد (١٩).

بروحه، فكان ذلك منامًا، وفى بعضها: أن الإسراء كان بجسده][1] فى اليقظة إلى بيت المقدس فقط، فكانت رؤية عين، ثم عُرج بروحه إلى السموات، فكانت رؤيا قلب.

وذهب إلى كل من هذه الأحاديث جماعة، ثم من الناس من يقول: كان ذلك كله فى ليلة واحدة، ومنهم من يقول: كان الإسراء فى ليلة، والمعراج فى أخرى، وأن المعراج غير الإسراء[2].

واختلفوا فى تاريخ الإسراء، فقال أبوبكر محمد بن على بن [القاسم] الذُّهُنى فى تاريخه: ثم أسرى بالنبى ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وعرج به إلى السماء، بعد مبعثه بثمانية عشر شهرًا[3].

قال ابن عبد البر [رحمه الله] : لا أعلم أحدًا من أهل السّير، قال ما حكاه الذهبى، ولم يسند قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم، ولا رفعه إلى من يحتج به.

وقال أبو إسحاق [الحربى، رحمه الله]: فلما كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول، قبل الهجرة بسنة، أسرى برسول الله ﷺ، وفرض عليه خمسون صلاة، ثم نقصت إلى خمس صلوات، فأتاه جبريل [عليه السلام]، فأمّه عند البيت، فصلى الظهر أربعًا، والعصر أربعًا، والمغرب، ثلاثا، والعشاء أربعًا، والفجر ركعتين، كل ذلك نحو بيت المقدس، فلما كان الموسم من هذه السنة، لقيه الأنصار [رضى الله عنهم] فبايعوه ثم انصرفوا.

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق من (ج).

(٢) الواقدى من الذين فرقوا بين الإسراء والمعراج، وجعلهما فى تاريخين. (تاريخ الإسلام للذهبى): ٢ / ٢٧٢.

(٣) (طبقات ابن سعد): ١ / ٢١٣-٢١٦، ذكر ليلة أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس.

قال ابن عبد البر: هكذا قال فى الإسراء، قبل الهجرة بسنة، وهو قول موسى بن عقبة واختلف فى ذلك عن ابن شهاب، فذكر [رحمه الله تعالى] من طريق محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: ثم أُسرى به إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة، وفرض الله [تعالى] عليه الصلاة.

قال ابن شهاب: وزعم ناس أنه كان يسجد نحو بيت المقدس، ويجعل وراء ظهره الكعبة وهو بمكة. ويزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة حتى خرج منها، فلما قدم المدينة، استقبل بيت المقدس، وقد اختلف فى ذلك.

قال ابن عبد البر: هكذا قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة، وذلك بعد مبعثه بسبع سنين، أو باثنى عشر سنة، على حسب اختلافهم فى مقامه بمكة [بعد] مبعثه ﷺ.

وروى يونس عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة، قال ابن شهاب: وذلك بعد مبعث النبى ﷺ بسبعة أعوام، وخالفه الوقاصى عن ابن شهاب فقال: أسرى به بعد مبعثه بخمس سنين، وقال يونس بن بكير: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن – هو الوقاصى – عن الزهرى، قال: فرضت الصلاة بمكة، بعد ما أوحى إلى النبى ﷺ بخمس سنين، وفرض الصيام بالمدينة قبل بدر، وفرضت الزكاة والحج بالمدينة، وحُرِّمت الخمرُ بَعد أحد.

وقال ابن إسحاق: أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى – وهو بيت المقدس – وقد فَشَا[١] الإسلام بمكة، وفى القبائل كلها.

قال يونس بن بكير وغيره، عن ابن إسحاق: ثم إن جبريل أتى النبى ﷺ

---

(١) فشا: ذاع وانتشر.

حين افترضت عليه الصلاة – يعنى فى الإسراء – فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى، فانفجرت عين ماء مُزن، فتوضأ جبريل عليه السلام، ومحمد ﷺ ينظر، فوضأ وجهه واستنشق، ومضمض، ومسح برأسه وأذنيه، ورجليه إلى الكعبين، ونضح فرجه، ثم قام [فصلى] ركعتين وأربع سجدات، فرجع رسول الله ﷺ، وقد أقرّ الله تعالى عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من أمر الله، فأخذ بيد خديجة رضى الله تعالى عنها، ثم أتى بها العين، فتوضأ كما توضأ جبريل [عليه الصلاة والسلام]، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات، هو وخديجة [رضى الله عنها]، ثم كان هو وخديجة يصليان سواء.

قال ابن عبد البر [رحمة الله عليه]: هذا يدلك على أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام، لأن خديجة [رضى الله عنها]، توفيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بثلاثة [أعوام]، وقيل: بأربع [سنين][١].

وقول ابن إسحاق مخالف لقول ابن شهاب فى الإسراء، على أن ابن شهاب قد اختلف عنه فى ذلك، على ما ذكرنا من رواية ابن عقبه، ورواية يونس بن بكير، ورواية الوقاصى، وهى روايات [مختلفات] على ما ترى.

وروى أحمد بن زهير [عفا الله عنه]: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة [رضى الله عنها] قالت : فتزوجنى رسول الله ﷺ بعد مُتَوفَّى خديجة [رضى الله عنها]، وقبل هجرته إلى المدينة بسنتين أو ثلاث.

وقال يونس عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل السّدى، قال: فُرض على رسول الله ﷺ [الصلوات] الخمس فى بيت المقدس، ليلة أُسرى به، قبل

---

(١) (التمهيد لابن عبد البر) عند ذكر فرض الصلاة، كما أشار إليه فيه (الاستيعاب) : ١ / ٤٠ .

مهاجره بستة عشر شهراً.

وقال الواقدى: عن معمر بن راشد، عن عمرو بن عبد الله، عن عكرمة، قال: أسرى بالنبى ﷺ من المسجد، وهو نائم فى الحِجر، بعد هدوء من الليل.

وقال سفيان: عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، فى قول الله عز وجل: ﴿ **وما جعلنا الرّؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾[1]، قال: رؤيا عين.

وقال ابن أبى الزناد: عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قال: أسرى بروح رسول الله ﷺ، وهو نائم على فراشه.

وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن قتادة عن الحسن قال: أسرى بروح رسول الله ﷺ وهو نائم على فراشه.

قال الحافظ أبو نعيم [الأصفهانى]: وحقيقة الإسراء، أوضح وأبين من أن يُستقصى فيه بآحاد الأخبار، ولورود نص القرآن الكريم، بذكر المسرى، وظاهر القرآن يدل [على] أنه أسرى ببدنه يقظاناً، إذ لو كان ذلك مناماً على ما ذكرته الزائفة، لما اعترض فيه المشركون، وطعنوا عليه، ونسبوه فيه إلى الاستحالة، فإنه غير مستنكر فى الرؤيا - رؤيا المنام - قطع تلك المسافة بين المسجدين، الحرام والأقصى، فى حكم ساعة من الليل.

---

(١) الإسراء: ٦٠، يقول ابن عباس: قالت عائشة، ومعاوية، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وسعيد بن جُبَير، والضحاك، وابن أبى نجيح، وابن زيد: وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبى ﷺ أنه أسرى به، وقيل: كانت رؤيا نوم، وهذه الآية تقضى بفساده، وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها، وما كان أحد لينكرها.

حدثنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عبّاس فى قوله تعالى: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾، قال: هى رؤيا عين، رآها ليلة أسرى به. (تفسير الطبرى): ١٥ / ٧٦، (تفسير عبد الرزاق): ١ / ٣٢٤، مسألة رقم (١٥٨٢).

وقال القاضى عياض: الحق والذى عليه أكثر الناس، ومعظم السلف، وعامة المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين: أنه أسرى بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها، وبحث عنها، ولا يُعْدَلُ عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة فى حملها عليه، فيحتاج إلى تأويل(١).

---

(١) قال القاضى عياض: ثم اختلف السلف والعلماء، هل كان إسراؤه ﷺ بروحه أو جسده؟ على ثلاث مقالات: فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح، وأنه رؤيا منام، مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحى، وإلى هذا ذهب معاوية، وحكى عن الحسن، والمشهور عنه خلافه، وإليه أشار محمد بن إسحاق وحجتهم قوله تعالى: ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن** ﴾.

وما حكوا عن عائشة رضى الله عنها: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ»، وقوله ﷺ: «بينا أنا نائم»، وقول أنس: «وهو نائم فى المسجد الحرام» وذكر القصة، ثم قال فى آخرها: «فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام». وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد، وفى اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس، وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبى هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبى حَبَّة البدرى، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد والحسن وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جُرَيج.

وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبرى، وابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، والمفسرين.

وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾، فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء الذى وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتَّمدُّح بتشريف النبى محمد ﷺ به، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه، قال هؤلاء: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فيكون أبلغ فى المدح.

ثم اختلفت هذه الفرقتان، هل صلى فى بيت المقدس أم لا؟ ففى حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه، وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان، وقال: مازالا عن ظهر البُراق حتى رجعا.

قال القاضى - وفقه الله - والحق من هذا والصحيح إن شاء الله: أنه إسراء بالجسد والروح فى القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يُعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة.

وليس فى الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، إذ لو كان مناما لقال: بروح عبده، ولم يقل: ﴿ **بعبده** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾، ولو كان منامًا لما كانت فيه آية =

وقد تعقب العلامة شمس الدين أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم، قول القاضى عياض، رحمه الله، فقال: أما أن هذا مذهب الأكثر فصحيح، وبه نقول، وأما أنه لم يكن إلا ذلك، فهذا موضع نظر، وأما أن الآثار تدل عليه؛ فإن أراد كل الآثار فممنوع، فإن فيها ما صرّح بأنه كان نائماً، ثم ذكر حديث شريك، وفيه: أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام.. فذكره، وفى آخره: فاهبط [بسم] الله، فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام. وهذا نَصّ لا يحتمل التأويل [فى أنه كان نائماً، وإن أراد بعض الآثار أو معظمها]، فهو صحيح، فقد ظهر وجه قول من زعم أن الإسراء كان مناماً.

واستدل أبو شامة [أيضا] بقوله تعالى: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**﴾، وزعموا أن المراد بها ليلة الإسراء، [وقالوا: الرؤيا] ما كان فى النوم، والذى فى اليقظة: رؤية، بالهاء، وفتنة الناس بها: أن منهم من ارتاب وتغيّر.

واستدل من ذهب إلى أنه أسرى بجسده يقظة إلى السموات، بحديث حماد عن ثابت، عن أنس رضى الله عنه، ظاهره أن الإسراء إلى بيت

= ولا معجزة، ولما استبعده الكفار، ولا كذبوه، ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، إذ مِثلُ هذا من المنامات لا يُنكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته، إلى ما ذكر فى الحديث من ذِكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس فى رواية أنس رضى الله عنه، أو فى السماء على ما روى غيره، وذكر مجئ جبريل له بالبراق، وخبر المعراج، واستفتاح السماء فيقال: ومن معك، فيقول: محمد، ولقائه بالأنبياء فيها، وخبرهم معه وترحيبهم به، وشأنه فى فرض الصلاة، ومراجعته مع موسى فى ذلك.

وفى بعض هذه الأخبار: فأخذ – يعنى جبريل – بيدى فعرج بى إلى السماء... إلى قوله: ثم عَرَج بى حتى ظهرتُ بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، وأنه وصل إلى سدرة المنتهى، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره. قال ابن عباس رضى الله عنه: هى رؤياعين رآها ﷺ لا رؤيا منام (الشفا): ١/١١٣-١١٥ مختصراً.

المقدس، والمعراج كان في ليلة واحدة من غير نوم، ويؤيد ذلك: أنه ﷺ لما أخبر به، كذبه المشركون، وارتد جماعة ممّن أسلم! ولو كان منامًا لم يستنكر لمن هو بمكة، أن يرى نفسه ببيت المقدس، وقد يرى الإنسان أعظم من ذلك، فَيُحدِّث به، فلا يُنكر عليه.

وقد اختلف الصحابة [رضي الله عنهم] في رؤيته عليه الصلاة والسلام ربَّه(١)، [سبحانه و] تعالى، في ليلة الإسراء، حتى قالت عائشة رضي الله

---

(١) قال القاضي عياض: وأما رؤيته ﷺ لربه جلَّ وعزَّ، فاختلف السلف فيها، فانكرته عائشة رضي الله عنها: حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه، قال: حدثني أبي وأبو عبد الله ابن عتَّاب الفقيه، قالا: حدثنا القاضي يونس بن مُغيث، حدثنا أبو الفضل الصُقلي، حدثنا ثابت ابن قاسم، عن أبيه وجده، قالا: حدثنا عبد الله بن علي، حدثنا محمود بن أدم، حدثنا وكيع، عن ابن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق، أنه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمد ربّه؟ فقالت: لقد قَفَّ شَعْري مما قُلتَ - ثلاث من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربَّه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿**لا تدركه الأبصارُ وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾، وذكر الحديث.

وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود، ومثله عن أبي هريرة أنه قال: إنما رأى جبريل، واختُلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدّثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رآه بعينه، وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه، وعن أبي العالية عنه: رآه بفؤاده مرتين، وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله: هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم، والاشهر عنه أنه رأى ربه بعينه، رُوى ذلك عنه من طرق وقال: إن الله تعالى أختص موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، ومحمداً ﷺ بالرؤية، وحجته قوله تعالى: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ [النجم: ١١-٣١].

قال الماوردي: قيل: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين.

وحكى أبو الفتح الرازي، وأبو الليث السمر قندي الحكاية عن كعب، وروى عبد الله بن الحارث قال: اجتمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس، أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمداً قد رأى ربه مرتين، فكبرَّ كعب حتى جاوبته الجبال، وقال: إن الله قَسَم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلمه موسى، ورآه محمد بقلبه.
=

. . . .

= وروى شريك عن أبى ذر رضى الله عنه فى تفسير الآية، قال: رأى النبىُّ ﷺ ربه.

وحكى السمر قندى عن محمد بن كعب القُرظىّ، وربيع بن أنس أن النبى ﷺ سُئل: هل رأيتَ ربك؟ قال: رأيته بفؤادى ولم أره بعينى.

وروى مالك بن يُخامر، عن مُعاذٍ، عن النبى ﷺ قال: رأيت ربى، وذكر كلمة، فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟... الحديث.

وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكاه أبو عمر الطَّلَمنكى عن عكرمة.

وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود.

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ فقال نعم. وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه رآه، حتى انقطع نفسه - يعنى نفس أحمد.

وقال أبو عمر: قال أحمد بن حنبل: رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته فى الدنيا بالأبصار.

وقال سعيد بن جُبير: لا أقول رآه، ولا لم يره، وقد اختلف فى تأويل الآية، عن ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وابن مسعود، فحكى عن ابن عباس وعكرمة: رآه بقلبه، وعن الحسن وابن مسعود: رأى جبريل، وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: أنه قال: رآه.

وعن ابن عطاء فى قوله تعالى: ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾، قال: شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى للكلام. وقال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى رضى الله عنه وجماعة من أصحابه، أنه رأى الله تعالى ببصره وعينى رأسه، وقال: كل آية أوتيها نبى من الأنبياء عليهم السلام، فقد أوتى مثلها نبينا ﷺ، وخُصَّ من بينهم بتفضيل الرؤية، ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال: ليس عليه دليل واضح، ولكنه جائز أن يكون.

قال القاضى أبو الفضل -وفقه الله- والحق الذى لا امتراء فيه، أن رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلاً، وليس فى العقل ما يُحيلها، والدليل على جوازه فى الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحال أن يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل، ولكنْ وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه إلا من علمه، فقال له الله تعالى: ﴿ **لن ترانى** ﴾ أى لن تطيق، ولا تحتمل رؤيتى، ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت، وهو الجبل، وكل هذا ليس فيه ما يُحيل رؤيته فى الدنيا، بل فيه جوازها على الجملة، وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها، ولا امتناعها، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة، ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى: ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ لاختلاف التأويلات فى الآية.

وليس يقتضى قول من قال: فى الدنيا الاستحالة، وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على =

عنها: قَفَّ شعرى، لما سألها مسروق عن ذلك، ولو كان منامًا، لما قَفَّ[1] شعرها من سؤاله، إذ آحاد الناس يرى ذلك منامًا.

وسأل أبو ذرٍ رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ وهذا دليل على أن مسراه جميعه المذكور فى الحديث كان يقظة، ويُرد على من زعم أنه كان منامًا؛ بأن الرؤيا بمعنى الرؤية، وله شاهد.

وقال عكرمة عن ابن عباس: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة

= جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة.

وقد قيل: لا تدركه أبصار الكفار، وقيل: ﴿ لا تُدركه الأبصار ﴾، لا تحيط به، وهو قول ابن عباس. وقد قيل: ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وإنما يدركه المبصرون.

وكل هذه التأويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها، وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى: ﴿ ولن ترانى ﴾، وقوله تعالى: ﴿ تُبت إليك ﴾ لما قدمناه، ولأنها ليست على العموم، ولأن من قال: معناها لن ترانى فى الدنيا، إنما هو تأويل.

وأيضا فليس فيه نص الامتناع، وإنما جاءت فى حق موسى، وحيث تتطرق التأويلات، وتتسلط الاحتمالات، فليس للقطع إليه سبيل.

وقوله: ﴿ تُبت إليك ﴾ أى من سؤالى ما لم تقدره لى، وقد قال أبو بكر الهدلى فى قوله: ﴿ لن ترانى ﴾ أى ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلىَّ فى الدنيا، وأنه من نظر إلىَّ مات..

وقد رأيتُ لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم، وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء، فلم تكن لهم قوة على الرؤية، فإذا كان فى الآخرة وركبوا تركيبا آخر، ورزقوا قوى ثابتة باقية، وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم، قوُوا بها على الرؤية.

وقد رأيت نحو هذا لملك بن أنس رحمه الله، قال لم يُر فى الدنيا لانه باق، ،لا يُرى الباقى بالفانى، فإذا كان فى الآخرة ورُزقوا أبصاراً باقيو رُؤى الباقى بالباقى.

وهذا كلام مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة، إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده، وأقدره على حمل أعباء الرؤية، لم تمتنع فى حقه.

وقد تقدم ما ذُكر فى قوة بصر موسى ومحمد ﷺ، وتعوذ إدراكهما بقوة إلهية مُنحاها لإدراك ما أدركاه، ورؤية ما رأياه. والله تعالى أعلم. (الشفا) ١ / ١٢١ - ١٢٣ مختصرا.

(١) أى قام من الفزع والقفقفة: الرعدة من حمى أو غضب أو نحوه، وقيل: هى الرعدة مغمومًا. (لسان العرب): ٩ / ٢٨٨.

للناس﴾، قال: هى رؤيا عين أريها النبى ﷺ ليلة أسرى به، ﴿ **والشجرة الملعونة فى القرآن﴾**، هى ﴿ **شجرة الزقوم﴾** .

وعن ابن عباس، أن هذه الرؤيا: [ما رآه] عليه [الصلاة و] السلام قبل عمرة الحديبية، أنه يدخل مكة، وأخبر بذلك، فخرج معتمراً، وصده المشركون بالحديبية، فكان ذلك فتنة للناس، وامتنعوا من الحلق والنحر، وشك قوم، وتكلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما تكلم به، وبأن حديث شريك إنما هو حكاية حكاها عن أنس من تلقاء نفسه، فلا تُعارض الروايات المتصلة من حديث أنس(١).

فقد روى الزهرى عن أنس، عن أبى ذر [رضى الله عنهما]، وروى قتادة عن أنس، عن مالك بن صعصعة، وروى ثابت عن أنس، حديث الإسراء، وهم أئمة حفاظ، ولم يقل أحد منهم فى روايته ما قاله شريك عن أنس، [رضى الله عنه]، وقد عد جماعة من الحفاظ هذا من أوهام شريك التى أعكروها عليه، [ونبه] مسلم على ذلك بقوله: فقدم وأخر، وزاد ونقص(٢)، فأما قوله: قبل أن يوحى إليه، فإنه غلط [منه]، لم يوافق عليه، فإن الإسراء قد اختلف فى تاريخه، فقال الزهرى [فى تاريخه]: أُسرى برسول الله ﷺ بعد مبعثه بثمانية وعشرين شهرا.

وقال إسحاق بن إبراهيم الحربى: أُسرى بالنبى ﷺ ليلة سبع وعشرين من [شهر] ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، وفرضت الصلاة عليه.

---

(١) قال القاضى عياض: وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين، وإسراءٌ بشخص، إذ ليس فى الحُلمُ فتنة، ولا يكذب به أحد، لأن كل أحد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون، فى ساعة واحدة، فى أقطار متباينة. على أن المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية، فذهب بعضهم إلى أنها نزلت فى قضية الحديبية، وما وقع فى نفوس الناس من ذلك، وقيل غير هذا. (الشفا): ١/ ١١٦.

(٢) ثم قال: «وليس فى حديث ثابت من هذه الألفاظ إلا ما نورده على نصه». (جامع الأصول): ١١/ ٣٠٠، آخر الحديث رقم (٨٨٦٧).

وقال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة.

وروى يونس بن بكير، عن عثمان بن عبد الرحمن الوحاطى، عن ابن شهاب: أن الصلاة فرضت بمكة، بعد ما أوحى إليه بخمس سنين.

فعلى قول موسى بن عقبة، إذا كان الإسراء قبل الهجرة بسنة، فهو بعد مبعثه بتسع سنين، أو باثنتى عشرة سنة، على اختلافهم فى مقامه بمكة قبل المبعث.

وقول الزهرى أولى من قول الوحاطى، لأن ابن إسحاق قال: أسرى به وقد [فشا] الإسلام بمكة، وفى القبائل كلها.

ورواية الوحاطى من رواية موسى بن عقبة، لأنهم لم يختلفوا أن خديجة رضى الله عنها، صلّت معه بعد فرض الصلاة عليه، وأنها توفيت قبل الهجرة بمدة؛ قيل: بثلاث سنين، وقيل: بخمس، وهذا يدل على أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام.

وقد أجمع العلماء على أن فرض الصلاة، كان ليلة الإسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه؟.

وأما قول شريك[1]: وهو نائم، وفى رواية: بينا أنا عند البيت بين النائم

---

(١) هو شريك بن عبد الله بن أبى نمر القرشىّ، وقيل: الليثى أبو عبد الله المدنى، روى عن أنس رضى الله عنه وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبى عتيق، وعبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى وغيرهم.

وعنه سعيد المقبرى، وهو أكبر منه، والثورى، ومالك، ومحمد بن جعفر بن أبى كثير، وإسماعيل ابن جعفر، وسليمان بن بلال، وعبد العزيز الدراوردى، وغيرهم.

قال ابن معين والنسائى: ليس به بأسٌ، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

وقال ابن عدى: إذا روى عنه ثقة، فلا بأس برواياته.

قال ابن عبد البر: مات سنة (٤٤)، وقال النسائى أيضا: ليس بالقوى، وذكره ابن حبان =

واليقظان، فلا حجة فيه على أن الإسراء كان بروحه عليه [الصلاة و] السلام دون بدنه، أو قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه، وليس فى الحديث ما يدل على كونه نائمًا فى القصة [كلها]، وقد أنكر أهل العلم [رضى الله عنهم]، رواية شُريك. [والله أعلم].

قال الحافظ عبد الحق [رحمه الله] فى كتاب (الجمع بين الصحيحين): هذا الحديث بهذا اللفظ، من رواية شُريك بن [عبد الله بن] أبى تمر[1]، عن أنس رضى الله عنه، [وقد زاد فيه] زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة.

وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقدمين، والأئمة المشهورين، كابن شهاب، وثابت البنانى، وقتادة -يعنى عن أنس- فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث[2]، قال: والأحاديث التى تقدمت قبل هذا، هى المعول عليها. انتهى.

ولئن سلمنا أنه كان نائمًا إذ أتاه الملك، فقد نُبه، وأسرى به، كما جاء فى حديث أبى سعيد الخدرىّ، [رضى الله عنه] عن النبى ﷺ قال: بينا أنا نائم عشاءاً فى المسجد الحرام، إذ أتانى آت فأيقظنى، فاستيقظت، فلم أر شيئا، ثم عدت فى النوم فأيقظنى، كذلك أربع مرات، فإذا أنا بكهيئة [الخيال]، فأتبعته حتى خرجت من المسجد، فإذا أنا بدابة يقال لها:

= فى (الثقات) وقال: ربما أخطأ، وقال ابن الجارود: ليس به بأس، وليس بالقوى، وكان يحى بن سعيد لا يحدث عنه. قال الساجى: كان يرى القدر. (تهذيب التهذيب): ٤ / ٢٩٦ - ٢٩٧، ترجمة رقم (٥٨٨).

(١) ترجمته فى التعليق السابق.

(٢) راجع ترجمته فى التعليق السابق.

البُراق، فركبتُه.. الحديث.

وزعم من قال: إن الإسراء إلى بيت المقدس، كان يقظة بجسده ﷺ، وأن الإسراء إلى السموات كان منامًا بروحه، [عليه الصلاة والسلام]؛ أن المشركين إنما استبعدوا، وأنكروا، وشنعوا قول النبى ﷺ أنه [عليه الصلاة والسلام] أتى بيت المقدس ورجع من ليلته، ولو كان صعوده ﷺ إلى السموات منضمًا إلى ذلك، لكان الاستبعاد أكبر، والشناعة به أتم، [والله سبحانه وتعالى أعلم]، فحيث لم يذكروا ذلك البته، عُلم أن النبى عليه السلام، إنما ادعى أنه أُسرى بجسده إلى بيت المقدس فحسب، والعروج به إلى السموات كان منامًا.

وحديث شُريك لا ينافى ذلك، لأنه ليس فيه ذكر [الإسراء] إلى بيت المقدس، إنما فيه بيان العروج إلى السماء في نومه، وأيضا فإن الله تعالى تمدح بقوله: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾، فلم يذكر إلا الانتهاء به إلى المسجد الأقصى، ولو كان انتهى به إلى أكثر من ذلك لذكره، فإنه كان أعظم للآية، وأبلغ فى المدح.

وأجيب بأن الله تعالى قال: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى**﴾، ثم قال ﴿**ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾، فأثبت -سبحانه- أن محمداً ﷺ رأى جبريل فى الصورة التى خُلق عليها بعين بصره، وهكذا كان كل شىء رآه فى تلك الليلة، إنما هو بعين بصره.

وأما اقتصار شناعة أهل الكفر على ذكرهم مسراه إلى بيت المقدس دون السموات، [فلأنهم] أرادوا تكذيبه عليه السلام بما شاهده الناس وعلموه، دون ما غاب عنهم، مما لم يعلموا كُنهه، ولم يذكروا أنه صعد السموات، لأنه عندهم معلوم كذبه فيه، فطلبوا منه نعت بيت المقدس، لأنهم كانوا

يخبروا به، [ومتحققون] أنه عليه السلام لم يره قط، فعدوا قوله: أنه أُسرى به إلى السموات من جنس قوله: أن الملك يأتيه منها فى طرفة عين، وكان ذلك مستقراً عندهم استحالته، ولا يُعلم إلا من جهته، إذ لا دليل عليه من خارج يشاهدونه، إلا قيام صدقه بالمعجزة، وقد عاندوا فيها، بخلاف إخباره أنه أتى بيت المقدس فى ليلته، فإنه أمكنهم استعلام صدقه فى ذلك، فطالبوه بنعته، فجلاه الله له، فطفق يخبرهم عن آياته، وهو ينظر إليه، ولم يكن عليه السلام أتى بيت المقدس قبل الإسراء، فكان معلوماً عندهم من حاله أنه لم يره قط، وإلا لما طالبوه بنعته.

وعلى هذا، جاءت الآية: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ تشنيعاً عليهم، ونداءاً بما علموا صدقه فيه، فأصروا على تكذيبه، فلهذا اقتصر الله تعالى على ذلك، دون ذكر صعوده إلى السماء.

وزعم من قال: بأن [الإسراء] إلى بيت المقدس وإلى السموات، وقع أكثر من مرة واحدة، تارة فى المنام، وتارة فى اليقظة، بأن هذا فيه جمع بين الأحاديث المختلفة، وعليه، يخرج أيضاً الاختلاف فى المكان الذى وقع منه الإسراء، وهذه اختيار أبى نصر بن أبى القاسم القشيرى، وأبى القاسم السهيلى، وأبى بكر محمد بن العربى، والمهلب بن أبى صُفرة، وإليه مال أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابورى الواعظ.

قال: وترتيب الأخبار أن يقال: كان لرسول الله ﷺ معاريج؛ منها ما كان حقيقة، ومنها ما كان رؤيا، وعليه عوَّل أبو شامة وقال: أنه أُسرى بالنبى ﷺ مرارا قبل البعثة وبعدها.

فأما قبل البعثة، فكان فى النوم على ما شهد له حديث شُريك، وكان ذلك من جملة ما أخبرت عنه عائشة رضى الله عنها، وأجملته من حاله

حين قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى، الرؤيا الصادقة فى النوم.. الحديث. وكانت الحكمة فى ذلك، التدرج له، والتسهيل عليه، لضعف القوى البشرية.

وأما بعد تحقق البعثة والوحى إليه، تركه الله ما شاء أن يتركه، ثم أسرى به يقظة، واستدل لذلك، ثم قال: أول ما أُسرى به يقظة كان إلى بيت المقدس، وقد جاءت أحاديث تدل على ذلك، ثم تارة عُرج به إلى السماوات، ولم يأت فيها بيت المقدس، وهو ظاهر حديث أنس [رضى الله عنه]، عن مالك بن صعصعة، فوقع كل منهما مفرداً.

ثم جمع له الأمر، أن فى ليلة أخرى أسرى به إلى بيت المقدس، ورفع منه إلى السماء، وهو ظاهر حديث ثابت عن أنس [رضى الله عنه]، ويجوز أن تكون هذه الحالة وقعت ثانية، لأنه كان عليه السلام قد تأنس به لإسرائه إلى بيت المقدس، فكرر عليه ذلك، وتُمم بصعوده إلى السماء، ثم لما تأنس بصعوده إلى السماء، استغنى عن توسط بيت المقدس، فرفع من مكة إلى السماء، والأحاديث على اختلافها لا تخرج عن هذه الأحوال، فنزل على كل حال ما يليق بها منها، وبعض ذلك ظاهر، وبعضه فيه خفاء.

ويدل على أن الإسراء وقع مراراً، اختلاف رؤية النبى ﷺ لموسى، فإنه أخبر مرة أنه رآه قائما يصلى فى قبره، ومرة أنه صلى ببيت المقدس بجماعة من الأنبياء، وذكر موسى منهم، ومرة قال: إنه رآه فى السماء السادسة، وفى حديث آخر رآه فى السماء السابعة.

وعلى ذلك أيضا، يحمل [الاختلاف] فى وقته، فقيل: فى رمضان، وقيل: فى ربيع الأول، وقيل: فى رجب، والكل صواب إن شاء الله تعالى. ثم إنه ظاهر فى بعض الأحاديث، أنه صعد إلى السماء على ظهر البراق، كما فى حديث مالك بن صعصعة.

وقد ذهب العارف محى الدين أبو عبد الله محمد بن العربى الحاتمى الصوفىّ، إلى أن الإسراء وقع ثلاثين مرة، بحسب اختلاف الأحاديث التى جمعها فى كتاب، فجعل كل حديث إسراء، ولم أقف على كتابه هذا.

وقال البيهقى: وقد أوردوا أحاديث رؤية الأنبياء ليلة الإسراء، وليس بين هذه الأحاديث منافاة، فقد يراه قائما يصلى فى قبره، ثم يساريه إلى بيت المقدس كما أُسرى بالنبى ﷺ، فيراه فيه، ثم يعرج به إلى السماء السادسة، كما عرج بالنبى ﷺ، فيراه فى السماء، وكذلك سائر من رآه من الأنبياء فى الأرض ثم فى السماء، والأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء، [فلا يُنكر] حلولهم فى أوقات بمواضع مختلفات، كما ورد خبر الصادق به.

* * *

فصل جامع فى ذكر
حديث الإسراء والمعراج

[فقد] روى من حديث أنس، فتاره يرويه أنس عن مالك بن صعصعة، عن النبى ﷺ، وتارة يرويه عن أبى [ذرّ] عن النبى ﷺ، وتارة يرويه دون ذكرهما.

فأما رواية حديث الإسراء عن النبى ﷺ

فخرج مسلم من حديث حماد بن سلمة، [قال] حدثنا ثابت البنانى، عن أنس بن مالك رضى الله [تعالى] عنه [قال]: إن رسول الله ﷺ قال: أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافرة عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، [قال:] فربطته بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءنى جبريل عليه السلام، بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترتُ اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة(١).

---

(١) «البراق» بضم الباء الموحدة، قال أهل اللغة: البُراق اسم الدابة التى ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. قال الزبيدى فى (مختصر العين)، وصاحب (التحرير): هى دابة كانت الأنبياء صلوات الله وسلام عليهم يركبونها. وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها، يحتاج إلى نقل صحيح.

قال ابن دُريد: اشتقاق البُراق من البرق إن شاء الله تعالى، يعنى لسرعته، وقيل: سمى بذلك لشدة صفائه، وتلألئه، وبريقه، وقيل: لكونه أبيض.

وقال القاضى: يُحتمل أنه سمى بذلك لكونه ذا لونين، يقال: شاةٌ برقاء إذا كان فى خلال صوفها الأبيض طاقات سود. قال: ووصف فى الحديث بأنه أبيض، وقد يكون من نوع الشاة البرقاء، وهى =

قال: ثم عُرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، قال: ففتح لنا، فإذا أنا بآدم عليه السلام، فرحَّب بى، ودعا لى بخير(١).

= معدودة فى البيض، والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى): ٢/ ٥٦٩، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٥٩).

قوله ﷺ: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط به الأنبياء صلوات الله عليهم» أما بيت المقدس ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة: إحداهما: بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة، والثانية: بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة.

قال الواحدى: أما من شدده فمعناه المطهر، وأما من خففه فقال أبو على الفارسى: لا يخلو إما أن يكون مصدرا، أو مكانا، فإن كان مصدرا كان كقوله تعالى: ﴿إليه مرجعكم﴾ ونحوه من المصادر، وإن كان مكانًا فمعناه بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة، أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره: إخلاؤه من الأصنام، وإبعاده منها. وقال الزجاج: البيت المقدس المطهر، وبيت المقدس أى المكان الذى يُطهر فيه من الذنوب. (المرجع السابق).

قوله: ﷺ: «فربطته بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء» الحلقة بإسكان اللام على اللغة الفصيحة المشهورة. وحكى الجوهرى وغيره فتح اللام أيضا.

قال الجوهرى: حكى يونس عن أبى عمرو بن العلاء حلقة بالفتح، وجمعها حلق وحلقات. وأما على لغة الإسكان فجمعها حلق وحلق بفتح الحاء وكسرها، والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس والله أعلم. وفى ربط البراق الأخذ بالاحتياط فى الأمور وتعاطى الأسباب، وأن ذلك لا يقدح فى التوكل، إذا كان الاعتماد على الله تعالى. (المرجع السابق).

قوله: «اخترت الفطرة» فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه والله تعالى أعلم: اخترت علامة الإسلام، والاستقامة، وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً، طيبا، طاهراً، سائغا للشاربين، سليم العاقبة. أما الخمر فإنها أم الخبائث، وجالبة لأنواع من الشر فى الحال والمآل. والله تعالى أعلم. (المرجع السابق).

(١) قوله ﷺ: «ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل له: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه». أما قوله: «عرج» فبفتح العين والراء، أى صعد، وقوله: «جبريل» فيه بيان الأدب فيمن استأذن بدق الباب ونحوه، فقيل له: «من أنت»، فينبغى أن يقول: زيد، مثلاً، إذا كان اسمه زيدا، ولا يقول: أنا، فقد جاء الحديث =

[قال:] ثم عُرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، [قيل]: وقد بعثُ إليه؟ قال: قد بُعث إليه، قال: ففتح لنا، فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم، ويحى بن زكريا، عليهما السلام، فرحبا بى، ودعوا لى بخير[1].

ثم عُرج [بنا] إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد، [قيل:] وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، قال: ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام، [إذ] هو قد أُعطى شطر الحسن، قال فرحب بى، ودعا لى بخير.

ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا، قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لى بخير، قال الله [تبارك و] تعالى: ﴿ **ورفعناه مكانا عليا** ﴾.

= بالنهى عنه، ولانه لا فائدة فيه.

وأما قول بواب السماء: «وقد بُعث إليه» فمراده: وقد بُعث إليه للإسراء وصعود السماوات، وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة، فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة، فهذا هو الصحيح، والله أعلم بمعناه.

ولم يذكر الخطابى فى شرح البخارى وجماعة من العلماء غيره، وأن كان القاضى قد ذكر خلافًا، أو أشار إلى خلاف فى أنه استفهم عن أصل البعثة، أو عما ذكرته، قال القاضى: وفى هذا أن للسماء أبوابًا حقيقية، وحفظة موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان. والله تعالى أعلم. (المرجع السابق).

(١) قوله ﷺ: «فإذا أنا بآدم فرحَّب بى ودعا لى بخير» ثم قال فى السماء الثانية: «فإذا أنا بابنى الخالة، فرحبا بى ودعوا»، وذكر ﷺ فى باقى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم نحوه، فيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب، والكلام الحسن، والدعاء لهم، وإن كانوا أفضل من الداعى، وفيه جواز مدح الإنسان فى وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة.

وقوله ﷺ: «فإذا أنا بابنى الخالة»، قال الأزهرى: قال ابن السكيت: يقال لهما: ابنا عم، ولا يقال: ابنا خال، ويقال: هما ابنا خالة، ولا يقال ابنا عمة.

ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون عليه السلام، فرحب ودعا لى بخير.

ثم عُرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، عليه السلام، فرحب ودعا لى بخير.

ثم عُرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام، مسند ظهره إلى البيت المعمور[1]، وإذا يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه.

ثم ذهب بى إلى السدرة المنتهى[2]، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال[3]، فلما غشيها الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى إلىَّ ما أوحى، فعرض علىّ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربى فقلت: [يا رب]، خفف على أمتى،

(١) قوله ﷺ: «فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور»، قال القاضى: يُستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها.

(٢) هكذا وقع فى كل الأصول «السدرة» بالألف، وفى الروايات بعد هذا «سدرة المنتهى». قال ابن عباس، والمفسرون، وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.

وحكى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى. (المرجع السابق).

(٣) القلال بكسر القاف: جمع قُلة، والقلة جرَّة عظيمة تسع قربتين أو أكثر.

فحط عنى خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عنى خمسا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فسله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربى(1) تبارك وتعالى، وبين موسى عليه السلام، حتى قال يا محمد، انهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها، كتبت له حسنة، فإن عملها، كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها، لم تكتب له شيئا، فإن عملها، كتبت له سيئة واحدة.

قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلتُ: قد رجعتُ إلى ربى حتى استحييتُ منه.

[وفى بعض الطرق: أنه ﷺ راجع، وخفف عنه فى كل مراجعة، وفى أخرى: أنه خفف عنه أولا الشطر، ثم خفف عنه ثانيا تخفيفا واحدا إلى الخمس، فتكون المراجعة على هذا مرتين، وفى أخرى: أن التخفيف كان عشرا عشرا، إلى المرة الأخيرة، فكان التخفيف فيها خمساً، وبقيت هذه الخمس](2).

[والجمع بينهما أن يقال: لا تعارض، إنما فيه إجمال فى بعضها، وتفصيل فى الأخرى، لأن قوله فخفف عنى الشطر، أهم من كونه خففه مرة واحدة، أو فى مرارٍ متعددة، ولذا ذكر التفصيل والإجمال، وحمل الإجمال على التفصيل ولا تعارض. ولله الحمد](2).

[وأما الحديث الذى رواه حماد عن ثابت، عن أنس رضى الله عنه، وفيه: فحط عنى خمساً، من أفراد مسلم، والذى اتفقا عليه من حديث

(1) معناه رجعتُ إلى الموضع الذى ناجيته منه أولاً، فناجيته فيه ثانيا، (المرجع السابق).

(2) ما بين الحاصرتين سقط من النسخة (خ) وأثبتناه من (ج).

أنس، أنه حطَّ عنه عشراً عشراً. وزعم ابن الجوزى: أن هذه الرواية التى فيها فحط عنى خمسًا، غلط من الراوى.][1].

وخرّج مسلم أيضا من حديث بهز [قال:] حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا [ثابت عن] أنس بن مالك [رضى الله عنه قال:] قال رسول الله ﷺ: أتيتُ فانطلقوا بى إلى زمزم، فشرح عن صدرى، ثم غُسل بماء زمزم، ثم أنزِلت[2].

ومن حديث حماد بن سلمة، [قال:] حدثنا ثابت عن أنس [رضى الله عنه قال:] إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، ثم قال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمَه، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمانُ إلى أمه - يعنى ظئره - فقالوا: إن

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من النسخة (خ) وأثبتناه من (ج).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٢ / ٥٧٣، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٠).

قوله ﷺ: «فشرح عن صدرى ثم غسل بماء زمزم ثم أُنزلت» معنى «شرح»، شقَّ، كما قال فى الرواية التى بعد هذه.

وقوله ﷺ: «ثم أُنزلت» هو بإسكان اللام وضم التاء، وهكذا ضبطناه، وكذا هو فى جميع الأصول والنسخ، وكذا نقله القاضى عياض رحمه الله تعالى عن جميع الروايات، وفى معناه خفاء، واختلاف.

قال القاضى: قال الوقشى: هذا وهم من الرواة وصوا به «تركت فتصحف». قال القاضى: فسألتُ عنه ابن السراج فقال: أنزلت فى اللغة بمعنى تُركتُ صحيح، وليس فيه تصحيف.

قال القاضى: وظهر لى أنه صحيح بالمعنى المعروف فى أنزلت، فهو ضد رُفعت، لأنه قال: انطلقوا بى إلى زمزم ثم أنزلت، أى ثم صرفتُ إلى موضعى الذى حملتُ منه.

قال: ولم أزل أبحث عنه حتى وقعتُ على الجلاء فيه من رواية الحافظ أبى بكر البرقانى، وأنه طرف حديث، وتمامه «ثم أُنزلت على طست من ذهب مملوءة حكمة وإيمانًا» هذا آخر كلام القاضى عياض رحمه الله تعالى (المرجع السابق).

ومقتضى رواية البرقانى أن يضبط أنزلت بفتح اللام وإسكان التاء، وكذلك ضبطناه فى الجمع بين الصحيحين للحميدى، وحكى الحميدى هذه الزيادة المذكورة عن رواية البرقانى وزاد عليها. (المرجع السابق).

محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو مُنْتَقَعُ اللون. قال أنس رضى الله عنه: وقد كنتُ أرى أثر ذلك المخيط فى صدره [ﷺ][1].

وخرّج أيضا من حديث ابن وهب، قال: أخبرنى سليمان بن بلال قال: [حدثنى] شريك بن عبد الله بن أبى نمر قال: سمعتُ أنس بن مالك [رضى الله عنه]، يحدثنا عن ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أن جاءه ثلاثة نفر قبل أن [يوحى] إليه، وهو نائم فى المسجد

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٦١).

قوله: «ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ» أما الطَّست: فبفتح الطاء وإسكان السين المهملتين، وهى إناء معروف، وهى مؤنثة، قال: وحكى القاضى عياض كسر الطاء لغة، والمشهور الفتح كما ذكرنا، ويقال فيها: طسّ بتشديد السين وحذف التاء، وطسّة أيضا، وجمعها طساس، وطسوس، وطسات. (المرجع السابق).

وأما «لأَمَه» فبفتح اللام وبعدها همزة، على وزن ضَربه، وفيه لغة أخرى: لاءَمَهُ بالمد، على وزن آذَنَه، ومعناه: جمعه، وضمّ بعضه إلى بعضه، وليس فى هذا ما يوهم جواز استعمال إناء الذهب لنا، فإن هذا فعل الملائكة واستعمالهم، وليس بالازم أن يكون حكمهم حكمنا، ولأنه كان أول الأمر، قبل تحريم النبى ﷺ أوانى الذهب والفضة. (المرجع السابق).

قوله: «يعنى ظئره» هى بكسر الظاء المعجمة بعدها همزة ساكنة، وهى المرضعة [من غير الأم الوالدة]، ويقال أيضا لزوج المرضعة ظئر. قوله: «فاستقبلوه وهو منتقع اللون» هو بالقاف المفتوحة أى متغير اللون، قال أهل اللغة: امتقع لونه، فهو ممتقع، وابتقع بالباء فهو مبتقع، فيه ثلاث لغات، والقاف مفتوحة فيهن.

قال الجوهرى وغيره: والميم افصحهنّ، ونقل الجوهرى اللغات الثلاث عن الكسائى، قال: ومعناه تغير من حزن أو فزع.

وقال الهروى فى (الغريبين)، فى تفسير هذا الحديث: يقال: انتقع لونه، وابتقع، وامتقع، واستقع، وانتسف وانتشف - بالسين والشين - والتمع، والتمغ - بالعين والغين - وابتسر، والتهم، (المرجع السابق).

قوله: «كنت أرى أثر المِخيط فى صدره» هو بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء، وهى الإبرة. وفى هذا دليل على جواز نظر الرجل إلى صدر الرجل، ولا خلاف فى جوازه، إلا أن ينظر بشهوة فإنه يحرم، إلا الزوج لزوجته ومملوكته إلا ان يكون لحاجة البيع والشراء، والتطبيب والتعليم ونحوهما، والله تعالى أعلم (المرجع السابق) مختصراً.

الحرام.... وساق الحديث بقصته، نحو حديث ثابت البُنانى، [وقدّم] فيه شيئًا وأخر، وزاد ونقص. هكذا قال مسلم(١).

وخرّجه البخارى من حديث سليمان عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر قال: سمعتُ أنس بن مالك [رضى الله عنه]، يحدثنا عن ليلة أسرى بالنبى ﷺ من مسجد الكعبة، جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم فى المسجد الحرام فقال [أولهم]: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، أو قال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فى ما يرى قلبُه، والنبى ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل عليه السلام ثم عُرج به إلى السماء.. هذا الذى ذكره البخارى من هذا الحديث، وذكره فى كتاب المناقب، وترجم عليه باب: كان النبى ﷺ تنام عيناه ولا [ينام قلبه](٢).

وخرّجه فى كتاب التوحيد، فى باب: وكلم الله موسى تكليمًا بهذا السند، ولفظة: سمعتُ ابن مالك يقول: ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم فى المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: [هو خيرهم]، [فقال] أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، [فيما] يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء عليهم السلام، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند [بئر] زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبّته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه،

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٢/٥٧٥ كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٢).

(٢) (فتح البارى): ٦/٧١٨-٧١٩، كتاب المناقب، باب (٢٤) كان النبى ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، حديث رقم (٣٥٧٠).

ثم أتى [بِطَسْت] من ذهب، فيه تَور من ذهب، محشواً إيمانًا وحكمةً فحشا به صدره ولغاديده – يعنى عروق حلقه – ثم أطبَقَهُ.

ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: [معى محمد] قالوا: وقد بُعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحبًا به وأهلا، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء ما يريد الله به فى الأرض حتى يُعلمهم، فوجد فى السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك، فَسَلِّم عليه فسلم عليه وردّ عليه آدم وقال: مرحبا وأهلا يا بُنّى، نعم الابن أنت، فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان، قال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عُنصُرهُما، ثم مضى به فى السماء، فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده، فإذا هو مسك أذفر، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى خَبَّأ لك ربُّك.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ، قالوا: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحبًا به وأهلا.

ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك.

كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت، منهم: إدريس فى الثانية، وهارون فى الرابعة، وآخر فى الخامسة، لم أحفظ اسمه، وإبراهيم فى السادسة، وموسى فى السابعة، بفضل كلامه لله، فقال موسى: ربّ لم أظنَّ أن ترفع علىَّ أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى

جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة.

ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك، فأشار [عليه] جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى فقال وهو مكانه: [يارب] خفف عنا، فإن أمتى لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه، حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد، والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا، فَضَعُفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا، وقلوبًا، وأبدانًا، وأبصارًا، وأسماعًا، فارجع [فليخفف] عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبى ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل.

فرفعه عند الخامسة، فقال: [يارب]، إن أُمتى ضعفاء أجسادهم، وقلوبهم، وأسماعهم، وأبدانهم، فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، [قال]: إنه لا يبدل القول لدىّ، كما فرضتُ عليك فى أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهى خمسون فى أم الكتاب، وهن خمس عليك.

فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفَّفَ عنَّا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودتُ بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا، قال رسول الله

ﷺ: يا موسى! قد والله استحييتُ من ربى مما اختلفتُ إليه، قال: فاهبط باسم الله، قال: واستيقظ وهو فى المسجد الحرام(١).

وقد انتقد الحافظ أبو محمد أحمد بن على بن حزم، رحمه الله [تعالى]، حديث شُريك هذا فقال: وما وجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا إلا حديثين، لكل واحد منهما حديث، ثم عليه فى تخريجه الوَهَم، مع اتفاقهما، وحفظهما، وصحة معرفتهما،

---

(١) (فتح البارى): ١٣/٥٨٤-٥٨٥، كتاب التوحيد، باب (٣٧) ما جاء فى قوله الله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، حديث رقم (٧٥١٧)، قوله: «فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام»، قال القرطبى: يحتمل ان يكون استيقاظا من نومة نامها بعد الإسراء، لأن إسراءه لم يكن طول ليلته، وإنما كان فى بعضها، ويحتمل ان يكون المعنى افقت مما كنتُ فيه مما خامر باطنه من مشاهده الملأ الأعلى، لقوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾، فلم يرجع إلى حال بشريته ﷺ إلا وهو بالمسجد الحرام.

وأما قوله فى أوله: «بينا انا نائم»، فمرادُه فى أول القصة وذلك أنه كان قد ابتدأ نومه فأتاه المَلَك فأيقظه.

وفى قوله فى الرواية الأخرى: «بينا أنا بين النائم واليقظان أتانى الملك» إشارة إلى أنه لم يكن استحكم فى نومه.

وهذا كله ينبنى على توحيد القصة. وإلا فمتى حُمِلت على التعدد، بأن كان المعراج مرة فى المنام وأخرى فى اليقظة، فلا يحتاج ذلك.

قال الحافظ ابن حجر: قيل: اختص موسى عليه السلام بهذا دون غيره ممن لقيه النبى ﷺ ليلة الإسراء من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنه أول من تلقاه عند الهبوط، ولأن أمته أكثر من أمة غيره، ولأن كتابه اكبر الكتب المنزلة قبل القرآن وتشريعًا واحكامًا، أو لأن أمة موسى كانوا كلفوا من الصلاة ما ثقل عليهم. فخاف على أمة محمد مثل ذلك، وإليه الإشارة بقوله: «فإنى بلوتُ بنى إسرائيل»، قاله القرطبى.

وأما قول من قال: إنه أول من لاقاه بعد الهبوط فليس بصحيح، لأن حديث مالك بن صعصعة أقوى من هذا، وفيه: أنه لقيه فى السماء السادسة.

وإذا جمعنا بينهما بأنه لقيه فى الصعود فى السادسة، وصعد موسى إلى السابعة، فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع الإشكال، وبطل الرد المذكور، والله تعالى أعلم. (فتح البارى).

ثم ذكر هذا الحديث. وقال عقيبة: فهذه ألفاظ معجمة بلا شك، والآفة من شريك من ذلك.

[وأما] قوله: إن ذلك كان قبل أن يوحى إليه، وأنه حينئذ فُرضت عليه الخمسون صلاة، وهذا بلا خلاف بين أحد من أهل العلم، إنما كان قبل الهجرة بسنة، وبعد أن أوحى إليه بنحو اثنتى عشرة سنة.

ثم قوله: إن الجبار دنا فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، تروى أن الذى دنا فتدلى، جبريل عليه السلام.

قال الحافظ محمد بن طاهر المقدسى، رحمه الله، فى مسألة الانتصار لإمامى الأمصار، رحمهما الله [تعالى]: ورأيتُ لأبى عبد الله الحميدى بخط يده: ذكرت للقاضى الفقيه - أطال الله [تعالى] مدته، وقرن بالسلامة أوبته - حديثين يتبعهما الحفاظ على رواتهما، وأخرجتُ فى الصحيح على ذلك لغرض لعله وقع لمخرجهما، وأردتُ أن أبين لك الحديثين، لتقف عليهما، وتعرضهما على من ربما وجد مخرجا لهما، وذكر الحديثين بلفظ ابن حزم، ثم قال عقبيهما: وقد عرضت هذا الاعتراض الذى رأيته لبعض الحفاظ، على جماعة من المتحققين بعلم الحديث، فكلهم تحيرٌ فى وجه المخرج فى ذلك، وذكر لى أن لأبى سليمان الخطابى فى ذلك كلامًا، ذكره فى كتاب (أعلام الحديث)، الذى [ألفه] فى شرح معانى كتاب (الجامع الصحيح)، وذكر كلام أبى سليمان على حديث شُريك.

قال ابن طاهر: [و] الحميدى سلك طريق أستاذه فى التحريف، [لأنه] نسب البخاريَّ ومسلما، إلى أنهما أخرجا هذين الحديثين لغرض وقع لهما، مع العلم بعلتهما، وهذا ارتكاب كبيرة فى حقهما، فإنهما معروفان

بالإنصاف، غير متعصبين لفرقة، لم يسلكا فى تصنيفهما ما سكله المصنفون قبلهما أو بعدهما، من نصرة مذهب واحد، وإنما نصرا الصحيح وأخرجاه، ولذلك رفع الله عزَّ وجل كتابيهما، وجعلهما حجة بين المسلمين، لما علم من صدق نيتهما فى ذلك، ولو سلكا طريق التعصب، لخرجا عن حيّز التحكيم، لأن شرط الحكم أن ينصف بين الخمصين، ورأينا الفِرق قاطبة تحتج بما أخرجاه، [ويلتزم] الخصم ذلك من خصمه، فصح بذلك ما قلناه.

قال جامعه ومؤلفه [عفى الله عنه] : فى كلام ابن طاهر هذا تحامل على الحميدى، فإنه لم يرد قط أن البخاريَّ ومسلما، خرجا الحديثين لغرض سىء، لكن أعلم أنهما - ومكانهما من العلم مكانهما - أخرجا ذلك مع ما فيهما [مما] ينتقد، لشىء من الأشياء قصداه، لا أنهما خفى عليهما ما ظهر لغيرهما، والحميدى لا يخفى عليه البتة شىء مما ذكره ابن طاهر، من جميل مقصد البخارى ومسلم فيما أخرجاه فى صحيحيهما ، والله تعالى الموفق.

قال ابن طاهر: إن كلامه فى شُريك، شىء لم يسبقه إليه أحد من أئمة الجرح والتعديل، بل قَبَلوه، ووثقوه، ورووا عنه، وأدخلوا حديثه فى تصانيفهم، واحتجوا به، ثم ذكر عن يحيى بن معين أنه قال عنه: ليس به بأس، وذكر عن ابن [عدى] أنه قال: شُريك رجل مشهور من أهل المدينة، حدَّث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا روى عن نفسه فإنه لا بأس بروايته، إلا أن يروى عن ضعيف، ثم قال: فحكم ابن عدىّ، أن الآفة إنما تأتينا من الراوى عنه، والراوى عنه هذا الحديث سليمان بن بلال، أحد ثقات أهل المدينة، ومن عدَّله مالك فمن بعده من الأئمة، لا يسمع فيه قول المتأخر بحال، فلما ثبتت عدالته، خرج عما قاله ابن حزم، وأن الآفة ليست

من شأنه، ويقول: إنَّ الوَهم في قوله: «وذلك قبل أن يوحى إليه» صحيح، وبالوهم لا يسقط حديث المحدِّث الثقة الحافظ، على أن هذا الوهم قديم على من روى عنه هذا الحديث إلى عصر ابن حزم، ولم يستدركه أحد وقد قال يحيى بن معين: لو تركنا أحداً لكثرة غلطه، لتركنا حديث عيسى ابن يونس، على أن هذا الوهم ليس فيه ارتكاب كبيرة يُترك لأجلها حديثه، وإنما هو وَهَم في التاريخ، ولو ترك حديث من وهم في تاريخ، لتُرك جماعة من أئمة المسلمين لاختلافهم في التواريخ في [الوفيات] وغيرها، ولعله أراد أن يقول: وذلك بعد أن أوحى إليه بنحو من كذا، فقال: وذلك قبل أن يوحى إليه، جريان اللسان، وهذا الوهم على الحقيقة، إنما يأتي من جهة ثلاثة: إما أنس رضي الله عنه، وإمَّا شريك، وإمَّا سليمان، فلم خصّه من بينهم بهذا الوهم؟ فدلّ جميع ذلك عن أن كلامه في شريك لا وجه له. وأما احتجاجه بقول عائشة رضي الله عنها، فذكره ابن طاهر من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن ذكريا بن أشوع، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة [رضي الله عنها قالت:] قلتُ [لها]: ﴿ **دنا فتدلى** ﴾، قالت: ذاك جبريل [عليه السلام]، ثم قال: وهذا حديث مخرج في الصحيحين من حديث أبي أسامة، وحماد بن سلمة، عن زكريا بن أبي زائدة، ويُعد في أفراد زكريا، عن سعيد بن عمرو بن أشوع.

والحديث موقوف على عائشة [رضي الله عنها] لم يتجاوز به غيرها، فيكون مع اتفاقه والتفرد الذي في إسناده، قول واحد من الصحابة، [رضي الله عنهم] والكلام عليه من وجهين:

أحدهما: أن قولها يدل على [أن] الموحي جبريل [عليه الصلاة والسلام]، وأجمعت الأمة على [أن] الموحي هو الله عز وجل، لقوله [تبارك] وتعالى: ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾.

والوجه الثاني: خلاف أنس وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما، أما حديث أنس، فقد تقدم من حديث شريك، المخرّج فى الصحيحين، وأما حديث ابن عباس [رضى الله عنهما]، فذكره ابن طاهر من طريق أبى القاسم البغوى، [قال:] حدثنا سعيد [بن] يحيى الأموى، قال: حدثنى أبى، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص، عن أبى سلمة، عن ابن عباس رضى الله [عنهما]، فى قول الله عز وجل: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى** ﴾ ، قال: فدنا ربه عزَّ وجل [منه]، فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، قال: قال ابن عباس [رضى الله عنهما]: ورواه النبى ﷺ، ثم قال ابن طاهر: وهذا إسناد متصل، ورجاله ثقات، وهو من أصح الروايات فى التفسير، عن ابن عباس [رضى الله عنهما].

ورواه عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، وأخرج من حديثه فى كتاب البخارى، ثم ذكر أيضا من حديث الحسين بن إسماعيل المحاملى، حدثنا على بن مسلم، حدثنا سفيان عن عمر، وعن عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾، قال: هى رؤيا عين رآها النبى ﷺ ليلة أسرى به، ﴿ **والشجرة الملعونة فى القران** ﴾ قال: شجرة الزقوم.

وأخرجه البخارى فى صحيحه، عن على بن [المدينى]، والحميدى عبد الله بن الزبير، كليهما عن سفيان بن عيينة، هذا فى التفسير، والقدر، والبعث، ثم ذكر أيضا من طريق أبى القاسم البغوى، حدثنا زيد بن أخرم، حدثنا عبد الله بن داود، عن الأعمش، عن عبد الملك بن ميسرة، عن طاووس قال: أدركتُ خمسين أو سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ، إذا سُئلوا عن شيء فخالفوا ابن عباس، لم يقوموا حتى يقولوا: هو كما قلت،

أو صدقت.

وقد سئل الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلى عن معنى هذا الحديث - يعنى قول عائشة رضى الله عنها: من حدثك أن محمداً [ﷺ] رأى ربه؟ - فقال: معناه فى الدنيا، والنبى ﷺ حيث عُرج به، صار إلى الآخرة، فلما صحّ الإسناد إلى هذين الصحابيين، كان الرجوع إلى قولهما أولى بلا خلاف بين أئمة المحدثين وهو ظاهر الآية، فلا يترك الظاهر مع قوليهما، ويرجع إلى قول من فَسَّر القرآن على حسب رأيه ومراده، وتأويل من تأوله، على وفق مذهبه واجتهاده [وبذلك صح] ما رسمناه، وأن البخارى ومسلمًا فى تخريجهما هذا الحديث مصيبان، وأن المعترض عليهما دخل عليه الوهم فى نقده عليهما، لأنه وإن كان إماما مُفْتيًا فى علوم شتى، إلا أن كلامه على هذا الحديث يدل على أنه لم يسلك طريق الحفاظ فى تعليل الحديث.

وذلك أن الحفَّاظ النقَّاد، إنما يعللون الحديث من طريق الإسناد، الذى هو المرقاة إليه، وهذا الرجل علل من حيث اللفظ، ولم يقف على أن لهذا اللفظ متابعات مع صحة النقل إليهما، والدليل على ذلك، أنه لو شرع فى تعليله من طريق الإسناد، لوجد طريقا إلى ذلك، لاختلاف الرواة على أنس فى إيراد هذا الحديث، على أن الجواب عن الاختلاف إن اعترض عليه معترض من أهل الصنعة، هو أن هذا الحديث رواه عن أنس أربعة من ثقات التابعين، فسلك كل رجل منهم فى إيراده غير طريق صاحبه.

[وروى] أبو بكر محمد بن مسلم الزهرى، عن أنس ، عن أبى ذر جندب بن جنادة، وتابع عقيلا - يعنى فى روايته - عن ابن شهاب يونس ابن يزيد الأملى، وعنه مُخَرَّج فى الصحيحين، ورواه أبو خطاب قتادة بن دعامة السدوسى، عن أنس [بن] مالك، عن مالك بن صعصعة الأنصارى.

وهذا الحديث أخرجه البخارى من كتابه فى أربعة مواضع، عن هدبة بن خالد، وتابع قتادة على روايته عن أنس عبادُ بن على. هكذا ذكره البخارى فى بعض الروايات عنه.

وروى أبو محمد ثابت بن أسلم البُنانى، عن أنس [رضى الله عنه]، عن النبى ﷺ متصلاً، ولم يذكر بينهما أحداً، ورواه أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبى نمر الليثى، عن أنس رضى الله عنه، موقوفًا عليه، ثم صح النقل إلى كل واحد منهم، مع حفظهم واتقانهم، فاحتجنا أن نطلب لهذا الاختلاف وجهًا، إذ ليس فى بعض الأسانيد من يحمل عليه، فيسقط من طريق الترجيح.

فلم يبق إلا أن نقول: هذه قصة جرت بمكة، لم يحضرها أنس [رضى الله عنه]، وإنما [سمعها] من غيره؛ سمعها أولاً من أبى ذر، ومالك بن صعصعة، ثم سمعها من النبى ﷺ، والدليل على ذلك: أنا رأيناه سمع أحاديث من صحابى، ثم رواها عن النبى ﷺ، وذلك فى روايته عن عبادة ابن الصامت، مشهور عند أهل الحديث.

ثم ذكر ابن طاهر من طريق البغوى، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت عن أنس [رضى الله عنه] قال: حدثنى محمود بن الربيع، عن عتبان بن مالك [قال:] فقدمتُ المدينة، فلقيتُ عتبانًا فقلتُ: حديث بلغنى عنك، قال: أصابنى فى بصرى بعض الشيء، فذكر الحديث بطوله، فأنس رضى الله عنه سمع هذا الحديث من محمود بن الربيع، وهو أصغر منه، ولم يقتصر على قوله، حتى رحل إلى المدينة، فسمعه من عتبان، على أن هذا الحديث الذى رحل لأجله، وسمعه من غيره، لا يقاوم حديث الإسراء فى الجلالة والشهرة، فتحققنا أنه سمعه بعد ذلك من النبى ﷺ، والدليل عليه، رواية جابر بن عبد الله [رضى الله

عنهما]، وغيره لهذا الحديث، ممن لم يحضر القصة.

ثم ذكر حديث ابن وهب: حدثنى يونس بن يزيد قال: قال ابن شهاب: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: سمعتُ جابر بن عبد الله رضى الله [عنهما] يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتنى قريش، قمتُ فى الحجر، فجلى الله عز وجل لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه.

ورواه عقيل، ومعمر، وابن أخى الزهرى، عن الزهرى كذلك [ومفاده] أن [جابرًا] [رضى الله عنه] لم يحضر هذه القصة، فإن قيل: فما السبب فى هذا التفصيل؟ ولم لَمْ يجمع بينهما وبين روايته، أو يقتصر على بعضها، إما على قول أحدهما أو على ما سمعه هو؟.

الجواب أنه رضى الله عنه أراد أن يؤدى عن كل واحد ما سمعه منه، ويفصل حديثه من حديثهم، لأن الجمع بين هذه الثلاثة يصعب، لما فيه من تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان، أو لعله ذكر حديث مالك عقيب حديث إلى ذر [رضى الله عنه]، أو حديث أبى ذر عقيب حديث مالك، ثم ذكر حديثه بعدهما، فحمل كل واحد من الرواة ما حدثه به من الطرق، واقتصر على إيراده منها، لما قدمنا من صعوبة الجمع بين الطرق.

والدليل على هذا: أن قتادة وثابتًا من كبار أصحابه البصريين، حافظان متقنان جليلان، كانا فى عصر واحد، ومصر واحد، نقل قتادة عنه عن مالك بن صعصعة، ونقل ثابت عن النبى ﷺ، فعُلم بذلك ما قلناه.

ثم ذكر عن أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم قال: سألتُ أبى عن حديث رواه الزهرى عن أنس، عن أبى ذر [رضى الله عنهما] فى المعراج، ورواه قتادة عن أنس، عن مالك بن صعصعة، عن النبى ﷺ، فقيل لأبى: أيهما أشبه؟ قال: أنا لا أعدل بالزهرى أحدًا من أهل عصره، ثم قال: إنى

لأرجو أن يكونا جميعاً صحيحين.

قال ابن طاهر: وأما الكلام على إيقاف شُريك للحديث، فإن الشيخ: أبا سليمان الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ أشار إلى تعليل هذا الحديث من وجهين، أحدهما: إيقاف شريك له، والثاني: تفرده بهذه الزيادة، والجواب: أن هذا الحديث من طريق شريك، وإن كان موقوفاً من حيث الحقيقة، مسنداً لأنه قد روي من غير وجه، عن النبي ﷺ، يزيده بياناً طريقُ ثابت المتصل.

وأما الجواب عن زيادته: فلا خلاف بين أهل الصَّنعة، أن الزيادة من الثقة مقبولة، وقد صححنا ثقته مع متابعة ابن عباس رضي الله [عنهما] له على روايته.

واعلم أن إنكارهما لم يصدر عن معرفة صحيحة بعلم الحديث وصناعته، إنما ورد من جهة أخرى، وهي أنهما استبشعا هذه اللفظة وأنكراها، ولم يجدا طريقاً إلى رفعها إلا من هذا الوجه الذي انتقص عليهما، ثم إن القرآن والسنة، غير خاليين من هذا النوع، وأخبار الصفات غير عارية من مثل هذا الفن الذي أنكراه، على أنهما ممن يثبت الصفات ويؤمن بها. انتهى كلام ابن طاهر، وفيه ما يُقبل، وما يُنتقد.

وأما [ما رواه قتادة عن أنس بن مالك عن صعصعة [بن مالك]، رضي الله عنهما، فخرجه البخاري في كتاب [مناقب الأنصار][1] من حديث همام [عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه] عن مالك بن صعصعة [قال]: أن [نبي الله ﷺ حدثه]

---

(١) في (الأصلين): في كتاب مبعث النبي ﷺ، والصواب ما أثبتناه، وسياق أول هذه الفقرة مضطرب في (الأصلين).

عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال: في الحجر ـ مضطجعاً، إذ أتاني آتٍ، فقد ـ قال: وسمعته يقول: فشق ـ ما بين هذه إلى هذه، فقلتُ للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثُغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصِّه إلى شعرته، فاستخرج قلبي، ثم أُتيت [بطسْت] من ذهب مملوءةٍ إيماناً، فغُسل قلبي، ثم حُشي، ثم أُعيد، ثم أُتيتُ بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، فقال له الجارود: هو البُراق يا أبا حمزة، قال أنس [رضي الله عنه]: نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملتُ عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصتُ، فإذا فيها آدم [عليه السلام] فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، إذا يحيى وعيسى [عليهما السلام] وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما، فسلمتُ، فردّا، ثم قالا: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح لنا، فلما خلصتُ، إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صُعد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد، قيل: أوقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس [عليه السلام]، قال: هذا إدريس، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صُعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ، فإذا هارون [عليه السلام]، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمتُ عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ، فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلم عليه [فسلمتُ عليه] فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزتُ بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي، يدخل الجنة من أمته، أكثر مما يدخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: مرحباً به، ونعم المجيء جاء، فلما خلصتُ، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمتُ عليه، فردّ السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم رفعتُ إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا

ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات.

ثم رفع لي البيتُ المعمور، [يدخله كل يوم سبعون ألف ملك][1]، ثم أتيتُ بإناءٍ من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ، وإناءٍ من عسلٍ، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك.

ثم فُرضت عليَّ الصلاةُ خمسين صلاة كل يوم، فرجعتُ فمررتُ على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أُمرتُ بخمسين صلاةً كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاةً كل يوم، وإني والله قد جربتُ الناس قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى، فقال مثله، فرجعتُ، فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى، فقال مثله، فرجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثله، فرجعتُ فأُمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعتُ فقال مثله، فرجعتُ فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعتُ إلى موسى فقال: بما أُمرت؟ قلت: أُمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كلَّ يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزتُ نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي[2].

---

(١) ما بين الحاصرتين من (الأصلين) وليس في رواية البخاري التي نحن بصددها.

(٢) (فتح الباري): ٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٢) حديث رقم (٣٨٨٧).

= «المعراج» بكسر الميم، وحكى ضمها من عَرَج بفتح الراء يَعْرُج بضمها إذا صعد، وقد اختلف في وقت المعراج، فقيل: كان قبل المبعث، وهو شاذ إلا إن حُمل على أنه وقع حينئذٍ في المنام كما تقدم، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث، ثم اختلفوا؛ فقيل: قبل الهجرة بسنة، قاله ابن سعد وغيره، وبه جزم النووي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود، فإن في ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال، [ذكرها الحافظ في (الفتح): ٧/ ٢٥٧، وما بعدها].

قوله: «عن مالك بن صعصعة» أي ابن وهب بن عدي بن مالك الأنصاري من بني النجار، ليس له في البخاري ولا في غيره سوى هذا الحديث، ولا يعرف من روى عنه إلا أنس بن مالك، [له ترجمة في (تهذيب التهذيب): ١٠/ ١٦، ترجمة رقم (٢٢) قال الحافظ ابن حجر: نسبه ابن سعد فقال: مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار].

قوله «في الحطيم وربما قال في الحجر» هو شك من قتادة، كما بينه أحمد عن عفان عن همام ولفظه: «بينا أنا نائم في الحطيم»، وربما قال قتادة: «في الحجر»، والمراد بالحطيم هنا الحجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام، أو بين زمزم والحجر، وهو وإن كان مختلفاً في الحطيم، هل هو الحجر أم لا؟ لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع فيها ذلك، ومعلوم أنها لم تتعدد، لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها، وقد تقدم في أول بدء الخلق بلفظ: «بينا أنا عند البيت»، وهو أعم.

وفي حديث أم هانىء عند الطبراني: أنه بات في بيتها، قال: «ففقدته من الليل فقال: إن جبريل أتاني». والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هاني، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيتها، فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعاً وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق.

قوله ﷺ: «مضطجعاً» زاد في بدء الخلق: «بين النائم واليقظان» وهو محمول على ابتداء الحال، ثم لما خرج به إلى باب المسجد فأركبه استمر في يقظته، وأما ما وقع في رواية شريك الآتية في التوحيد في آخر الحديث: «فلما استيقظت»، فإن قلنا بالتعدد، فلا إشكال، وإلا حُمل على أن المراد باستيقظتُ: أفقتُ؛ أي أنه أفاق مما كان فيه من شغل البال، بمشاهدة الملكوت، ورجع إلى العالم الدنيوي.

قوله: «من نُغره» بضم المثلثة وسكون المعجمة، وهي الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين.

قوله: «إلى شِعرته» بكسر المعجمة، أي شعر العانة، وفي رواية مسلم: «إلى أسفل بطنه»، وفي بدء الخلق: «من النحر إلى مراق بطنه». =

= قوله: «من قَصّة» بفتح القاف وتشديد المهملة، أي رأس صدره.
وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به.
وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة، كما أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة)، ولكل منهما حكمة، فالأولى عن طفولته ﷺ لاستخراج حظ الشيطان، والثانية عند إرادة العروج إلى السماء، ليتأهب للمناجاة، وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك. قال القرطبي في (المفهم): لا يلتفت لإنكار الشقّ ليلة الإسراء، لأن رواته ثقات مشاهير، ثم ذكر نحو ما تقدم.
قوله ﷺ: «فغسل قلبي» قال ابن أبي جمرة: وإنما لم يُغسل بماء الجنة، لما اجتمع في ماء زمزم من كون أصل مائها من الجنة، ثم استقر في الأرض، فأريد بذلك بقاء بركة النبي ﷺ في الأرض.
قال ابن أبي جمرة: الحكمة في شق قلب ﷺ - مع القدرة على أن يمتلىء إيماناً وحكمة بغير شق - الزيادة في قوة اليقين، لأنه أعطي برؤية شق بطنه، وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالاً ومقالاً، ولذلك وصف بقوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ واختلف هل كان شق الصدر وغسله مختصاً به ﷺ أو وقع لغيره من الأنبياء؟ فقد وقع عند الطبراني في قصة تابوت بني إسرائيل أنه كان فيه الطست التي يُغسل فيها قلوب الأنبياء، وهذا مُشعر بالمشاركة.
قوله ﷺ: «ثم أُتيت بدابة» قيل: الحكمة في الإسراء به ﷺ راكباً مع القدرة على طي الأرض له، إشارة إلى أن ذلك وقع تأنيساً له بالعادة في مقام خرق العادة، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به، يبعث إليه بما يركبه.
قوله: «دون البغل وفوق الحمار أبيض» كذا ذكر باعتبار كونه مركوباً، أو بالنظر للفظ البراق، والحكمة لكونه بهذه الصفة الإشارة إلى أن الركوب كان في سلم وأمن لا في حرب وخوف، أو لإظهار المعجزة بوقوع الإسراع الشديد بداية لا توصف بذلك في العادة (فتح الباري).
قوله: «فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم» هذا يوضح أن الذي وقع في رواية بدء الخلق بلفظ دون البغل وفوق الحمار، أي هو البراق، وقع بالمعنى، لأن أنساً لم يتلفظ بلفظ البراق في رواية قتادة.
قوله: «يضع خطوه» بفتح المعجمة أوله: المرة الواحدة، وبضمها: الفعلة. =

....

= قوله: «عند أقصى طرفه» بسكون الراء وبالفاء، أي نظره، أي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره.

قوله: «حتى أتى السماء الدنيا» ظاهرة أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء، وهو مقتضى كلام ابن أبي جمرة المذكور قريباً، وتمسك به أيضاً من زعم أن المعراج كان في ليلة غير ليلة الإسراء إلى بيت المقدس، فأما العروج ففي غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق، بل رقى المعراج، وهو السلم كما وقع مصرحاً به في حديث أبي سعيد عن ابن إسحاق والبيهقي في (الدلائل)، ولفظه: «فإذا أنا بدابة كالبغل مضطرب الأذنين يقال له البراق، وكانت الأنبياء تركبه قبلي فركبته» فذكر الحديث قال: «ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس، فصليت، ثم أُتيت بالمعراج».

وفي رواية ابن إسحاق: «سمعت رسول الله ﷺ يقول لما فرغت مما كان في بيت المقدس أُتي بالمعراج فلم أر قط شيئاً كان أحسن منه، وهو الذي يحد إليه الميت عينيه إذا حضر، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء» الحديث.

وفي رواية كعب: «فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب، حتى عرج هو وجبريل» وفي رواية لأبي سعيد في (شرف المصطفى) أنه «أُتي بالمعراج من جنة الفردوس، وأنه منضد باللؤلؤ، وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة».

وأما المحتج بالتعدد فلا حجة له، لاحتمال أن يكون التقصير في ذلك الإسراء من الراوي. (فتح الباري).

قوله: «أُرسل إليه»؟ أي للعروج، وليس المراد أصل البعث، لأن ذلك كان قد اشتهر في الملكوت الأعلى، وقيل: سألوا تعجباً من نعمة الله عليه بذلك، أو استبشاراً به، وقد علموا أن بشراً لا يترقى هذا الترقي إلا بإذن الله تعالى، وأن جبريل لا يصعد بمن لم يُرسل إليه، وقوله: «من معك»؟ يشعر بأنهم أحسوا معه برفيق، وإلا لكان السؤال بلفظ «أمعك أحد»، وذلك الإحساس إما بمشاهدة لكون السماء شفافة، وإما بأمر معنوي كزيادة أنوار أو نحوها، يُشعر بأمر يُحسن معه السؤال بهذه الصيغة. (فتح الباري).

وفي قول: «محمد» دليل على أن الاسم أولى في التعريف من الكنية، وقيل: الحكمة في سؤال الملائكة: «وقد بعث إليه»؟ أن الله تعالى أراد إطلاع نبيه ﷺ على أنه معروف عند الملأ الأعلى لأنهم قالوا: «أو بعث إليه»؟ فدل على أنهم كانوا يعرفون أن ذلك سيقع له، وإلا لكانوا يقولون: ومن محمد؟ مثلاً (فتح الباري).

قوله: «مرحباً به» أي أصاب رحباً وسعة، وكنى بذلك عن الانشراح، واستنبط منه ابن المنير جواز رد السلام بغير لفظ السلام، وتعقب بأن قول الملك: «مرحباً به» =

....

= ليس رداً للسلام، فإنه كان قبل أن يفتح الباب، والسياق يرشد إليه.
قوله: «فنعم المجيء جاء» قيل: المخصوص بالمدح محذوف، وفيه تقديم وتأخير، والتقدير: «جاء فنعم المجيء مجيؤه».
وقال ابن مالك: في هذا الكلام شاهد على الاستغناء بالصلة عن الموصول، أو الصفة عن الموصوف في باب نِعْمَ، لأنها تحتاج إلى فاعل هو المجيء، وإلى مخصوص بمعناها، وهو مبتدأ مُخْبر عنه بنعم وفاعلها، فهو في هذا الكلام وشبهه موصول أو موصوف بجاء، والتقدير نعم المجيء الذي جاء، أو نعم المجيء مجيءٌ جاءه، وكونه موصولاً أجود، لأنه مُخبر عنه، والمخبر عنه إذا كان معرفة أولى من كونه نكرة، (فتح الباري).
قوله ﷺ: «فلما جاوزت ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخَفَّفْتُ عن عبادي» هذا من أقوى ما استدل به على أن الله سبحانه وتعالى كلم نبيه محمداً ﷺ ليلة الإسراء بغير واسطة.
وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم:
* أن للسماء أبواباً حقيقية وحفظة موكلين بها.
* وفيه إثبات الاستئذان، وأنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول: أنا فلان، ولا يقتصر على أنا، لأنه ينافي مطلوب الاستفهام.
* وأن المار يسلم على القاعد، وإن كان المار أفضل من القاعد.
* وفيه استحباب تلقى أهل الفضل بالبشر، والترحيب، والثناء والدعاء، وجواز مدح الإنسان المأمون عليه الافتتان في وجهه.
* وفيه جواز الاستناد إلى القبلة، بالظهر وغيره، مأخوذ من استناد إبراهيم إلى البيت المعمور، وهو كالكعبة في أنه قبلة من كل جهة.
* وفيه جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل.
* وفيه فضل السير بالليل على السير بالنهار، لما وقع من الإسراء بالليل ولذلك كانت أكثر عيادته بالليل، وكان أكثر سفره ﷺ بالليل، وقال: «عليكم بالدلجة، فإن الأرض تُطوى بالليل».
* وفيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، يستفاد ذلك من قول موسى عليه السلام للنبي ﷺ أنه عالج الناس قبله وجربهم.
* ويستفاد منه تحكيم العادة، والتنبيه بالأعلى على الأدنى، لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبداناً من هذه الأمة، وقد قال موسى في كلامه: إنه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة ـ قال:
* ويستفاد منه أن مقام الرضا والتسليم، ومقام التكليم مقام الإدلال والانبساط، ومن ثَمَّ استبدّ موسى عليه السلام بأمر النبي ﷺ بطلب التخفيف، دون إبراهيم عليه =

وخرَّج البخاريّ أيضاً في [كتاب] بدء الخلق، في باب ذكر الملائكة، من حديث همام عن قتادة، ومن حديث سعيد وهشام عن قتادة، حدثنا أنس عن مالك بن صعصعة، قال: قال النبي ﷺ: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان... الحديث إلى آخره بمعنى هذا، وقال في آخره: إني قد أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي، وأُجزي الحسنة عشراً[1].

وخرَّج مسلم[2] من حديث ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، لعله قال: عن مالك بن صعصعة ـ رجل من قومه ـ قال: قال نبي الله ﷺ: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعتُ قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق بي، فأتيت بطست من ذهب، فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا، قال قتادة: فقلت للذي معي: ما

= السلام، مع أن للنبي ﷺ من الاختصاص بإبراهيم أزيد مما له من موسى لمقام الأبوة، ورفعة المنزلة، والاتباع في الملة.

وقال غيره: الحكمة في ذلك ما أشار إليه موسى عليه السلام في نفس الحديث من سبقه إلى معالجة قومه في هذه العبادة بعينها، وأنهم خالفوه وعصوه.

* وفيه أن الجنة والنار قد خلقتا، لقوله في بعض طرقه: «عُرضت عليَّ الجنة والنار».

* وفيه استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى وتكثير الشفاعة عنده، لما وقع منه ﷺ في إجابته مشورة موسى عليه السلام في سؤال التخفيف.

* وفيه فضيلة الاستحياء، وبذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح في ذلك (فتح الباري).

(1) (فتح الباري): ٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٣، كتاب بدء الخلق، باب (٦) ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٧)، وفي آخره: وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «في البيت المعمور».

(2) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٨١ ـ ٥٨٣، كتاب الإيمان باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٤).

يعني؟ قال: إلى أسفل بطنه، فاستخرج قلبي، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حُشي إيماناً وحكمة.

ثم أتيتُ بدابة أبيض يقال له: البراق، فوق الحمار، ودون البغل، يقع خطوة عند أقصى طرفه، فحملتُ عليه، ثم انطلقنا حتى أتينا سماء الدنيا، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قال: ففتح لنا، وقال: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، قال: فأتينا على آدم ﷺ.. وساق الحديث بقصته، وذكر أنه لقي في السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون.

قال: ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة، فأتيتُ على موسى عليه السلام، فسلمتُ عليه، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزته بكى، فنودي: ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنة، أكثر مما يدخل من أمتي، قال: ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة، فأتيتُ على إبراهيم.

وقال في الحديث: وحدث نبي الله ﷺ، أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلهما نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلتُ: يا جبريل! ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات.

ثم رفع لي البيت المعمور، فقلتُ: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيتُ المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم.

ثم أُتيتُ بإناءين، أحدهما لبن، والآخر خمر[1]، فعرضا عليّ، فاخترتُ اللبن، فقيل: أصبتُ، أصاب الله بك أمتك على الفطرة، ثم فُرضت عليَّ كل يوم[2] خمسون صلاة، ثم ذكر قصتها.. إلى آخر الحديث. هكذا أورد مسلم هذا الحديث كما كتبنا.

وخرَّج بعده من طريق معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة. أن رسول الله ﷺ قال... فذكر نحوه، وزاد فيه: فأتيتُ بطست من ذهب، ممتلىء حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، فغسل بماء زمزم، ثم ملىء حكمة وإيماناً[3].

وأما حديث أنس عن أبي ذرّ، فخرجه البخاري من حديث الليث[4]، وخرجه مسلم من حديث ابن وهب[5]، كلاهما عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس [بن] مالك [رضي الله عنه قال:] كان أبو ذر [رضي الله عنه] يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فُرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلىء حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا.

---

(١) في (صحيح مسلم): «أحدهما خمر، والآخر لبن».

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٦٥).

(٤) (فتح الباري): ٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٣، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥) ذكر إدريس عليه السلام، حديث رقم (٣٣٤٢).

(٥) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٧٦ ـ ٥٨٠، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٣).

فلما جئنا السماء الدنيا، قال جبريل [عليه السلام][1] لخازن السماء الدنيا: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، [معي][1] محمد ﷺ قال: فأُرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح، [قال:] فلما علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، عن يمينه أسوده، وعن يساره أسوده، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، [قال]: قلتُ: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه والأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، الأسودة التي عن يساره أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.

قال: ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية، [فقال] لخازنها: افتح، فقال له خازنها، مثل ما قال خازن السماء الدنيا، ففتح، فقال أنس بن مالك: فذكر أنه وجد في السموات: آدم، وإدريس، وعيسى، وموسى، وإبراهيم، صلوات الله عليهم [أجمعين][2] ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه قد وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة، [قال:][2] [فلما مرّ جبريل ورسول الله ﷺ بإدريس قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قال ثم مرّ، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا إدريس][2].

ثم مررت بموسى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، [قال]: قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، قال: ثم مررت بعيسى فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: عيسى ابن مريم، قال: ثم مررتُ بإبراهيم [عليه

---

(١) زيادات للسياق من (صحيح مسلم).

(٢) زيادات للسياق من (صحيح مسلم).

السلام][1] فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم.

قال ابن شهاب: وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس [رضي الله عنهما]، وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال رسول الله ﷺ: ثم عُرج بي حتى ظهرت [لمستوى][1] أسمع فيه صريف الأقلام.

قال ابن حزم: وأنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: ففرض الله عزّ وجلّ على أمتي خمسين صلاة، قال: فرجعتُ بذلك حتى مرَّ بموسى، فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة، قال لي موسى: فراجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فراجعتُ ربي عزَّ وجلّ، فوضع شطرها.

قال: فرجعتُ إلى موسى فأخبرته، قال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فراجعتُ ربي فقال: هي خمسُ وهي خمسون، لا يُبدَّل القول لدي، قال: فرجعتُ إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلتُ: قد استحييت من ربي[2].

قال: ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم أُدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.

وقال البخاري: حبائل اللؤلؤ، وقال بعد قوله: فوضع شطرها: فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال:

---

(١) زيادة للسياق من (صحيح مسلم).
(٢) (المرجع السابق).

ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق، فرجعتُ، فوضع عني شطرها. . الحديث ترجم عليه باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء[1].

وذكر مسلم في كتاب الإيمان، في أحاديث الإسراء[2]، وذكره البخاري أيضاً في كتاب الأنبياء، في ذكر إدريس[3]، من حديث يونس عن الزهري، ومن حديث يونس عن ابن شهاب، قال: أنس [رضي الله عنه]: كان أبو ذر. . . بنحو ما تقدم، وقال فيه: فقال موسى: ما الذي فُرض على أمتك؟ قلت: فُرض عليهم خمسون صلاة، قال: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. فرجعت، فراجعت ربي، فوضع شطرها، فرجعتُ إلى موسى، فقال: راجع ربك، فذكر مثله، فوضع شطرها، فرجعتُ إلى موسى، فأخبرتُه فقال: راجع ربَّك، فإن أمتك لا تطيق ذلك،

---

(١) (فتح الباري): ١/ ٦٠٥، كتاب الصلاة، باب (٨) كيف فرضت الصلوات في الإسراء، حديث رقم (٣٤٩).

قوله «جنابذ اللؤلؤ»، «حبائل»: قال ابن حزم في أجوبته على مواضع من البخاري: فتشتُ على هاتين اللفظتين فلم أجدهما، ولا واحدة منهما، ولا وقفتُ على معناهما. وذكر غيره أن الجنابذ شبه القباب، واحدها جُنبذة بالضم، وهو ما ارتفع من البناء، فهو فارسيّ مُعرب، وأصله بلسانهم كنبذه بوزنه لكن الموحدة مفتوحة، والكاف ليست خالصة، ويؤيده ما رواه المصنف في التفسير من طريق شيبان عن قتادة، عن أنس قال: «لما عُرج بالنبي ﷺ قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ».

وقال صاحب (المطالع): في الحبائل قيل: هي القلائد والعقود، أو هي من حبال الرمل أي فيها لؤلؤ مثل حبال الرمل، جمع حبل، وهو ما استطال من الرمل، وتعقب بأن الحبائل لا تكون إلا جمع حبالة، أو حبيلة، بوزن عظيمة.

وقال بعض من اعتنى بالبخاري: الحبائل جمع حبالة، وحبالة جمع حبل على غير قياس، والمراد أن فيها عقوداً وقلائد من اللؤلؤ.

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٧٦ _ ٥٨٠، كتاب الإيمان باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٣).

(٣) (فتح الباري): ٦/ ٤٦١ _ ٤٦٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥) ذكر إدريس عليه السلام، حديث رقم (٣٣٤٢).

فراجعت ربي.... الحديث، وقال في آخره: فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، كما قال مسلم في حديثه[1].

قال ابن عبد البر: ورواه أبو ضمرة أنس بن عياض، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أنس [رضي الله عنه] عن أبي، وليس بشيء، وإنما هو عن أبي ذر والله أعلم.

وخرّج من حديث شعبة عن قتادة، قال: سمعتُ أبا العالية يقول: حدثني ابن عم نبيكم ﷺ - يعني ابن عباس - قال: ذكر رسول الله ﷺ [ليلة] [2] أسري به، فقال: موسى آدم طُوال، كأنه من رجال شنوءة، وقال: عيسى جعد مربوع، وذكر مالكاً خازن [النار] [3]، وذكر الدجال[4].

وذكره البخاري في كتاب الأنبياء، وفي كتاب بدء الخلق، من حديث شعبة عن قتادة، ومن حديث سعيد عن قتادة، عن أبي العالية، قال: حدثنا ابن عم نبيكم - يعني ابن عباس - عن النبي ﷺ قال: رأيتُ ليلة أسري بي، موسى رجلاً أدم طوالاً جعداً، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوع الخلق

---

(١) (فتح الباري): ٦/ ٤٦٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥) ذكر إدريس عليه السلام، حديث رقم (٣٣٤٢).

(٢) في (الأصلين): «حين» وصوبناه من (البخاري).

(٣) في (الأصلين): «جهنم» وصوبناهُ من (البخاري).

(٤) (فتح الباري): ٦/ ٥٣٠، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٣٤) قول الله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾، ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، حديث رقم (٣٣٩٦).

قوله: «كأنه من رجال شنوءة» بفتح المعجمة، وضم النون، وسكون الواو بعدها همزة، ثم هاء تأنيث: حي من اليمن يُنسبون إلى شنوءة، وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله، والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو. (فتح الباري).

قال ابن قتيبة: سمي بذلك من قولك: رجل فيه شنوءة أي تقزز، والتقزز بقاف وزايين: التباعد من الأدناس (فتح الباري).

إلى [الحمرة] والبياض، سبط الشعر، ورأيت مالكاً خازن النار في آيات أراهنّ الله، فلا تكن في مرية من لقائه[1].

وخرَّجه مسلم في كتاب الإِيمان، من حديث شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أبي العالية قال: حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ، ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يعني مررتُ ليلة أسري بي على موسى بن عمران، رجل آدم، طوال، جعد، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم، مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، وأرى مالكاً خازن النار، والدجال، في آيات أراهن الله إياه، فلا تكن في مرية من لقائه. قال: كان قتادة يفسرها أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى عليه السلام[2].

وللبخاري[3] ومسلم[4]، من حديث معمر عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، حين أُسري به ـ وقال البخاري: ليلة أسري بي ـ لقيتُ موسى عليه السلام، فإذا رجل ـ حسبته قال: مضطرب ـ رجل الرأس، كأنه من

(١) (فتح الباري): ٦/ ٣٨٦، كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم «آمين» والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، غُفر له ما تقدم كم ذنبه، حديث رقم (٣٢٣٩)، ثم قال: قال أنس وأبو بكرة عن النبي ﷺ: تحرسُ الملائكة المدينة من الدجال.

(المرجع السابق): ٣٥٠، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٤) قول الله تعالى: **﴿وهل أتاك حديث موسى﴾**، و**﴿كلم الله موسى تكليماً﴾**، حديث رقم (٣٣٩٦) مختصراً.

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٨٥، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٦٧).

(٣) (فتح الباري): ٦/ ٥٢٩، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٤) قول الله تعالى: **﴿هل أتاك حديث موسى﴾**، **﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾**، حديث رقم (٣٣٩٤).

(٤) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٧٢).

رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ، فقال: ربعة، أحمر، كأنما خرج من ديماس ـ يعني حمّاماً ـ قال: ورأيتُ إبراهيم صلوات الله عليه، وأنا أشبه ولده به، قال: فأتيتُ بإناءين، في أحدهما لبن، وفي الآخر خمرٌ، فقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هديت الفطرة، أو أصبت الفطرة، أما أنك لو أخذت الخمر، غوت أمتك. لفظهما فيه متقارب.

ذكره البخاري في باب: واذكر في الكتاب مريم[1]، وذكر في باب: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾[2]، حديث معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ليلة أسري بي، رأيت موسى، وإذا هو رجلُ ضربُ رجل، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى، فإذا هو رجل ربعة أحمر.. الحديث إلى آخره، وفيه: فقال: أخذتُ الفطرة ـ ولم

---

(١) (فتح الباري): ٦/ ٥٨٩، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤٨) قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾، حديث رقم (٣٤٣٧) ولفظه: «قال النبي ﷺ ليلة أسري بي: لقيت موسى، قال فنعته فإذا رجل حسبته قال مضطربٌ رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال: ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس ـ يعني الحمام، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به، قال: وأتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر فيه خمر، فقيل لي: خُذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: هُديت الفطرة ـ أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك».

(٢) (المرجع السابق): ٦/ ٥٢٩، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٣). قول الله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مسرفٌ كذاب﴾، وقعت هذه الترجمة بغير حديث.

واختلف في اسم هذا الرجل، فقيل: هو يوشع بن نون، وبه جزم ابن التين، وهو بعيد، لأن يوشع ابن نون كان من ذرية يوسف عليه السلام، ولم يكن من آل فرعون. والصحيح أن المؤمن المذكور كان من آل فرعون، واستدل لذلك الطبري بأنه لو كان من بني إسرائيل لم يصغ فرعون إلى كلامه ولم يستمع منه، اختلف في اسمه على أقوال ذكرها الحافظ ابن حجر في (فتح الباري).

يشك ـ ولم يقل فيه: يعني الحمام، وقال: اشرب أيهما شئت.

وخرّج مسلم[1] من حديث عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عبد الله بن الفضل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس، لم أثبتها، فكربت كربة ما كُربت مثلها قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضربٌ جَعْدٌ، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى [ابن] مريم [عليه السلام] قائماً يصلي، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم [عليه السلام] قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغتُ من الصلاة، قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأني بالسلام.

وأخرجاه معاً من حديث الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن [قال:] سمعتُ جابر بن عبد الله [رضي الله عنهما]، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش، قمتُ في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقتُ أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه[2]. ذكره البخاري في مبعث النبي ﷺ، وذكره في كتاب التفسير،

---

(١) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٩٤، كتاب الإيمان، باب (٧٥) ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، حديث رقم (٢٧٨).

(٢) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٩٣، كتاب الإيمان، باب (٧٥) ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، حديث رقم (٢٧٦).

وقال بعقبة: زاد يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا ابن أخي شهاب عن عمه: لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس.. نحوه[1]. وخرجه الترمذي بمثله[2].

وخرّج مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، وسليمان التيمي، عن أنس بن مالك [رضي الله عنه]، [قال:] إن رسول الله ﷺ قال: أتيتُ على موسى ليلة أسري بي، عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره[3].

وله من حديث مالك بن معول، عن الزبير بن عدي، عن طلحة، عن [مرة]، عن عبد الله [رضي الله عنه] قال: لما أسري برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فقبض منها، قال: **﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾**، قال: فراش من ذهب، فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحِمات[4].

---

(١) (فتح الباري): ٨/ ٤٩٩، كتاب التفسير، باب (٣) **﴿أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾**، حديث رقم (٤٧١٠).

(٢) (سنن الترمذي): ٥/ ٢٨١، كتاب تفسير القرآن، باب (١٨) ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم (٣١٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن مالك بن صعصعة وابن سعيد وابن عباس.

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند): ٤/ ٣٦٠، حديث رقم (١٤٦١٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) (مسلم بشرح النووي): ١٥/ ١٤١، كتاب الفضائل، باب (٤٢) من فضائل موسى ﷺ، حديث رقم (١٦٤) ولفظه: أتيتُ، وفي رواية هدّاب: مررت على موسى ليلة أُسري بي... الخ.

(٤) (مسلم بشرح النووي): ٣/ ٥، كتاب الإيمان باب (٧٦) في ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (٢٧٩).

وخرجه النَّسَائيّ[1] والترمذي[2] بنحوه أو قريب منه.

وخرج البيهقي من حديث عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم الأشعري، عن الزبيدي محمد بن الوليد بن عامر، [قال:] حدثنا الوليد بن عبد الرحمن، أن جبير بن نفير [قال:] حدثنا شداد بن أوس قال: قلنا: يا رسول الله! كيف أسري بك؟ قال: صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتماً، وأتاني جبريل [عليه السلام][3] بدابة بيضاء، فوق الحمار ودون البغل، فقال: اركب، فاسْتَصْعَبَت عليّ، فدارها بأذنها ثم حملني عليها، فانطلقت تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، حتى بلغنا أرضاً ذات نخل، فأنزلني فقال: صلّ، فصليتُ، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليتَ؟ قلت: الله أعلم، قال: صليتَ بيثرب، صليت بطيبة.

فانطلقت تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم

---

(١) (سنن النسائي): ١/ ٢٤٣، كتاب الصلاة، باب (١) فرض الصلاة، وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك رضي الله عنه واختلاف ألفاظهم فيه، حديث رقم (٤٥٠).

(٢) (سنن الترمذي): ٥/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧، كتاب تفسير القرآن، باب (٥٣) ومن سورة النجم، حديث رقم (٣٢٧٦).

قوله: «المقحمات»، هو بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء ومعناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها والتقحم الوقوع في المهالك ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات والمراد والله أعلم بغفرانها أنه لا يخلد في النار بخلاف المشركين وليس المراد أنه لا يعذب أصلاً فقد تقررت نصوص الشرع وإجماع أهل السنة على إثبات عذاب بعض العصاة من الموحدين ويحتمل أن يكون المراد بهذا خصوصاً من الأمة أي يغفر لبعض الأمة المقحمات وهذا يظهر على مذهب من يقول أن لفظة من لا تقتضي العموم مطلقاً وعلى مذهب من يقول لا تقتضيه في الأخبار وإن اقتضته في الأمر والنهي ويمكن تصحيحه على المذهب المختار وهو كونها للعموم مطلقاً لأنه قد قام دليل على إرادة الخصوص وهو ما ذكرناه من النصوص والإجماع والله أعلم. (مسلم بشرح النووي).

(٣) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

بلغنا أرضاً، فقال: انزل، فنزلت، ثم قال: صل، فصليتُ، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليتَ بمدين، صليتَ عند شجرة موسى. [عليه السلام][1].

ثم انطلقت تهوي بنا، يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضاً، بدت لنا قصور، فقال: انزل، فنزلت، فقال: صلّ، فصليت، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليت ببيت لحم، حيث وُلد عيسى [عليه السلام][1] المسيح ابن مريم.

ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني، فأتى قبلة المسجد، فربط فيه دابته، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر، فصليتُ من المسجد حيث شاء الله.

وأخذني من العطش ما أخذني، فأُتيتُ بإناءين، في أحدهما لبن، وفي الآخر العسل، أرسل إليّ بهما جميعاً، فعدلتُ بينهما، ثم هداني الله عزَّ وجلّ، فأخذتُ اللبن، فشربتُ حتى قرعتُ به جبيني، وبين يدي شيخ متكىء على مثراةٍ له، فقال: أخذ صاحبك الفطرة، إنه ليهدى.

ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي في المدينة، فإذا جهنم تنكشف عن [مثل] الزرابي، قلتُ: يا رسول الله: كيف وجدتها؟ قال: مثل الجمة السخنة.

ثم انصرف بي، فمررنا بعير لقريش بمكان [كذا] وكذا، قد أضلوا بعيراً لهم، فجمعه فلان، فسلمت عليهم، فقال بعضهم: هذا صوت محمد.

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

ثم أتيتُ أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتى أبو بكر رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله! أين كنت الليلة؟ فقد التمستك في مكانك، فقال: علمت أني أتيتُ بيت المقدس الليلة؟ فقال: يا رسول الله! إنه مسيرة شهر، فصفه لي، قال: ففتح لي صراط كأني أنظر فيه، لا يسلني عن شيء إلا أنبأته عنه، قال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله.

فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة، يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، قال: فقال: إن من آية ما أقول لكم: أني مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيراً لهم، فجمعه فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم كذا، ويأتوكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل أدم، عليه مسح أسود، وغرارتان سوداوان.

فلما كان ذلك اليوم، أشرف الناس ينتظرون، حتى كان قرب من نصف النهار، حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ. قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، وروى ذلك مفرقاً في أحاديث غيره[١].

وخرج البخاري[٢] ومسلم[٣] من حديث يونس عن الزهري، عن سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: أتى رسول الله ﷺ ليلة أسري به، بإيلياء بقدحين من خمر ولبن،

---

(١) (دلائل البيهقي): ١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٧، باب الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وما ظهر في ذلك من الآيات.

(٢) (فتح الباري): ١٠/ ٣٧، كتاب الأشربة، باب (١) قول الله تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾**، حديث رقم (٥٥٧٦)، وقال في آخره: تابعهُ معمر وابن الهاد وعثمان بن عمر عن الزهري.

(٣) (مسلم بشرح النووي): ٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٧٢).

فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، ولو أخذت الخمر، غوت أمتُك.

وقال صالح بن كيسان: عن ابن شهاب، قال: سمعت ابن المسيب يقول: إن رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس، لقي فيه إبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم السلام، وأنه أتى بقدحين، قدح لبن، وقدح خمر، فنظر إليهما، ثم أخذ قدح اللبن، فقال له جبريل عليه السلام: هديت الفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة، فأخبر أنه أسري به، فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه، قال ابن شهاب: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: [فتجهزوا]، وكلمه نحوها ناس من قريش، إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له: هل لك في صاحبك! يزعم أنه قد جاء بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة.

فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأشهد لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: فتصدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة، ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح! قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: فيها سمي أبو بكر الصديق.

قال أبو سلمة: فسمعت جابر بن عبد الله [رضي الله عنه] يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس، قمت في الحجر، فجلى الله عزّ وجل لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه.

وخرج البيهقي من حديث عبد الله بن وهب، قال: حدثني

يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن أنس بن مالك [رضي الله عنه] قال: لما جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ بالبراق، فكأنها أمَرَّت ذَنَبها، فقال لها جبريل: مَه يا بُراق، فوالله إنْ رَكِبَك مِثْلُهُ.

وسار رسول الله ﷺ، فإذا هو بعجوز على جانب الطريق، فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال: سِرْ يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا شيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول: هلم يا محمد، فقال [له][1] جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، قال: فلقيه خلق من الخلق، فقالوا: السلام عليكم يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر، فقال له جبريل: أرْدُد السلام يا محمد، فردّ السلام.

ثم لقيه الثانية، فقال له مثل مقالته الأولى، ثم الثالثة كذلك، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعُرض عليه الماء، والخمر، واللبن، فتناول رسول الله ﷺ اللبن، فقال له جبريل: أصبت الفطرة، لو شربت الماء لغرقتَ وغَرقَت أمتك، ولو شربت الخمر لغويتَ وغويت أمتَك، ثم بعث له آدم، فمن دونه من الأنبياء [عليهم السلام][1] فأمّهم رسول الله ﷺ تلك الليلة.

ثم قال له جبريل [عليه السلام][1]: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق، فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه، فذلك عدو الله إبليس، أراد أن تميل إليه، وأما الذين سلموا عليك، فإبراهيم، وموسى،

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

وعيسى[1]. [عليهم السلام][2] وقال النضر بن شميل: أخبرنا عوف [قال:][2]، حدثنا زرارة بن أوفى قال: قال ابن عباس [رضي الله عنهما]: قال رسول الله ﷺ: لما كانت ليلة أسري بي، ثم أصبحت بمكة، فُظعْتُ بأمري، وعلمت بأن الناس يكذبوني، قال: فقعد معتزلاً حزيناً، فمر به أبو جهل عدو الله، فجاء فجلس، فقال كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ فقال [رسول الله ﷺ][2]: نعم، فقال: ما هو؟ قال: إني أسري بي الليلة، فقال: إلي أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث، إذا دعا قومه، قال: أرأيت إن دعوت إليك قومك، أتحدّثهم بما حدثتني؟ قال: نعم، فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي، [هلم!][2]، قال: فَانفَضّت المجالس، فجاءوا حتى جلسوا إليهما، فقال أبو جهل: حدّث قومك بما حدثتني، فقال رسول الله ﷺ: إني أسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال: فمن بين مصفق واضع يده على رأسه مستعجب للكذب، قال: وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، فقال: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: فذهبتُ [أنعت فما زلت][2] حتى التبس عليَّ بعضُ النّعت، قال: فجيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، قال: فنعتُّه وأنا أنظر إليه: وقد كان مع هذا حديث لم يحفظه عوف، قال:

---

(١) (دلائل البيهقي): ١٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢.

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقي).

فقالوا: أما النعتُ فقد والله أصاب[١].

وخرّج أبو داود الطيالسى، من حديث حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زرّ بن حبيش، عن حذيقة [رضى الله عنه قال]: أن النبى ﷺ أتى بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، فلم يزايلا . ظهره، هو وجبريل [عليه السلام][٢]، حتى انتهيا به إلى بيت المقدس، فصعد به جبريل إلى السماء، فاستفتح جبريل، فأراه الجنة والنار، ثم قال لى: هل صلى فى بيت المقدس؟ قلت نعم، قال: اسمع يا أُصيلع، إنى لأعرف، وجهك، ولا أدرى ما اسمك؟ قال: قلت: أنا زرّ بن حبيش، قال: فأين تجده صلاّها؟ فتأولت الآية: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده** ﴾ إلى آخر الآية، قال: فإنه لو صَلَّى لصليتم كما يصلون فى المسجد الحرام، قال: قلت لحذيفه : أربط الدابة بالحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء، قال: أكان يخاف أن يذهب منه، وقد آتاه الله بها؟[٣].

قال البيهقى: وبمعناه رواه حماد بن زيد، عن عاصم، إلا أنه لم يحفظ صفة البراق، وكان حذيفة لم يسمع صلاته فى بيت المقدس[٣].

وقد روينا فى الحديث الثابت عن أبى هريرة [رضى الله عنه][٢] وغيره: أنه صلى فيه، وأما الربط، فقد رويناه أيضا فى حديث غيره، والبراق دابة مخلوقة، وربط الدواب عادة معهودة، وإن كان الله عزّ وجلّ القادر على

---

(١) (دلائل البيهقى): ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٤، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ١ / ٥٠٨ . حديث رقم (٢٨١٥) من مسند عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

(٣) (المرجع السابق): ٣٦٤، وقد أخرجه الترمذى فى (السنن): ٥ / ٢٨٧ - ٢٨٨ . كتاب تفسير القرآن باب (١٨) ومن سورة بنى إسرائيل ، حديث رقم (٣١٤٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائى فى (الكبرى).

حفظها، والخبر المثْبِت أولى من النَّافى(١).

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، عن أبى بكر بن أبى سبرة، وغيرهُ من رجاله، قالوا: كان رسول الله ﷺ سأل ربه أن يريه الجنة والنار، فلما كان ليلة السبت، ليلة سبع عشر خلت من رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، ورسول الله ﷺ نائم فى بيته [ظهراً] أتاه جبريل وميكائيل، فقالا: انطلق إلى ما سألت الله، فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم، فأتى بالمعراج، فإذا هو أحسن شىء منظراً فعرجا به إلى السموات سماءاً سماءاً، فلقى فيها الأنبياء، وانتهى إلى سدرة المنتهى، وأرى الجنة والنار، قال رسول الله ﷺ ولما انتهيت إلى السماء السابعة، لم أسمع إلا صريف الأقلام، وفرضت علىّ الصلوات الخمس، ونزل جبريل [عليه السلام] فصلى برسول الله ﷺ الصلوات فى مواقيتها](٢).

وخرّج البيهقى من حديث سعيد بن منصور قال: حدثنا الحارث بن عبيد الإيادى، عن أبى عمران الجونى، عن أنس [رضى الله عنه] قال: [قال] رسول الله ﷺ: بينا أنا جالس، إذ جاء جبريل عليه السلام، فوكز بين كتفى، فقُمت يعنى إلى شجرة، فيها مثل وكْرَى الطير، فقعد جبريل فى أحدهما، وقعدتُ فى الآخر، فَسَمت وارتفعت حتى سدَّت الخافقين، وأنا أقلب طرفى، فلو شئتُ أن أمسَّ السماء مَسَسْتُ، فالتفتُّ إلى جبريل، فإذا هو كأنه جلس، فعرفتُ فضل علمه بالله علىَّ، فُتح لى بابٌ من أبواب السماء، ورأيتُ النور الأعظم، وإذا دونى حجاب رفرف الُّدرٌ والياقوت، فأوحى إلىّ ما شاء الله أن يوحى. قال البيهقى، وقال غيره فى

---

(١) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٦٥.

(٢) (طبقات ابن سعد): ١/ ٢١٣، ذكر المعراج وفرض الصلوات.

هذا الحديث: وَلُطَّ دونى الحجاب رفرف الدر والياقوت(١). هكذا رواه الحارث بن عبيد.

ورواه حماد بن سلمة، عن أبى عمران الجونى، عن محمد بن عمير بن عطارد، أن رسول الله ﷺ كان فى ملأ من أصحابه، فجاءه جبريل، فنكت فى ظهره، فذهب به إلى الشجرة، فيها مثل وكرى الطير، فقعد فى أحدهما، وقعد جبريل فى الآخر فتسامت بنا حتى بلغت الأفق، فلو بسطت يدى إلى السماء لنلتها، فدلى بسبب، وهبط النور، فوقع جبريل مغشيا عليه كأنه جلس، فعرفتُ فضل خشيته، فأوحى إلىّ: نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدا، أو إلى الجنة، ما أنت؟ [فأوما](٢) إلىّ جبريل وهو مضطجع: أن تواضع، قال: قلت: لا، بل نبيًا عبدًا(٣).

وخرج من حديث عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، [عن] سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: قال النبى ﷺ: لما أسرى بى، مرَّت بى رائحةٌ طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة؟ قالوا: ماشطة ابنة فرعون وأولادها، [كانت تمشطها](٤)، فسقط مشطها من يدها فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبى؟ قالت: ربى وربك ورب أبيك، قالت: أو لك رب غير أبى؟ قالت: نعم، ربى وربك ورب أبيك، قالت: أو لك رب غير أبى؟ قالت: نعم، ربى وربك ورب أبيك الله، قال: فدعاها، فقال: ألك رب غيرى؟ قالت: نعم، ربى وربك

---

(١) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

(٣) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٦٩، مرسل، وله شاهد عند الإمام أحمد فى (المسند): ٢/ ٤٦٠ - ٤٦١، حديث رقم (٧١٢٠) مختصراً من مسند أبى هريرة، دون قصة الشجرة.

(٤) ليست فى (دلائل البيهقى).

الله [عزَّ وجلَّ]، قال: فأمر ببقرة من نحاس(١) فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها.

قالت: إن لى إليك حاجة، قال: ما هى؟ قالت: تجمع عظامى، وعظام ولدى فى موضع، قال: ذاك لك، لمالك علينا من الحق، قال: فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً، حتى بلغ رضيعاً فيهم، فقال: قعى يا أمه، ولا تقاعسى، فإنا على الحق، قال: وتكلم أربعة وهم صغار، هذا وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى [ابن] مريم عليه السلام(٢).

---

(١) قدر كبير من نحاس.

(٢) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٨٩.

وأما الثلاثة الذين تكلموا فى المهد، فخرَّج البخارى من حديث جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جُرَيْج كان يصلى، فجاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلى؟ فقالت: اللهم لا تُمتْهُ حتى تريه وجه المومسات، وكان جريج فى صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: من جُريج، فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه، وسبّوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غُلام؟ قال: الراعى، قالوا: نبنى صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة تُرضع ابنًا لها من بنى إسرائيل، فمرَّ راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابنى مثله، فترك ثديها، وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديها يمصّه، قال أبو هريرة: كأنى أنظر إلى النبى ﷺ يمص إصبعه، ثم مرَّ بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اجعلنى مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل»، أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤٨) قول الله تعالى: **﴿واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾**، حديث رقم (٣٤٣٦).

قوله: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة»، قال القرطبى: فى هذا الحصر نظر، إلا أن يُحمل على أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على ذلك، وفيه بُعد.

ويُحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيداً بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد، لكنه يعكر عليه أن فى رواية ابن قتيبة أن الصبى الذى طرحته أمه فى الأخدود كان ابن سبعة أشهر، وصرَّح بالمهد فى حديث أبى هريرة. =

. . . .

= وفيه تعقيب على النووى فى قوله: إن صاحب الأخدود لم يكن فى المهد، والسبب فى قوله هذا، ما وقع فى حديث ابن عباس عند أحمد، والبزار، وابن حبان، والحاكم: «لم يتكلم فى المهد إلا أربعة»، فلم يذكر الثالث الذى هنا، وذكر شاهد يوسف، والصبى الرضيع الذى قال لأمه -وهى ماشطة بنت فرعون- لما أراد فرعون إلقاء أمه فى النار: «اصبرى يا أمه فإنا على الحق».

وأخرج الحاكم نحوه من حديث أبى هريرة، فيجتمع من هذا خمسة، ووقع ذكر شاهد يوسف أيضًا فى حديث عمران بن حصين، لكنه موقوف، وروى ابن أبى شيبة من مرسل هلال بن يساف مثل حديث ابن عباس، إلا أنه لم يذكر ابن الماشطة.

وفى صحيح مسلم من حديث صهيب فى قصة أصحاب الأخدود «أن امرأة جىء بها لتلقى فى النار أو لتكفر، ومعها صبى يرضع، فتقاعست، فقال لها: يا أمه اصبرى فإنك على الحق».

وزعم الضحاك فى تفسيره أن يحى تكلم فى المهد، أخرجه الثعلبى، فإن ثبت صاروا سبعة.

وذكر البغوى فى تفسيره أن إبراهيم الخليل تكلم فى المهد. وفى (سير الواقدى) أن النبى ﷺ تكلم أوائل ما وُلد، وقد تكلم فى زمن النبى ﷺ مبارك اليمامة، وقصته فى (دلائل النبوة للبيهقى) من حديث معرض -بالضاد المعجمة- والله تعالى أعلى وأعلم (فتح البارى).

* وفى الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع، لأن الاستمرار فيها نافلة، وإجابة الأم وبرها واجب قال النووى وغيره: إنما دعت عليه فأجيبت، لأنه كان يمكنه أن يخفف ويجيبها، لكن لعله خشى أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعوْد إلى الدنيا ومتعلقاتها، كذا قال النووى، وفيه نظر، بسط القول فيه الحافظ فى (الفتح).

* وفى الحديث أيضًا عظم برّ الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورًا، لكن يختلف الحال فيه بحسب المقاصد.

* وفيه الرفق بالتابع إذا جرى منه ما يقتضى التأديب، لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل.

* وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن.

* وفيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه.

* وفيه أن الأمرين إذا تعارضا بُدىء بأهمهما، وأن الله تعالى يجعل لأوليائهم عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم فى بعض الأوقات تهذيبًا، وزيادة لهم فى الثواب.

* وفيه إثبات كرامات الأولياء، ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم.

* وفيه جواز الأخذ بالأشد فى العبادة لمن علم من نفسه قوة على ذلك.

* وفيه أن مرتكب الفاحشة لا تبقى له حُرمة، وأن المفزع فى الأمور المهمة إلى الله يكون بالتوجه=

وخرّجه الحاكم بسنده، ومتنه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[1].

وخرج أيضا من حديث عبد الوهاب بن عطاء قال: أخبرنا أبو محمد ابن راشد الحمامى، عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى [رضى الله عنه] عن النبى ﷺ أنه قال له أصحابه: يا رسول الله، أخبرنا عن ليلة أسرى بك فيها، قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **سبحان الذى أسرى[2] بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير** ﴾، قال: فأخبرهم، قال: بينما أنا قائم عشاء فى المسجد الحرام، إذ أتانى آت فأيقظنى، فاستيقظت، فلم أر شيئًا، ثم عدتُ فى النوم، ثم أيقظنى، فاستيقظت، فلم أر شيئًا، [ثم عدت فى النوم، ثم أيقظنى فاستيقظت فلم أر شيئًا][2].

فإذا أنا بكهيئة خيال، فأتبعتُه ببصرى حتى خرجتُ من المسجد، فإذا أنا بدابة أدنى شبيهه بدوا بكم هذه، بغالكم هذه، مضطرب الأذنين، يقال له: البراق، وكانت الأنبياء [صلوات الله عليهم][2] تركبه قبلى، يقع حافره مدّ بصره، فركبتُه.

فبينما أنا أسير عليه، إذ دعانى داعٍ عن يمينى: يا محمد، أنظرنى

= إليه بالصلاة.

* وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافًا لمن زعم ذلك، وإنما الذى يختص بها الغرة والتحجيل فى الآخرة (فتح البارى)، (مصنف ابن أبى شيبة): ٦/ ٣٤٢ – ٣٤٣، كتاب الفضائل، باب (٧) ما ذكر فيما فضل به عيسى عليه السلام، حديث رقم (٣١٨٦٤)، (مسند أحمد): ٢/ ٥٩٢ – ٥٩٣، حديث رقم (٨٠١٠) مسند أبى هريرة رضى الله عنه، (المستدرك): ٢/ ٦٥٠، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (٤١٦١)، (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان): ١٤/ ٤١١ – ٤١٣، كتاب التاريخ، باب (٥) المعجزات، ذكر خبرٍ ثانٍ يصرح بان غير الأنبياء قد يوجد لهم أحوال تؤدى إلى المعجزات، حديث رقم (٦٤٨٩).

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

أسألك، يا محمد، أنظرنى أسألك، فلم أُجبْه، ولم أقم عليه.

فبينما أنا أسير عليه، [إذ دعانى داع عن يسارى: يا محمد! انظرنى أسألك يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه].

وبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها، وعليها من كل زينة خلقها الله، [فقالت]: يا محمد،، أنظرنى أسألك، فلم ألتفت إليها، ولم أقم عليها، حتى أتيت بيت المقدس، فأوثقتُ دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء توثقها به.

فأتانى جبريل عليه السلام بإناءين، أحدهما خمر، والآخر لبن، فشربتُ اللبن وتركتُ الخمر، فقال جبريل: أصبت الفطرة، فقلت: الله أكبر، الله أكبر، فقال جبريل: ما رأيتُ فى وجهك هذا؟ قال: فقلت: بينما أنا أسير، إذ دعانى داعٍ عن يمينى: يا محمد، أنظرنى أسألك، فلم أُجبْه، ولم أقم عليه، قال: ذاك داعى اليهود، أما أنك لو أجبته أو وقفت عليه، [لتهودتْ] أمتك.

قال: وبينما أنا أسير إذ دعانى داعٍ عن يسارى، فقال: يا محمد، أنظرنى أسألك، فلم ألتفت إليه، ولم أقم عليه، قال: ذاك داعى النصارى، أما أنك لو أجبتُه لتنصَّرت أمتك.

فبينما أنا أسير، إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها، عليها من كل زينة خلقها الله، تقول: يا محمد، أنظرنى أسألك، فلم أجبها، ولم أقم عليها، قال: تلك الدنيا، أما إنك لو أجبتها، لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة.

قال: ثم دخلتُ أنا وجبريل بيت المقدس، فصلى كله واحد منا ركعتين، ثم أُتيتُ بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم، فلم ير الخلائق أحسن

من المعراج ما رأيتم الميت حين يشق بصره طامحًا إلى السماء فإنما يشق بصره طامحًا إلى السماء عجبه بالمعراج.

قال: فصعدتُ أنا وجبريل، فإذا أنا بملك يقال له: إسماعيل، وهو صاحب سماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك. قال: وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾، فاستفتح جبريل باب السماء، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟.

قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، فإذا أنا بآدم كهيئة يوم خلقه الله على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين، فيقول: روح طيبة ونفس طيبة، اجعلوها فى عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة، اجعلوها فى سجين.

ثم مضت هنية، فإذا بأَخْوِنة -يعنى بالخوان: المائدة التى يؤكل عليها-، عليها لحم مشرح، ليس يقربها أحد، وإذا بأخونة أخرى، عليها لحم قد أروح ونتن، عندها أناس يأكلون منها، قلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام.

ثم مضت هنية، فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم، خرّ يقول: اللهم لا تُقم الساعة، قال: وهم على سابلة آل فرعون، قال: فتجيء السابلةُ فتطأهم، قال: فسمعتهم يضجون إلى الله سبحانه، قلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الذين يأكلوا الربا ﴿ **لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ** ﴾.

قال ثم مضت هنية، فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل، قال: فتفتح على أفواههم، ويلقمون ذلك الجمر، ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل، فقلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال هؤلاء من

أمتك يأكلون أموال اليتامى ظُلْمًا ﴿ **إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾.

قال: ثم مضت هنية، فإذا أنا بنساء يعلقن بثديهن، فسمعتهن [يصحن] إلى الله عزَّ وجلّ، قلت: يا جبريل! من هؤلاء النساء؟ قال: هؤلاء الزناة من أمتك.

قال: ثم مضت هنية، فإذا أنا بأقوام تقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون، فيقال له: كل ما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمَّازون من أمتك اللمازون.

ثم صعدنا إلى السماء الثانية، فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله، قد فُضِّل عن الناس بالحسن، كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف، ومعه نفر من قومه، فسلمتُ عليه وسلَّم عليّ.

ثم صعدت إلى السماء الثالثة، فإذا أنا بيحى وعيسى، ومعهما نفر من قومهما، فسلمتُ عليهما وسلما عليّ.

ثم صعدتُ إلى السماء الرابعة، فإذا أنا بإدريس، قد رفعه الله مكانًا عليًا، فسلمت عليه وسلم عليَّ.

ثم صعدت إلى السماء الخامسة، فإذا أنا بهارون، ونصف لحيته بيضاء، ونصفها سوداء، تكاد لحيته تصيب سُرَّتَه من طولها، قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا المحبب في قومه، هذا هارون بن عمران، ومعه نفر من قومه، فسلمتُ عليه وسلّم عليّ.

ثم صعدتُ إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى بن عمران، رجل آدم، كثير الشعر، لو كان عليه قميصان، لنفذ شعره دون القميص، وإذا هو

يقول: يزعم الناسُ أنى أكرم على الله من هذا، بل هذا أكرمُ على الله منى، قال: قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران، قال: ومعه نفر من قومه، فسلمتُ عليه وسلّم علىّ.

ثم صعدت إلى السماء السابعة، فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ساندًا ظهره إلى البيت المعمور، كأحسن الرجال، قلت: يا جبريل! من هذا؟ قال هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن، ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلّم علىّ.

وإذا بأمتى شطرين، شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس، وشطر عليهم ثياب رُمْد، قال: فدخلتُ البيت المعمور، ودخل معى الذين عليهم الثياب البيض، وحُجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرُّمْد، وهم على خير، فصليت أنا ومن معى فى البيت المعمور، ثم خرجتُ أنا ومن معى، قال: والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون فيه إلى يوم القيامة.

قال: ثم رُفعت إلى السدرة المنتهى، فإذا كل ورقة منها تكاد أن تغطى هذه الأمة، وإذا فيها عين تجرى يقال لها: سلسبيل، فينشق منها نهران، أحدهما الكوثر، والآخر يقال له: نهر الرحمة، فاغتسلتُ فيه، فغُفر لى، ما تقدم من ذنبى وما تأخر.

ثم إنى دفعت إلى الجنة، فاستقبلتنى جارية، فقلتُ: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لزيد بن حارثة، وإذا أنا بأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمرة لذة للشاربين، وأنهار من عسل وصفى، وإذا رمانها كأنه الدّلاء عظمًا، وإذا بطير كالبخاتى هذه، فقال عندها ﷺ [وعلى جميع أنبيائه][1]: إن الله قد أعدّ لعباده الصالحين ما لا عين رأت،

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال: ثم عُرضَتْ عليَّ النار، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، لو طُرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها، ثم أُغلقت دونى.

ثم إنى دُفعتُ إلى السدرة المنتهى، فتغشى لى، وكان بين وبينه قاب قوسين أو أدنى، قال: ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة، قال: وقال: فرضت عليّ خمسون صلاة، وقال: لك بكل حسنة عشر، [وإذا] هممت بالحسنة فلم تعملها، كتبت لك حسنة، وإذا عملتها كُتبتْ لك عشراً، وإذا هممتُ بالسيئة فلم تعملها، لم يكتب عليك شيء، فإن عملتها، كتبتْ عليك سيئة واحدة.

ثم دفعتُ إلى موسى فقال: بما أمرك؟ قلت: بخمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، ومتى لا تطيقه تكفر، فرجعتُ إلى ربى فقلت [يا رب]، خفف عن أمتى، فإنها أضعف الأمم فوضع عنى عشراً، وجعلها أربعين، فمازلتُ اختلف بين موسى وربى، [كلما] أتيتُ عليه، قال لى مثل مقالته، حتى رجعتُ إليه فقال لى: بما أُمرت؟ قلتُ: أُمرتُ بعشر صلوات، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف عن أمتك فرجعتُ إلى ربى فقلتُ: أى ربِّ، خفِّفْ عن أمتى، فإنها أضعف الأمم، فوضع عنى خمساً، وجعلها خمساً، فنادانى ملك عندها: تمت فريضتى، وخففتُ عن عبادى، وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها.

ثم رجعتُ إلى موسى فقال: بما أُمرت؟ قلتُ: بخمس صلوات، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فإنه لا يؤوده شيء، فسله التخفيف لأمتك، فقلتُ: رجعتُ إلى ربى حتى [اسْتَحْيَيْتُه](١).

---

(١) زيادة للسياق.

ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب؛ إنى رأيتُ البارحة بيت المقدس، وعُرج بى إلى السماء، ورأيتُ كذا، ورأيتُ كذا، فقال أبو جهل بن هشام: ألا تعجبون مما يقول محمد، يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس، ثم أصبح فينا! وأحدنا يضرب مطيته مُصعدةً شهراً، ومنقلبة شهراً، فهذا مسيرة شهرين فى ليلة واحدة، قال: فأخبرهم [بعير] لقريش لما كان فى مصعدى، رأيتها فى مكان كذا وكذا، وأنها نفرت، فلما رجعت رأيتها عند العقبة، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا، ومتاعه كذا وكذا، فقال أبو جهل: يخبرنا بأشياء؟ فقال رجل من المشركين: أنا أعلم الناس ببيت المقدس، وكيف بناؤه، وكيف هيئته، وكيف قربه من الجبل، فإن يكن محمد صادقًا فسأخبركم، وإن يكن كاذبًا فسأخبركم، فجاءه ذلك المشرك فقال: يا محمد! أنا أعلم الناس ببيت المقدس، فأخبرنى كيف بناؤه، وكيف هيئته، وكيف قربه من الجبل.

قال: فرُفع لرسول الله ﷺ بيتُ المقدس من مقعده، فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته، فقال: بناؤه كذا وكذا، وهيئته كذا وكذا، وقربه من الجبل كذا وكذا، فقال الآخر: صدقت، فرجع إلى أصحابه فقال: صدق محمد فيما قال، أو نحو هذا من هذا الكلام(١).

وخرّج البيهقى أيضًا من حديث عيسى بن ماهان، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال فى هذه الآية: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ قال: أُتى بفرسٍ فحمل عليه، قال: كل خطوة مُنتهى أقصى بصره، فسار وسار معه جبريل عليه السلام.

---

(١) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٩٢ وما بعدها.

فأتى على قوم[١] يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المهاجرون فى سبيل الله، يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، ﴿**وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين**﴾.

ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، لا يُفتّر عنهم من ذلك شيئًا، فقال: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة.

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام عن الضريع، والزقوم، ورضف جهنم، وحجارتها، قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله، وما الله بظلام للعبيد.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم فى قدر نضج طيب، ولحم آخر خبيث، فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضج الطيب، فقال: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هذا الذى يقوم وعنده امرأة حلالاً طيبًا، فيأتى المرأة الخبيثة، فتبيتُ معه حتى يُصبح.

ثم أتى على خشبة على الطريق، لا يمر بها شىء إلا قصعته، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ولا تقعدوا بكل [صراط] توعدون**﴾[٢].

ثم مرّ على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يريد أن يزيد عليها، قال: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا رجل من أمتك، عليه أمانة لا يستطيع أداءها، وهو يزيد عليها.

ثم أتى على قوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما

---

(١) فى (دلائل البيهقى): «فاتى قوم» وما أثبتناه من (الأصلين).

(٢) الأعراف: ٨٦.

قُرضت عادت كما كانت، ولا يُفتَّر عنهم من ذلك شيء، قال: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

ثم أتى على حجر صغير، يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج، ولا يستطيع، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها، فيريد أن يردَّها ولا يستطيع.

ثم أتى على وادٍ، فوجد فيه ريحًا باردة طيبة، ووجد ريح المسك، وسمع صوتًا، فقال: يا جبريل! ما هذه الريح الباردة الطيبة؟ وريح المسك؟ وما هذا الصوت؟ قال: هذا صوت الجنة، تقول: يا رب ائتنى بأهلى وبما وعدتنى، فقد كَثُر عَرْفى، وحريرى، وسُندسى، وإستبرقى، وعبقرى، ولؤلؤى، ومرجانى، وفضتى، وذهبى، وأباريقى، وفواكهى، وعسلى، وخمرى، ولبنى، فائتنى بما وعدتنى، فقال: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بى وبرسُلى، وعمل صالحًا، ولم يشرك بى شيئًا، ولم يتخذ من دونى أندادًا، ومن خشينى أمنته، ومن سألنى أعطيتُه، ومن أقرضنى جزيتُه، ومن توكل على كفيته، وأنا الله لا إله إلا أنا، لا أخلف الميعاد، **﴿قد أفلح المؤمنون* الذين هم فى صلاتهم خاشعون* والذين هم عن اللغو معرضون* والذين هم للزكاة فاعلون* والذين لفروجهم حافظون* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون* والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون* والذين هم على صلواتهم يحافظون* أولئك هم الوارثون* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون* ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا كسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**(١) قالت: قد رضيت.

---

(١) المؤمنون: ١ - ١٤.

ثم أتى على وادٍ، فسمع صوتًا منكرًا، قال: يا جبريل! ما هذا الصوت؟ قال: هذا صوت جهنم، يقول: ائتنى بأهلى وما وعدتنى، فقد كثر سلاسلى، وأغلالى، وسعيرى، وزقومى، وحميمى، وحجارتى، وغسَّاقى، وغسلينى، وقد بَعُدَ قعرى، واشتد حرى، فائتنى بما وعدتنى، فقال: لك كل مُشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت: قد رضيت.

قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل، فربط فرسه إلى صخرة، ثم دخل فصلى مع الملائكة، فلما قضيت قالوا: يا جبريل! من هذا معك؟ قال: محمد رسول الله وخاتم النبيين، قالوا: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاهُ الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء.

قال: ثم أتى أرواح الأنبياء، فأثنوا على ربهم، قال فقال إبراهيم عليه السلام: الحمد لله الذى اتخذ إبراهيم خليلاً، وأعطانى ملكا عظيمًا، وجعلنى أمة قانتا [لله](1) يؤتم بى، وأنقذنى من النار، وجعلها علىّ بردًا وسلامًا.

قال: ثم إن موسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى كلمنى تكليمًا، واصطفانى برسالته وكلماته، وقربنى إليه نجيًا، وأنزل علىّ التوراة، وجعل هلاك آل فرعون على يدى، ونجى بنى إسرائيل على يدى.

قال: ثم إن داود أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى خوّلنى مُلكًا، وأنزل علىّ الزبور، وألان لى الحديد، وسخّر لى الطير، والجبال، وآتانى الحكمة وفصل الخطاب.

ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى سخر لى الرياح، والجن، والإنس، وسخر لى الشياطين، يعملون ما شئت من محاريب

(١) زيادات للسياق من (دلائل البيهقى).

وتماثيل، وجفانٍ كالجواب، وقدورٍ راسيات... وعلمنى منطق الطير، وكل شيء، وأسال لى عين القطر، وأعطانى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى.

ثم إن عيسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى علمنى التوراة والإنجيل [و] جعلنى أُبرىء الأكمة والأبرص، وأُحْى الموتى بإذنه، ورفعنى وطهرنى من الذين كفروا، وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليها سبيل.

ثم إن محمداً أثنى على ربه فقال: كلكم قد أثنى على ربه، وإنى مُثنٍ على ربى، فقال: الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وأنزل علىّ الفرقان فيه تبيانًا لكل شيء، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتى أمة وسطًا، وجعل أمتى هم الأولون، وهم الآخرون، وشرح صدرى، ووضع عنى وزرى، ورفع لى ذكرى، وجعلنى فاتحًا وخاتمًا. فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد ﷺ.

قال: ثم أتى بآنية ثلاثة مغطاه أفواهها، فأتى بإناء منها فيه ماء، فقيل له: اشرب، فشرب منه يسيراً، ثم رفع إليه إناء آخر فيه لبن، فشرب منه حتى روى، ثم رفع إليه إناء آخر فيه خمر، فقال: قد رويت لا أريده، فقيل له: قد أصبت، أما إنها ستحرم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل. قال ثم صُعد به إلى السماء.. فذكر الحديث بنحو ما رويناه بالأسانيد الثابتة إلى أن قال:

ثم صُعد بى إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: محمد، قالوا: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ، ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء.

فدخل فإذا برجل أشمط، جالس على كرسى عند باب الجنة، وعنده قوم بيض الوجوه، وقوم سود الوجوه، وفى ألوانهم شيء، فأتوا نهراً، فاغتسلوا

فيه، فخرجوا منه، وقد خلص من ألوانهم شىء، ثم إنهم أتوا نهراً آخر، فاغتسلوا فيه، فخرجوا [وقد خلص من ألوانهم شىء، ثم دخلوا النهر الثالث، فخرجوا] وقد خلصت [من][(١)] ألوانهم مثل ألوان أصحابهم، فجلسوا إلى أصحابهم.

فقال: يا جبريل! من هؤلاء بيض الوجوه؟ وهؤلاء الذين فى ألوانهم شىء، فدخلوا النهر [فخرجوا][(١)] وقد خلصت ألوانهم؟ فقال: هذا أبوك إبراهيم، هو أول رجل شمط على وجه الأرض، وهؤلاء بيض الوجوه، قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، قال، وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء، خلطوا عملاً صالحًا، وآخر سيئًا، فتابوا فتاب الله عليهم، فأما النهر الأول، فرحمة الله، وأما النهر الثانى، فنعمة الله، وأما النهر الثالث، فسقاهم ربهم شرابًا طهوراً

ثم انتهى إلى السدرة [المنتهى][(١)]، فقيل لى: هذه السدرة، إليها منتهى كل أحد من أمتك، يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسنٍ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، قال: وهى شجرة يسير الراكب فى أصلها عامًا لا يقطعها، وأن الورقة منها مغطية الخلق.

قال: فغشيها نور الخالق، وغشيتها الملائكة، فكلمه ربه عند ذلك، قال له: سل، قال: إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وأعطيته ملكا عظيمًا، وكلمت موسى تكليمًا، وأعطيت داود ملكًا عظيمًا، وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، وسخرت له [الجبال][(٢)] والجن والإنس، وسخرت له الشياطين والرياح، وأعطيته ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرىء

(١، ٢) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

الأكمة والأبرص، ويحى الموتى بإذنك، وأعذته وأمه من الشيطان فلم يكن له عليهما سبيل.

فقال له ربه: قد اتخذتك خليلاً، قال: وهو مكتوب فى التوراة خليل الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وشرحتُ لك صدرك، ووضعتُ عنك وزرك، ورفعتُ لك ذكرك، فلا أُذكر إلا ذُكرت معى - يعنى بذلك الأذان - وجعلتُ أمتك خير أمة أخرجت للناس، وجعلتُ أمتك [أمة وسطًا] وجعلت أمتك هم الأولون، وهم الآخرون وجعلتُ من أمتك أقوامًا قلوبهن أنا جيلهم، وجعلت أمتك لا تجوز عليهم خُطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى، وجعلتك أول النبيين خلقًا، وآخرهم مبعثًا، وآتيتك سبعًا من المثانى، لم أعطها نبيًا قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة، من كنز تحت العرش، لم أعطها نبيًا قبلك، وجعلتك فاتحًا وخاتمًا.

قال: وقال النبى ﷺ: فضلنى ربى، أرسلنى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وألقى فى قلب عدوى الرعب [من][1] مسيرة شهر، وأحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى، وجُعلت الأرضُ كلها لى مسجداً وطهوراً، وأعطيتُ فواتح الكلام، وخواتمه، وجوامعه، وعرضت علىّ أمتى، فلم يخف علىّ التابع والمتبوع.

ورأيتهم أتوا على قوم ينتعلون الشَّعر، ورأيتهم أتوا على قوم عراض الوجوه، صغار الأعين، كأنما خُزمت أعينهم بالمخيط، فلم يخف علىّ ما هم لاقون من بعدى، وأمرتُ بخمسين صلاة، فرجعتُ إلى موسى.. فذكر الحديث بمعنى ما روينا فى الأسانيد الثابتة، غير أنه قال فى آخره: قال: فقيل له: اصبر على خمس، فإنهم يجزين عنك بخمس، كل خمس بعشر أمثالها، قال: فكان موسى أشدّ عليهم حين مرّ به، وخيرهم حين رجع

---

(١) زيادة للسياق من (دلائل البيهقى).

إليه[١].

قال كاتبه [عفى الله عنه]: هكذا ساق البيهقى هذا الحديث كما أردته، وأن الوضع لائح عليه، ولولا أن الأئمة روته لما ذكرته.

قال البيهقى: وقد روى فى المعراج أحاديث أُخَر: منها حديث أبى حذيفة، إسحاق بن بشر، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس [رضى الله عنهما][٢]، وجوير عن الضحّاك، عن ابن عباس. وإسحاق بن بشير متروك، لا [يفرح][٣] بما ينفرد به[٤].

ومنها حديث إسماعيل بن موسى القواريرى عن عمر بن سعد المصرى، من بنى نصر بن قعين، قال: حدثنى عبد العزيز، وليث بن أبى سليم، وسليمان الأعمش، وعطاء بن السائب -بعضهم يزيد فى الحديث على بعض- عن على بن أبى طالب، وعن عبد الله بن عباس، ومحمد بن إسحاق بن يسار، عن من حدثه عن ابن عباس، وعن سليم -أو سلم- العقليى، عن عامر الشعبى، عن عبد الله بن مسعود، وجويبر، عن الضحاك ابن مزاحم، قالوا: كان رسول الله ﷺ فى بيت أم هانىء راقداً، وقد صلى العشاء الآخرة... فذكر حديثًا طويلاً، يذكر فيه عدد الدرج[٥] والملائكة، وغير ذلك مما لا يُنكر شىء منها فى قدرة الله [تعالى][٦]، إن صحت الرواية، [قال: وذلك حديث [راويه] مجهول، وإسناده منقطع][٧].

---

(١) (دلائل البيهقى): ٢/ ٣٩٧ - ٤٠٣.

(٢) زيادة للسياق.

(٣) زيادة للسياق من المرجع السابق.

(٤) (المرجع السابق): ٤٠٤.

(٥) فى (المرجع السابق): «عدد الروح» وما أثبتناه من الأصلين وهو الأصوب، ولعلها درج الجنة.

(٦) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٧) ما بين الحاصرتين ليس فى (المرجع السابق)، وهو فى الأصلين فقط.

وخرج النسائى من حديث سعيد بن عبد العزيز، قال: حدثنا يزيد بن أبى مالك، حدثنا أنس بن مالك [رضى الله عنه]، أن رسول الله ﷺ قال: أُتيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل، خطوها عند منتهى طرفها، فركبت، ومعى جبريل عليه السلام، فسرت، فقال: انزل فصلّ، ففعلتُ، فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت بطيبة، وإليها المهاجر.

ثم قال: انزل فصلّ، فصليت، فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت بطور سيناء، حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام.

ثم قال: انزل فصلّ، فصليت، فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت ببيت لحم، حيث ولد عيسى عليه السلام.

ثم دخل بيت المقدس، فجمع لى الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل حتى أممتهم.

ثم صعد بى إلى السماء الدنيا، فإذا فيها آدم [عليه السلام] ثم صعد بى إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة، عيسى ويحى [عليهما السلام] ثم صعد بى إلى السماء الثالثة، فإذا فيها يوسف [عليه السلام] ثم صعد بى إلى السماء الرابعة، فإذا فيها هارون [عليه السلام] ثم صعد بى إلى السماء الخامسة، فإذا فيها إدريس [عليه السلام] ثم صعد بى إلى السماء السادسة، فإذا فيها موسى [عليه السلام] ثم صعد إلى السماء السابعة، فإذا فيها [إبراهيم]، عليه وعليهم السلام.

ثم صعد بى فوق سبع سموات، فأتينا سدرة المنتهى، فغشيتنى ضبابة، فخررتُ ساجداً، فقيل لى: [إنى] يوم خلقت السموات والأرض، فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة، فقم بها أنت وأمتك.

فـرجـعتُ إلى إبراهيم، فلم يسـألنى عن شىء، ثم أتيتُ على مـوسى، فقال: كم فرض [الله][(١)] عليك وعلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: فإنك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك، فارجع إلى ربك [فاسأله] التخفيف، فرجعتُ إلى ربى، فخفف عنى عشرًا، ثم أتيت موسى، فأمرنى بالرجوع، فرجعتُ فخفف عنى عشرًا، ثم رُدّت إلى خمس صلوات، قال: فارجع إلى ربك، [فاسأله] التخفيف، فإنه فرض على بنى إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما، فرجعتُ إلى ربى [عز وجل][(١)] فسألته التخفيف. فقال: إنى يوم خلقت السموات والأرض، فرضتُ عليك وعلى أمتك خمسين صلاة، فخمس بخمسين، فقم بها أنت وأمتك، فعرفت أنها من الله [تبارك وتعالى][(١)] صِرًّى، فرجعتُ إلى موسى [عليه السلام][(١)] فقال: ارجع، فعرفتُ أنها من الله صِرًّى[(٢)]: [أى حتم]، فلم أرجع[(٣)].

وخرج أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، فى أول تاريخه[(٤)]، من حديث أبى نعيم عمر بن صبح، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ، [فذكر] حديثا طويلاً فيه: أن الله تعالى خلق مدينتين، [إحداهما] بالمشرق، والأخرى بالمغرب، أهل المدينتين جميعًا من ولد آدم، فالمدينة التى بالمشرق، من بقايا عاد، من نسل مؤمنيهم، وأهل التى بالمغرب، من بقايا ثمود، من نسل الذين آمنوا بصالح.

---

(١) زيادة للسياق من (سنن النسائى).

(٢) صِرًّى: بكسر الصاد المهملة وفتح الراء المشددة آخرها ألف مقصورة، أى عزيمة باقية لا تقبل النسخ. (حاشية السندى).

(٣) (سنن النسائى): ١/ ٢٤١ - ٢٤٢، كتاب الصلاة باب (١) فرض الصلاة، حديث رقم (٤٤٩).

(٤) (تاريخ الطبرى): ١/ ٦٩ وما بعدها.

[و] اسم التى بالمشرق بالسريانية: قرقيسيا، وبالعربية جابلق[١]، واسم التى بالمغرب بالسريانية: برجيسيا، وبالعربية: جابرس[٢]، ولكل مدينة

---

(١) جابلق بالباء الموحدة المفتوحة وسكون اللام؛ روى أبو روح، عن الضحاك، عن ابن عباس. أن جابلق مدينة بأقصى المغرب، وأهلها من ولد عاد ،أهل جابرس من ولد ثمود، ففى كل واحدة منهما بقايا ولد موسى عليه السلام، كل واحدة من الأمتين.

ولما بايع الحسنُ بن علىّ بن أبى طالب معاوية، قال عمرو بن العاص لمعاوية: قد اجتمع أهل الشام والعراق، فلو أمرت الحسن أن يخطب، فلعه يحصر، فيسقط من أعين الناس، فقال: يا ابن أخى، لو صعدت، وخطبت، وأخبرت الناس بالصلح، قال: فصعد المنبر، وقال بعد حمد الله، والصلاة على رسوله ﷺ: أيها الناس، إنكم لو نظرتم ما بين جابرس وجابلق، ما وجدتم ابن نبى غيرى وغير أخى،وإنى رأيتُ أن أصلح بين أمة محمد ﷺ، وكنتُ أحقهم بذلك، الا إنا بايعنا معاوية، وجعل يقول: ﴿وإن أدرى لعله فتنة ومتاع إلى حين﴾، فجعل معاوية يقول: انزل، انزل. (معجم البلدان): ٢/ ١٠٥ - ١٠٦، موضع رقم (٢٨٦٨).

(٢) جابرس: مدينة بأقصى المشرق، يقول اليهود: إن أولاد موسى عليه السلام هربوا، إما فى حرب طالوت، أو فى حرب بختنصر، فسيرهم الله، وأنزلهم بهذا الموضع، فلا يصل إليهم أحد، وإنهم بقايا المسلمين، وإن الأرض طويت لهم، وجعل الليل والنهار عليهم سواء، حتى انتهوا إى جابرس، فهم سكانها، ولا يُحصى عددهم إلا الله، فإذا قصدهم أحد من اليهود قتلوه، وقالوا: لم تصل إلينا حتى أفسدت سنتك، فيستحلون دمه بذلك.

وذكر غير اليهود انهم بقايا المؤمنين من ثمود، وبجابلق بقايا المؤمنين من ولد عاد (المرجع السابق): ٢/ ١٠٥، موضع رقم (٢٨٦٥).

وذكر القزوينى فى ترجمة جابرس هذه حديثًا عن ابن عباس، -الله أعلم بصحته- عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ فى ليلة أُسرى به قال لجبريل عليه السلام: إنى أحب أن أرى القوم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ومن قوم موسى أمه يهدون بالحق وبه يعدلون﴾، فقال جبريل عليه السلام: بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذهابًا، وست سنين راجعًا، وبينك وبينهم نهر من رَمْلٍ يجرى كجرى السهم، لا يقف إلا يوم السبت، لكن سل ربك، فدعا النبى ﷺ وأمَّنَ جبريل عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام، أن أجبه ماسأل، فركب البُراق، وخطا خطوات، فإذا هو بين أظهر القوم، فسلم عليهم، فسألوه: من أنت؟ فقال: أنا النبى الأمى! فقالوا: نعم، أنت الذى بشر بك موسى، عليه السلام، وإن أمتك لولا ذنوبها لصافحتها الملائكة.

قال رسول الله ﷺ رأيتُ قبورهم على باب دورهم، فقلتُ لهم: لم ذاك؟ قالوا: لنذكر الموت صباحًا ومساءً، وإن لم نفعل ذلك ما نذكر إلا وقتًا بعد وقت!

=

منها عشرة آلاف باب، ما بين كل باب [منهما] فرسخ، يئوب كل يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف رجل من الحراس، عليهم السلاح، ثم لا تنوبهم الحراسة عد ذلك إلى يوم ينفخ فى الصور، فوالذى نفس محمد بيده، لولا كثرة هؤلاء القوم، وضجيج أصواتهم يُسْمِعُ الناس من جميع أهل الدنيا، هذه وقعة الشمس حين تطلع، وحين تغرب، ومن ورائهم ثلاث أمم: منسك، وتافيل، وتاريس، ومن دونهم يأجوج ومأجوج.

وإن جبريل انطلق بى إليهم ليلة أُسرى بى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فدعوت يأجوج ومأجوج إلى [عبادة] الله، فأبوا أن يجيبونى، ثم انطلق بى إلى أهل المدينتين، فدعوتهم إلى دين الله وعبادته، فأجابوا وأنابوا، فهم فى الدين من أحسن منهم، فهو مع محسنكم، ومن أساء منهم، فأولئك مع المسيئين منكم.

ثم انطلق بى إلى الأمم الثلاثة، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته، فأنكروا ما دعوتهم إليه، وكفروا بالله، وكذبوا رسله، فهم مع يأجوج ومأجوج، وسائر من عصى الله فى النار.. وذكر الحديث بطوله(١).

وعمر بن الصبح بن عمران أبو نعيم التيمى - ويقال: العدوى الخراسانى السمرقندى- يروى عن إبان بن أبى عياش، وقتادة، [والأوزاعى] وطائفة، وعنه مخلد بن يزيد الحرانى، وعيسى غنجار، ومحمد بن حميد الحمصى، وآخرون، وهو [متهم].

قال البخارى: حدثنا على بن جرير قال: سمعت عمر بن الصبح يقول: أنا وضعتُ خُطبة النبى ﷺ، وقال إسحاق بن راهويه: أخرجتْ خراسان

= فقال رسول الله ﷺ: ما لى لا أرى بنيانكم مستويًا؟ قالوا: لئلا يشرف بعضنا على بعض، ثم ذكر الحديث بطوله. (المرجع السابق): ص ١٠٥ هامش، نقلاً عن (آثار البلاد): ٢٧.

(١) (تاريخ الطبرى): ٢/ ٦٩ وما بعدها.

ثلاثة، لم يكن [لهم فى الدنيا] نظير -يعنى فى البدعة والكذب- جهم ابن صفوان، وعمر بن صبح، ومقاتل بن سليمان. وقال [ابن] عدى: منكر الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، لا متنًا، ولا إسنادًا. وقال الدارقطى: متروك، له فى ابن ماجة حديث فى الجهاد(١).

وخرَّج أبو نعيم من حديث الواقدى، قال مالك بن أبى الرجال، عن عمر ابن عبد الله، عن محمد بن كعب، أن أبا سفيان قال [لقيصر] فى آخر القصة أيها الملك، ألا أخبرك عنه خبرًا، تعرف أنه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قلت: إنه يزعم أنه خرج من أرضنا -أرض الحرم- فى ليلة، فجاء مسجدكم هذا -مسجد إيليا- ورجع إلينا فى تلك الليلة قبل الصباح، قال: وبطريق إيليا عند رأس قيصر، فقال بطريق إيليا، عند رأس قيصر، فقال: بطريق إيليا، قد علمت تلك الليلة، قال: فنظر إليه قيصر، فقال: وما علمك بهذا؟ قال: إنى كنتُ لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد، فلما كنتُ تلك الليلة، أغلقت الأبواب كلها، غير باب واحد، فاستعييت عليه عمالى، ومن يحضرنى كلهم علاجه، فلم نستطع أن نحركه، كأنما نزاول جبلاً، فدعوتُ النجاجرة، فنظروا إليه، فقالوا: هذا باب سقط عليه النجائف والبنيان، فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح، فننظر من أين أتى.

قال: فرجعت، وتركت الناس مفتوحين، فلما أصبحت غدوت عليهما، فإذا الحجر الذى فى زاوية المسجد منقوب، وإذا فيه أثر مربط الدابة، قال: قلت لأصحابى: ما حُبس هذا الباب الليلة إلا على نبى، وقد صلى اللية فى مسجدنا [نبى].

---

(١) له ترجمة فى (تهذيب التهذيب): ٧/ ٤٠٧ - ٤٠٨، ترجمة رقم (٧٢٢)، وما بين الحاصرتين زيادة للسياق منه، وحديثه فى (سنن ابن ماجة) فى كتاب الجهاد، باب رقم (٧) فضل الرِّباط فى سبيل الله، حديث رقم (٢٧٦٦).

قال أبو نعيم: حدَّث أبو عبد الله الجرشى، [حدثنا] يونس من أرقم الكندى، [قال] أخبرنا سعيد بن دينار، عن أبى الجارود زياد بن المنذر، عن أبى العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية: إنا نتحدث أن [بدء] هذا الأذان إنما كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار فى منامه، [قال:] ففزع لذلك فزعًا شديداً وقال: عمدتم إلى أجسم دينكم، فزعمتم أنه كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار فى منامه.

قال: قلت: هذا الحديث قد استفاض فى الناس، قال: هذا والله هو الباطل، قال: إن رسول الله ﷺ لما عُرج به إلى السماء، فانتهى إلى مكان من السماء، وقف به، وبعث الله ملكًا، فقام من السماء مقامًا، ما قامه قبل ذلك، قيل له: علمه الأذان، فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر، فقال الله: صدق عبدى، أنا الله الأكبر، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الله: صدق عبدى، أنا أرسلته، وأنا اخترته، وأنا ائتمنته، فقال الملك: حى على الصلاة، فقال الله: صدق عبدى، ودعا إلى فريضتى وحقى، فمن أتاها محتسباً لها، كانت كفارة لكل ذنب.

فقال الملك: حى على الفلاح، قال الله: صدق عبدى، هى الفلاح، وهى النجاح، فقال الملك: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقال الله: صدق عبدى، أنا أقمتُ فريضتها، وعدتها، ومواقيتها. ثم قيل لرسول الله ﷺ: تقدم، فتقدم، فأم أهل السماء، فتم له شرفه على سائر الخلق.

وخرَّج الإمام أحمد من حديث حماد، عن على بن زيد، عن أبى الصلت، عن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ ليلة أسرى بى، لما انتهينا إلى السماء السابعة، فنظرتُ فوق – [قال عفان: فوقى]–[1]، فإذا أنا برعد، وبرق، وصواعق، [قال][1] فأتيتُ على قوم

---

(١) زيادة للسياق من (مسند أحمد).

بطونهم كالبيوت، فيها الحيات تُرى من خارج بطونهم، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الرّبا، فلما [نزلت] إلى السماء الدنيا، نظرتُ أسفل منى، فإذا أنا برهج ودخان وأصوات، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين [يوحون] على أعين بنى آدم، أن لا يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب](1). وروى ابن ماجة منه، قصته آكل الربا](2).

وذكر أبو القاسم، الحسن بن محمد بن حبيب المفسر، فى كتاب (التنزيل) فى الآيات السَّفرية، قال: وأنزل بيت المقدس، وقوله تعالى فى الزخرف: ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهةً يُعبدون** ﴾ نزلت عليه ﷺ ليلة أُسرى به، وقد عدَّها غير ابن حبيب فى الشامى، والأول أحسن مما ذكره.

---

(1) (مسند أحمد): 3/ 33، حديث رقم (8426)، من مسند أبى هريرة، ونحوه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير حديث رقم (8539).

(2) (سنن ابن ماجة): 762، كتاب التجارات، باب (58) التغليظ فى الربا، حديث رقم (2273)، قال فى (مجمع الزوائد): فى إسناده على بن زيد بن جدعان. وهو ضعيف.

(3) الزخرف: 45.

قال الحافظ ابن كثير فى قوله تعالى: ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون** ﴾ أى جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، كقوله جلت عظمته: ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾. قال مجاهد فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا، وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدى وابن مسعود رضى الله عنه، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة والله أعلم. وقال عبد الرحمن بن زيد أسلم: وأسألهم ليلة الإسراء فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له، واختار ابن جرير الأول والله أعلم. (تفسير ابن كثير): 4/ 139، وما بين الحاصرتين سقط من (ج) وأثبتناه من (خ).

فصل جامع فى معراج النبى ﷺ

قال الله جلَّ جلاله: ﴿ **والنجم إذا هوى* ما ضل صاحبكم وما غوى* وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى* علمه شديد القوى* ذو مرة فاستوى* وهو بالأفق الأعلى* ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى* ما كذب الفؤاد ما رأى* أفتمارونه على ما يرى* ولقد رآه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى* إذا يغشى السدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى* لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾(1).

قوله: ﴿ **والنجم إذا هوى** ﴾، قسم، ﴿ **هوى** ﴾، سقط، ﴿ **ما ضلَّ** ﴾، ما حاد عن الصواب، «صاحبكم»، هو محمد ﷺ، ﴿ **وما غوى** ﴾ ما تعلم بالباطل، ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾، أى وما يتقول من هواه وشهوته، ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ أى ما القرآن إلا وحى من الله يوحى إليه.

﴿ **علمه شديد القوى** ﴾، أى جبريل، ذو شدة وقوة، ﴿ **ذو مرة** ﴾، أى ذو إحكام للشىء، ﴿ **فاستوى** ﴾، يعنى جبريل، وهو يعنى محمداً ﷺ، أى أيهما استويا بالأفق الأعلى ليلة الإسراء، وقيل: استوى جبريل وهو بالأفق الأعلى، على صورته التى خلقه الله عليها، ﴿ **ثم دنى فتدلى** ﴾، أى تدلى [فدنى]، لأن التدلى سبب الدنوَّ، وقيل: تدلى [للدنو]، ودنا [للتدلى]، وقيل: دنا، أى قرب، فتدلى، زاد فى القرب.

والمشار إليه، قيل: هو الله، كما فى الصحيح، من حديث أنس [رضى

(1) النجم (1 - 18).

الله تعالى عنه] قال : دنا الجبارُ ربٌّ العزة، فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى . وهو اختيار مقاتل، ورواه أبو سلمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] .

وقيل: المشار إليه، هو محمد ﷺ، دنا من ربه تعالى، قاله ابن عباس [والقرطبى] وقيل: ثم دنا محمد من ساق العرش، فتدلى، أى جاوز الحجاب والسرادقات، وهو قائم بإذن الله، كالمتعلق بالشىء، لا تثبت قدمه على مكان، وهذا قول الحسين [بن] الفضل، وقيل: تدلى، [أى] هوى للسجود .

وقيل: المشار إليه، هو جبريل عليه السلام، أى دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، حين كان رسول الله ﷺ بحراء، فطلع له جبريل من المشرق، فسدّ الأفق إلى المغرب، فخَّر رسول ﷺ مغشيًا عليه، فنزل جبريل وتدلى [إليه]، حتى قُرب لإلقاء الوحى، فكان قُربه منه قاب قوسين، أى لم يماسه، وهذا قول الحسن وقتادة .

وقيل: دنا جبريل ليلة الإسراء من [النبى] ﷺ، وتدلى أى دنا، فإنّ دنا وتدلى بمعنى واحد، وقيل: دنا جبريل من ربه تعالى، [فكان] منه قاب قوسين أو أدنى . قاله مجاهد، والقاب، قيل: هو القدر، وقيل: ما بين مقبض القوس والسّيَة، ولكل قوس قابان، وسية القوس: ما انعطف من طرفها، يعنى قدر طول قوسين . قاله قتادة .

وقيل: بحيث الوتر من القوس . قاله مجاهد، وقيل: هو من مقبض القوس إلى طرفيها . قاله عبد الوارث، وقيل: ما بين الوتر إلى كبد القوس . قاله عكرمة، وقيل: كان بينهما، أى بين محمد وجبريل عليهما السلام، قدر ذراعين . قاله عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، والسّدى ﴿ أو **أدنى** ﴾ أى أقرب .

﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ أى أوحى الله إلى محمد ﷺ كفاحًا ليلة المعراج، وقيل: أوحى جبريل إلى محمد ما أوحى الله إليه. رواه عطاء عن ابن عباس، وقيل: أوحى الله إلى جبريل ما يوحيه. روى ذلك عن عائشة، والحسن، وقتادة.

﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ يعنى ما أنكر فؤاده ما رأته عيناه، وقيل: ما أوهمه فؤاده أنه رأى ولم ير، بل صدقه الفؤاد، وهذا إخبار عن رؤية النبى ﷺ ربه تعالى. قاله ابن عباس، وأنس، والحسن، وعكرمة.

قال ابن عباس: رآه تعالى بفؤاده، ولم يره بعينه، وعن أنس، وعكرمة، والحسن، أنه رآه بعينه، وقال السّدى: رآه فى المنام، وعن أبى العالية، أنه رأى جلال الله وعظمته، وعن أبى ذرّ، وأبى سعيد الخدرىّ، ومجاهد، أنه رأى نوراً، وعن ابن مسعود، وعائشة رضى الله عنها، أنه رأى جبريل على صورته التى خلق عليها.

﴿ **أفتمارونه على ما يرى** ﴾؟ أى أفتجحدونه؟ قاله أبو عبيدة، وعن المبّرد، أفتدفعونه عما يرى؟ وقيل: أفتجادلونه وتدافعونه؟

﴿ لقد رآه نزلة أخرى ﴾، يعنى رأى محمد ربَّه عزَّ وجل، فى قول ابن عباس وكعب، وقيل: رأى جبريل مرة أخرى، فسماها نزلة على الاستعارة، وذلك أن رسول الله ﷺ رأى جبريل على صورته التى خُلق عليها مرتين: مرة بالأفق، ومرة عند سدرة المنتهى فى السماء. وهذا قول عائشة وغيرها، اختاره الثعلبى.

وقال الواحدى: معنى [قوله:] ﴿ **نزلة أخرى** ﴾: يعود إلى النبى ﷺ، فقد كانت له عرجات فى تلك الليلة، لاستحطاط عدد الصلوات، فكل عرجة نزلة عند سدرة المنتهى، ففى حديث مالك بن صعصعة -المتقدم

ذكره- أنها فوق السماء السابعة، وقال مقاتل: هي عن يمين العرش، وتقدم في حديث مسلم، أنها في السماء السادسة، وبه قال الضحاك.

وعن هلال بن يساف: سأل ابن عباس كعبًا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش، على رءوس حَمَلة العرش، إليها ينتهى علم الخلائق، وعن مقاتل: هى طوبى التى ذكرها الله فى سورة الرعد [وهى قوله تعالى: ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب** ﴾].

﴿ **عندها جنة المأوى** ﴾، أى عند سدرة المنتهى، [قال مجاهد: ﴿ **سدرة المنتهى** ﴾، قال: أقصى الدنيا، وأدنى الآخرة، وعندها يجتمع الليل والنهار، وقال زهير بن محمد: المنتهى، قد انتهى علم الخلائق دونها][1].

﴿ **إذ يغشى السدرة ما يغشى** ﴾، ففى حديث مسلم قال: غشيها فراش من ذهب، وفى حديث مالك بن صعصعة قال: لما غشيها من أمر الله ما غشيها، تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها، وعن الحسن ومقاتل: تغشاها الملائكة أمثال الغربان، حيث يقعن على الشجر، وعن الضحاك: غشيها نور العزة جل جلاله.

﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾، أى بصر محمد ﷺ، ما عدل يمينًا ولا شمالاً، ولا زاد ولا جاوز ما أُمر بالنظر إليه، وعن ابن عباس رضى الله [عنهما]: ما مال بصره عن رؤية الآيات خوفًا وجزعًا، بل قوى على النظر فى الآيات.

﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾، أى رأى من آيات ربه الآية الكبرى، يعنى أنه رأى رفرفًا أخضر من الجنة قد سدّ الأفق. قاله ابن مسعود، وقيل

---

(١) زيادة للسياق، الرعد: ٢٩.

أنه رأى جبريل عليه السلام، فى صورته التى يكون عليها فى السموات. قاله ابن زيد، وابن عباس، فى رواية أبى صالح ومقاتل بن حيان.

وقيل: رأى سدرة المنتهى. قاله الضحاك، وقيل: رأى ما غشى السدرة من فراش الذهب. قاله عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وقيل: رأى [المعراج] وما مرّ به فى مَسْراه وعوده. قاله محمد بن جرير الطبرى، وقيل: ما رآه حين نامت عيناه ونظر فؤاده. وهذا قول حكى عن الضحاك، وقيل من التبعيض، أى رأى بعض الآيات، وقيل: هى زائدة، أى رأى آيات ربه الكبرى، وقيل: فيه تقديم وتأخير، أى رأى الكبرى من آيات ربه عزَّ وجلَّ.

[و] خرّج مسلم من حديث سليمان بن فيروز الشيبانى، قال: سألت زرَّ بن حبيش عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾، قال: أخبرنى ابن مسعود أن النبى رأى جبريل عليه السلام، له ستمائة جناح(١).

وخرجه البخارى، ولفظه، قال: سألت زراً عن قوله: ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ قال: أخبرنا عبد الله، أنه محمد رأى جبريل له ست مائة جناح. ذكره فى كتاب التفسير(٢)، وفى كتاب بدء الخلق(٣)، وخرجه النسائى أيضا.

ولمسلم عن الشيبانى عن زر، عن عبد الله ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾،

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ٦، كتاب الإيمان باب (٧٦) فى ذكر سدرة المنتهى حديث رقم (٢٨٠).

(٢) (فتح البارى): ٨/ ٧٨٤، كتاب التفسير، تفسير سورة النجم، ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾، حديث رقم (٤٨٥٦)، (٤٨٥٧)، وفى باب ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾.

(٣) (فتح البارى): ٦/ ٣٨٥، كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم: آمين، حديث رقم ٣٢٣٢.

قال: رأى جبريل عليه السلام، له ست مائة جناح[1].

وفى حديث آخر له، عن سليمان الشيبانى، سمع زر بن حبيش، عن عبد الله قال: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾، قال رأى جبريل فى صورته، له ست مائة جناح[2]. وذكره النسائى.

وللبخارى من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾، قال: رأى رفرفًا أخضر قد سدَّ الأفق[3]. ذكره فى التفسير. وفى كتاب بدء الخلق، ولفظه: رأى رفرفًا خُضرًا سدَّ أفق السماء[4].

ولمسلم من حديث عطاء، عن أبى هريرة، ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ قال: رأى جبريل [عليه السلام][5].

وله أيضا عن عطاء، عن ابن عباس رضى الله [عنهما] قال: رآه بقلبه[6]. ولمسلم والنسائى من حديث الأعمش، عن زياد بن الحصين أبى جهمة، عن أبى العالية، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، ﴿**ما كذب**

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ٦، كتاب الإيمان، باب (٧٦) فى ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (٢٨١).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٨٢).

(٣) (فتح البارى): ٨/ ٧٨٦، كتاب التفسير، نفسير سورة (٥٣)، باب ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾، حديث رقم (٤٨٥٨).

(٤) (المرجع السابق): ٦/ ٣٨٥، كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم: آمين، حديث رقم (٣٢٣٣).

(٥) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ٧، كتاب الإيمان، باب (٧٧) معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾، وهل رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ حديث رقم (٢٨٣).

(٦) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٨٤).

الفؤاد ما رأى* ولقد رآه نزلة أخرى﴾، قال رآه بفؤاده مرتين[١].

وللبخارى من حديث ابن عون، قال: أنبأنا القاسم عن عائشة رضى عنها قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم [الفرية]، ولكن قد رأى جبريل فى صورته وخلقْه ساداً ما بين الأفق[٢]. ذكره فى بدء الخلق.

وللبخارى[٣] ومسلم[٤] من حديث زكريا، عن أبى الأشوع، عن عامر، عن مسروق قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: فأين قوله: **﴿ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى﴾**؟ قالت: ذاك جبريل، كان يأتيه فى صورة الرجل وإنما أتاه هذه المرة، فى صورته التى هى صورته، فسدَّ الأفق. ذكره البخارى فى كتاب بدء الخلق.

ولمسلم[٥] [والترمذى][٦]، من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن علية، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة رضى الله عنها، فقالت: [يا أبا] عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن، فقد أعظم على الله الفرية، فقلت: ماهن؟ قالت: من زعم أن محمد

---

(١) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٨٥).

(٢) (فتح البارى): ٦/ ٣٨٥، كتاب بدء الخلق، باب (٧) إذا قال أحدكم: آمين حديث رقم (٣٢٣٤).

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٣٢٣٥).

(٣) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٤، كتاب الإيمان، باب (٧٧) معنى قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾** وهل رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ حديث رقم (٢٩٠).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٠ - ١٢، كتاب الإيمان، باب (٧٧) معنى قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾** وهل رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء، حديث رقم (٢٨٧).

(٥) (سنن الترمذى): ٥/ ٢٤٥ - ٢٤٦، كتاب التفسير، باب (٧) ومن سورة الأنعام، حديث رقم (٣٠٦٨) وفى آخره، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ومسروق بن الأجدع يكنى أبا عائشة، وهو مسروق بن عبد الرحمن، وكذا كان اسمه فى الديوان.

(٦) (التكوير: ٢٣.

رأى ربه، فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنتُ متكئا فجلست، فقلت: [يا أم] المؤمنين! أنظرينى، ولا تعجلينى، ألم يقل الله عزّ وجلّ: ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾؟ ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾؟ فقالت: إنا أول هذه الأمة، سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التى خُلق عليها، غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أن الله عزّ وجل يقول: ﴿ **لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾[1]؟ أو لم تسمع أن الله عزَّ وجلّ يقول: ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علىّ حكيم** ﴾[2]؟.

قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله عزَّ وجلّ يقول: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾[3].

قالت: ومن زعم أنه يُخبر بما يكون فى غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ **قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾[4]. اللفظ لمسلم. وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، ذكره فى تفسير سورة الأنعام، وذكره النسائى فى تفسير [سورة] النجم.

وذكر مسلم[5] بعقبه، حديث محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب، حدثنا داود بهذا الإسناد نحو حديث ابن علية، وزاد، قالت: ولو

---

(١) الأنعام: ١٠٣. (٢) الشورى: ٥١.

(٣) المائدة: ٦٧. (٤) النحل: ٦٥.

(٥) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٣ - ١٤، كتاب (الإيمان)، باب (٧٧) معنى قول الله عز وجلّ: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ وهل رأى النبى ﷺ ربه ليلة الإسراء، حديث رقم (٢٨٨).

كان محمد كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه، لكتم هذه الآية: ﴿ **وإذا تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه** ﴾[1].

وخرّجه النسائى بهذا الإسناد الأخير فى كتاب التفسير كما قال مسلم، وخرّج أيضًا من حديث ابن عليه، عن الشعبى، عن مسروق، قال: سألتُ عائشة رضى الله عنها، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: سبحان الله! لقد قفَّ شعرى لما قلت.. وساق الحديث بقصته، وحديث داود أتم وأطول[2].

وخرّجه البخارى من حديث وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عامرة عن مسروق، قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: [يا أمتاه]! هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعرى مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثك بهن فقد كذب، من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾، ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب** ﴾.

ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا** ﴾، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك** ﴾، ولكن رأى جبريل فى صورته مرتين. ذكره فى تفسير سورة النجم[3]. وفى كتاب

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٨٩).

(٣) (فتح البارى): ٨/ ٧٨٠، كتاب التفسير، تفسير سورة (٥٣) سورة النجم، باب (١) حديث رقم (٤٨٥٥).

قولها: «قف شعرى» أى قام من الفزع لما حصل من هيبة الله واستحالة وقوع ذلك، قال النضر بن شميل: القف بفتح القاف وتشديد الفاء كالقشعريرة، وأصله التقبض والاجتماع، لأن الجلد =

التوحيد[1]، فى باب قول الله عزَّ وجلّ: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك**﴾ وفى تفسير سورة المائدة[2]، وفى أول كتاب التوحيد[3]، فى باب قول الله: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً**﴾، لكن باختصار.

وخرج مسلم من حديث وكيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عن أبى ذر رضى الله عنه، [قال]: سألتُ رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال نور أنى آراه[4].

ومن حديث همام عن قتادة، عن عبد الله بن شقيقٍ قال: قلت لأبى ذر: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أى شيء كنت تسأله؟ قال: كنتُ أسأله: هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألتُ فقال: رأيتُ نوراً[5].

وخرجه الإمام أحمد بهذا السند، ولفظه، قُلت لأبى ذر، لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، قال: وما كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأى ربه؟ قال: فإنى قد سألته، فقال: رأيته نوراً أنى آراه. وقال: قال عفان: وبلغنى عن ابن هشام -يعنى معاذ- أنه رواه عن أبيه كما قال همام: قد رأيته[6].

= ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك (فتح البارى).

قولها: «أين أنت من ثلاث»؟ أى كيف يغيب فهمك عن هذه الثلاث، وكان ينبغى لك أن تكون مستحضرها، ومعتقداً كذب من يدعى وقوعها. (فتح البارى).

(١) فتح البارى): ١٣/ ٦١٥، كتاب التوحيد، باب (٤٦) قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾، حديث رقم (٧٥٣١).

(٢) (المرجع السابق): ٨/ ٣٤٩، كتاب التفسير، باب (٧) ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾، حديث رقم (٤٦١٢).

(٣) (المرجع السابق): ١٣/ ٤٤٧، كتاب التوحيد باب (٤) قول الله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً**﴾، حديث رقم (٧٣٨٠).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٥، كتاب الإيمان، باب (٧٨) قوله ﷺ نور أنى أراه، وفى قوله ﷺ: رأيت نوراً، حديث رقم (٢٩١).

(٥) المرجع السابق): حديث رقم (٢٩٢).

(٦) (مسند أحمد): ٦/ ٢١٥، حديث رقم (٢٠٩٨٧).

وله أيضًا من حديث الأعمش، عن عمرو [بن] مرة، عن أبى عبيدة، عن أبى موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله عزَّ وجلَّ لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور[1].

وفى رواية أبى بكر بن أبى شيبة، عن أبى معاوية، عن الأعمش: النار لو كشفته لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه[2].

ومن حديث جرير عن الأعمش بهذا الإسناد، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، ثم ذكر بمثل حديث أبى معاوية، ولم يذكر: من خلقه، وقال: حجابه النور[3].

وخرَّج البخارى من حديث سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**﴾[4]، قال: هى رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به، ﴿**والشجرة الملعونة فى القرآن**﴾[4]، قال: شجرة الزقوم[5].

---

(١) (مسند أحمد): ٥/ ٥٥٣، حديث رقم (١٩١٣٥).

(٢) (مسلم بشرح النووى): ٣/ ١٦ - ١٧، كتاب الإيمان، باب (٧٩) فى قوله ﷺ: إن الله لا ينام، وفى قوله: حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، حديث رقم (٢٩٣).

(٣) (المرجع السابق): حديث رقم (٢٩٤)، وأخرجه الإمام أحمد فى (المسند): ٥/ ٥٣٦، حديث رقم (١٩٠٣٦).

(٤) الإسراء: ٦٠.

(٥) (فتح البارى): ٨/ ٥٠٨، كتاب التفسير باب (٩) ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**﴾، حديث رقم (٤٧١٦).

قوله: «والشجرة المعلونة فى القرآن قال: شجرة الزقوم» هذا هو الصحيح، ذكره ابن أبى حاتم عن بضعة عشر نفسًا من التابعين، ثم روى من حديث عبد الله بن عمرو أن الشجرة المعلونة: الحكم بن أبى العاص وولده، وإسناده ضعيف. =

وخرَّج الترمذى من حديث يحيى بن كثير العنبرى، قال: حدثنا مسلم ابن جعفر، عن الحكم، عن إبان، عن عكرمة، عن ابن عباس [رضى الله عنهما] قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [وهو اللطيف الخبير]** ﴾؟ قال: ويحك! ذاك إذا تجلى بنوره، الذى هو نوره [وقال: أُرِيَهُ مرتين][1]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب[2].

وقال يونس بن بكير: حدثنا عبد الله بن لهيعة، قال: حدثنى محمد بن عبد الرحمن، عن عروة عن عائشة، رضى الله عنهما، أن نبى الله ﷺ، كان أول شأنه يرى فى المنام، فكان أول ما رأى، جبريلَ بأجياد، أنه خرج لبعض حاجته، فصرخ به: يا محمد! يا محمد! فنظر يمينًا وشمالاً، فلم ير شيئًا، ثم نظر فلم ير شيئًا، فرفع بصره، فإذا هو يراه ثانيًا واضعًا إحدى رجليه على الأخرى، على أفق السماء، فقال: يا محمد! جبريل، يُسكنه، فهرب محمد ﷺ حتى دخل فى الناس، فنظر، فلم يَرَ شيئًا، ثم خرج من الناس، فنظر فرآه، فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * [وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى]** ﴾.

= وأما الزقوم، فقال أبو حنيفة الدينورى فى (كتاب النبات): الزقوم شجرة غبراء تنبت فى السهل، صغيرة الورق مدورته، لا شوك لها، زفرة، ولها نور أبيض تجرسه النمل، ورؤوسها قباح جداً.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، قال: قال المشركون: يخبرنا محمد أن فى النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فكان ذلك فتنة لهم.

وقال السهيلى: الزقوم فعول من الزقم، وهو اللقم الشديد، وفى لغة تميمية: كل طعام يُتقيأ منه يقال له: زقوم، وقيل: هو كل طعام ثقيل. (فتح البارى).

(١) فى (الأصلين): «وقد رأى ربه مرتين»، وما أثبتناه من (سنن الترمذى).

(٢) (سنن الترمذى): ٥ / ٣٨٦، كتاب تفسير القرآن، باب (٥٣) تفسير سورة النجم، حديث رقم (٣٢٧٩).

وقد اختلف سلف الأمة وخلفها، فى رؤية رسول الله ﷺ ربه تعالى ليلة الإسراء، بعد اتفاق جمهور أهل العلم، على أنه سبحانه وتعالى، يصح أن يُرى، وقالت المعتزلة والفلاسفة: لا يصح أن يُرى، وقالت الأشاعرة: يصح أن يُرى، واحتج من أثبت الرؤية بقوله تعالى: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾، وبقوله سبحانه: ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾، وبقوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ **قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى** ﴾.

ثم اختلف القائلون بجواز الرؤية، فذهب الأكثرون إلى جوازها فى الدنيا، ومنهم من خصَّها بالآخرة، وهو مذهب عائشة رضى الله عنها، ونقل عثمان بن سعيد الدارمى، إجماع الصحابة رضى الله عنهم على قول عائشة فى عدم وقوع رؤية النبى ﷺ، ربه تعالى ليلة الإسراء.

[وقد] اختلف القائلون بجواز الرؤية، فقالت [الكرامية] والمشبهة – خزاهم الله –: رؤيته كرؤية غيره، بارتسام، واتصال، ومواجهة. وقالت الأشاعرة: معناها أن تحصل لنا حالة فى الانكشاف والظهور، نسبتها إلى ذاته المخصوصة، كنسبة الحالة المسماة بالإبصار، والرؤية إلى هذه المرئيات.

فإذا تقرر ذلك فنقول: قد اختار إمام الأئمة محمد بن خزيمة، أن رسول الله ﷺ رآه سبحانه ببصره، وتبعه فى ذلك جماعة من المتأخرين، وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه: أنه رآه بفؤاده، كما مرَّ فى رواية مسلم، وأنكرت عائشة رضى الله عنها رؤية البصر، وإلى هذا مال جماعات من الأئمة قديمًا وحديثًا، اعتماداً على حديث أبى ذرّ واتباعًا لقول عائشة رضى الله عنها، وقالوا: وهذا مشهورٌ عنها، ولم يُعرف لها مخالف من الصحابة، إلاَّ مَا رُوى عن ابن عباس [رضى الله عنهما]، أنه رآه بفؤاده، ونحن نقول به. وما روى من ذلك من إثبات الرؤية بالبصر، فلا يصح شئ

من ذلك، لا مرفوعًا، ولا موقوفًا.

وقال القاضي عياض: اختلف السلف والخلف، هل رأى نبيُّنا ﷺ ربه ليلة [الإسراء]؟ فأنكرته عائشة [رضى الله عنها]، وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة، وهو المشهور عن ابن مسعود، وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين.

وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه، ومثله عن أبى ذر، وكعب، والحسن، وكان الحسن يحلف على ذلك، وحكى [مثله] عن ابن مسعود، وأبى هريرة، وأحمد بن حنبل، وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الأشعرى، وجماعة من أصحابه، أنه رآه، ووقف بعض مشايخنا فى هذا، وقال: ليس عليه دليل واضح، ولكنه جائز.

ورؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة، وسؤال موسى عليه السلام إياها، دليل على جوازها، إذ لا يجهل نبىٌّ ما يجوز أو يمتنع على ربه تعالى، وقد اختلفوا فى رؤية موسى عليه السلام ربه تعالى، وفى مقتضى الآية، ورؤية الجبل، جواب القاضى أبى بكر، ما يقتضى أنهما رأياه.

قال: وكذلك اختلفوا فى قوله: ﴿**ثم [دنا] فتدلى**﴾، والأكثرون على أن هذا الدنو والتدلى، مقسم بين جبريل والنبى ﷺ، أو مختص بأحدهما من الآخر، أو من السدرة المنتهى.

وذكر ابن عباس، والحسن، ومحمد بن كعب، وجعفر بن محمد، وغيرهم، أنه دُنوّ من النبى ﷺ إلى ربه تعالى، أو من الله تعالى، وعلى هذا القول، يكون الدنوّ والتدلى منا ليس على وجهه، بل كما قال جعفر بن محمد الصادق: الدنوّ من الله تعالى، لا حدّ له، ومن العباد بالحدود، فيكون معنى دون النبى ﷺ من ربه سبحانه وتعالى، وقربه منه، ظهور

عظيم منزلته [لديه]، وإشراق أنوار معرفته عليه، [وإطلاقه] من غيبه، وأسرار ملكوته، على ما لم يطلع سواه عليه.

والدنوّ من الله تعالى، لَهُوَ إظهار ذلك له، وعظيم يده، وفضله العظيم لديه، ويكون قوله تعالى: ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾، على هذا عبارة عن لطف المحل، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة، من نبينا [ﷺ]، ومن الله تعالى، إجابة الرغبة، وإبانة المنزلة، ونتناول فى ذلك ما يُتناول فى قوله ﷺ عن ربه تعالى: من تقرب منى شبرًا، تقربتُ منه ذراعًا... الحديث.

قال الشيخ محيى الدين أبو زكريا، يحيى النووى، رحمه الله: وأما صاحب التحرير، فإنه اختار إثبات الرؤية، قال: والحجج فى هذه المسألة، وإن كانت كثيرة، لكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس رضى الله عنه: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ . وعن عكرمة، سئل ابن عباس: هل رأى محمد ﷺ [ربه]؟ قال: نعم.

وقد روى بإسناد لا بأس به، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس رضى الله عنه، قال: رأى محمد ﷺ ربه. وكان الحسن يحلف: لقد رأى محمد ﷺ ربه. والأصل فى الباب، حديث ابن عباس حبر الأمة، والمرجوع إليه فى المعضلات، وقد راجعه ابن عمر رضى الله [عنهما] فى هذه المسألة [وقد سأله:] هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فأخبره أنه رآه، ولا يقدح فى هذا حديث عائشة رضى الله عنها، لأن عائشة [رضى الله عنها]، لم تخبر أنّها سمعت النبى ﷺ يقول: لم أر ربى، وإنما ذكرت ما ذكرت، متأولة لقول الله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾ والصحابى إذا قال قولاً وخالفه غيره، لم يكن قوله حجة، وإذا صحَّت

الروايات عن ابن عباس فى إثبات الرؤية، وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يُدرك بالعقل، ويؤخذ بالظن، وإنما تُلقى بالسماع، ولا يستجيزُ أحد أن يظن بابن عباس، أنه تكلم فى هذه المسألة بالظن والاجتهاد.

وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: عائشة ليست عندنا بأعلم من ابن عباس، ثم إن ابن عباس أثبت شيئًا نفاه غيره، والمثبِتُ مقدم على النافى.

قال النووى: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء، أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعينى رأسه ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، إثبات هذا لا يأخذونه بالسماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغى أن يُتَشكَّكَ فيه، ثم إن عائشة رضى الله عنها، لم تنفِ الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ، ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات، وسنوضح الجواب عنها.

فأما احتجاج عائشة [رضى الله عنها] بقوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾، فجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة، والله تعالى لا يحاط به، وإذا ورد النصّ بنفى الإحاطة، لا يلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة، وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى، لا حاجة إليها مع ما ذكرناه، فإنه فى نهاية من الحُسن مع اختصاره.

وأما احتجاجها بقوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علىّ قدير**﴾، فالجواب عنه من أوجه:

أحدها: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حالة الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام.

الثانى: أنه عام، مخصوص بما تقدم من الأدلة.

الثالث: ما قاله بعض العلماء: أن المراد بالوحى، الكلام من غير واسطة، وهذا الذى قاله هذا القائل، وإن كان محتملاً، ولكن الجمهور على أن المراد بالوحى هنا، الإلهام والرؤية فى المنام، وكلاهما سُمّى وحيًا.

وأما قوله تعالى: ﴿**أو من وراء حجاب**﴾، فقال الواحدىّ وغيره: معناه غير مجاهر لهم بالكلام، بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه، وليس المراد أن هناك حجاب يفصل موضعًا عن موضع، ويدل على تحديد المحجوب، فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب، حيث لم ير المتكلم، والله أعلم. انتهى.

قال كاتبه - [عفى الله عنه] -: قد تَحصَّل مما تقدم أن فى المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه رآه ببصره وعينى رأسه، وهو قول أنس بن مالك، وعكرمة، والربيع، وحكاه بعضهم عن عبد الله بن مسعود، وهو المشهور عن عبد الله ابن عبد الله بن عباس، وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم. وحكى النقاش عن الإمام أبى عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه - رآه حتى انقطع نفسه، يعنى نفس أحمد بن حنبل - وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعرى، وجماعة من المتكلمين، أنه رأى الله سبحانه ببصره، وعينى رأسه.

الثانى: أنه رآه بفؤاده وقلبه لا بعينه، وقد روى ذلك عن عبد الله بن عباس، وأبى ذر، وإبراهيم التيمى، وأبى العالية، والربيع بن أنس، وحُكى عن عكرمة، وقاله أحمد بن حنبل، قال: رآه بقلبه، وجَبُن عن القول

برؤيته تعالى فى الدنيا بالأبصار، وعن الإمام مالك بن أنس قال: لم يُرَ فى الدنيا لأنه باق، ولا يُرى الباقى بالفانى، فإذا كان فى الآخرة، رزقوا أبصاراً باقية، رأوا الباقى بالباقى.

قال القاضى عياض: وهذا الكلام حسن مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة، إلا من حيث ضعف القوة، فإذا قوَّى الله تعالى من يشاء من عباده، وأقدره على القيام بأعباء الرؤية، لم يمتنع فى حقه.

وقال القاسم أبو عاصم، محمد بن أحمد العبادىّ، فى قول ابن عباس وغيره، رآه بقلبه: وعلى هذا رأى ربه رؤية صحيحة، وهى أن الله تعالى جعل بصره فى فؤاده، وخلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة، كما ترى العين.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: ومعنى الآية - يعنى قوله: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ - أن الفؤاد رأى شيئًا فصدق فيه ما رأى، أى ما كذب الفؤاد مرئيه، وقرأ أبو عامر: ﴿**ما كذَّب**﴾ بالتشديد، قال المبرد: معناه أنه رأى شيئًا فقبله.

قال الواحدى: وهذا الذى قاله المبرد على أن الرؤية للفؤاد، فإن جعلها للبصر فظاهر، أى ما كذَّب الفؤاد ما رأى البصر، والله أعلم.

الثالث: أنه إنما رأى ليلة الإسراء جبريل، ولم ير رب العزة تعالى، وهو مذهب عائشة، وعبد الله بن مسعود، ويروى عن أبى هريرة، وأبى ذر، رضى الله عنهم.

فظهر مما تقدم، أنه ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء على صورته، وكان قد رآه قبل ذلك فى ابتداء الوحى، منهبطًا من السماء إلى الأرض، على الصورة التى خُلق عليها، وهو المعنىّ بقوله: ﴿**علمه شديد**

القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم [دنا] فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾، فالصحيح من قول المفسرين: أن المتدلى فى هذه الآية، هو جبريل، كما أخرجاه فى الصحيحين عن عائشة، أنها سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: [ذلك] جبريل، فقد قطع هذا الحديث النزاع و[أزاح] الإشكال، [ولله الحمد].

* * *

فصل فى كلام رسول الله ﷺ

لله عَزَّ وجلَّ ليلة الإسراء

اعلم أن الإله سبحانه وتعالى متكلم، دلّ على ذلك الكتاب و[السنة]، وإجماع الأمة، فالمنكرُ كافرٌ، وكلامه معلوم لكل عاقل ذى قلب سليم، والكيف مجهول، لا يعلمه إلا من سمعه منه، وغيرهم لا برهان لهم به، إن يتبعون إلا الظن.

وقالت الأشاعرة(١): كلامه معنى واحد، قائم بذاته، مغاير لعلمه وإرادته، وهو طلب فعل، أو طلب ترك، أو الحكم بنفى، أو إثبات.

وقالت المعتزلة(١): إذا أراد الله شيئًا، أو كرهه، أو حكم به، خلق الأصوات المخصوصة، فى جسم من الأجسام، التى لا يصح أن تتصف بالكلام، لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مريداً لذاك الشئ، أو كارهًا له، أو حاكمًا به، بنفى أو إثبات، وكلامه على هذا، هو خلقه لتلك الأصوات، إلا أن الخلق عندهم نفس المخلوق، فيكون كلامه إذن: هو تلك الأصوات، فلهذا قالوا بأن كلام [الله تعالى] مخلوقٌ، لأن تلك الأصوات مخلوقة، ونفوا أن يقوم بذاته طلب أو حكم.

وقالت الكرامية(١) ومن تبعهم: كلامه لفظ قائم بذاته، وهذا معنى كلام الإمام أحمد رحمه الله، قال الإمام أحمد فى رواية يعقوب والمرزوى: تكلم الله بصوت، وذكر الحديث: إذا تكلم الله بالوحى، سمع صوته أهل السماء، فالأشاعرة والمعتزلة، متفقون على أن اللفظ لا يقوم بذاته تعالى،

---

(١) من الفِرق الإسلامية.

وأنه مخلوق، واختلفوا فى قيام المعنى به، فنفاه المعتزلة كدأبهم فى نفى الصفات، وأثبته الأشاعرة.

واتفق الأشاعرة والكرامية، على أن الكلام يجب أن يقوم بذاته عزَّ وجل، واختلفوا فى ذلك الكلام، فقال الأشاعرة: هو المعنى، وقال الكرامية: هو اللفظ، واتفق الكرامية والمعتزلة على أن كلامه سبحانه يجب أن يكون أصواتًا وحروفًا، واختلفوا بعد ذلك، فقال الكرامية: هو قائم به، وقالت المعتزلة: هو مخلوق فى غيره، ولكل فريق من هذه الفرق الثلاثة احتجاجات، ورد ذكرها فى غير هذا الكتاب، فإذا تقرر ذلك، فاعلم أن السلف والخلف فى أن نبينا محمداً ﷺ، هل كلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء بغير واسطة؟ أم لا؟

فحكى عن الشيخ أبى حسن الأشعرى - رحمه الله - وقوم من المتكلمين، أنه كلَّمه، وعزا بعضهم هذا إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وإلى عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس رضى الله [عنهم]، ذكره القاضى عياض.

وأشهر قولى أهل الحديث أنه كلمه ربه تعالى، فسمع خطابه، واستدلوا على ذلك بقوله [فى] حديث الإسراء، فنوديت: أن قد أتممتُ فريضتى وخففتُ عن عبادى، يا محمد، إنه لا يبدّل القول لدى، ،هى خمس، وهى خمسون، قالوا: فمثل هذا لا يقوله إلا رب العالمين، كما فى قوله لموسى: ﴿**إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى**﴾[1].

قال علماء السلف وأئمتهم: هذا من أدلّ الدلائل على أن كلام الله غير مخلوق، لأن هذا لا يقوم بذات مخلوقة، وقال جماعة منهم: من زعم أن قوله تعالى: ﴿**إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى**﴾، مخلوق، فهو كافر، لأنه

---

(١) طه: ١٤.

بزعمه يكون ذلك المحل المخلوق، قد دعا موسى عليه السلام إلى عبادته، واستدلوا أيضًا بقوله فى الحديث الذى خرَّجه أبو بكر البزار، من طريق على رضى الله عنه، وقد تقدم ذكره فى ذكر من كان يؤذن لرسول الله ﷺ، وفيه: [إذا] خرج ملك من الحجاب، وأنه أذن، فكان يجاب من وراء الحجاب بقوله: صدق عبدى، أنا أكبر، وبقوله: صدقت، أنا لا إله إلا أنا، وبقوله: أنا أرسلتُ محمداً، وظاهره يقتضى أنه عليه السلام، سمع كلام الله تعالى، ولكن من وراء حجاب، كما قال تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب**﴾، أى وهو لا يراه، حجب بصره عن رؤيته.

وقال الأستاذ أبو إسحاق: اتفق أهل [الحق] على أن الله تعالى خلق فى موسى عليه السلام معنى من المعانى، أدرك به كلامه، و[به] كان اختصاصه فى سماعه، وأنه قادر على مثله، فى جميع خلقه، واختلفوا فى نبينا محمد ﷺ [هل سمع فى] ليلة المعراج كلام الله تعالى؟ وهل سمع جبريل [كلامه]؟ على قولين.

* * *

فصل فى سفر رسول الله ﷺ إلى الطائف

اعلم أن رسول الله ﷺ سافر - فيما حُفظ من أحواله - إلى الطائف مرتين؛ مرة قبل الهجرة، ومرة بعد الهجرة، فأما التى قبل الهجرة، فإنه خرج بعد موت عمه أبى طالب، وبعد موت زوجته خديجة بنت خويلد، بثلاثة أشهر، ومعه زيد بن حارثة، فى شوال سنة عشر من المبعث - فى قول الواقدى - ليدعو ثقيفًا إلى نُصرته، فأقام بالطائف عشرة أيام، وقيل: شهراً.

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب، نالتْ قريش من رسول الله ﷺ من الأذى، ما لم تكن تناله منه فى حياة عمه أبى طالب، فخرج إلى الطائف يلتمس من ثقيف النُّصْرَةَ والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله [عزَّ وجلَّ] فخرج إليهم وحده.

قال: فحدثنى يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظى، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عَهِد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عُمير، ومسعود ابن عمرو بن عُمير، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقدة [بن] غِيَرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش، من بنى جُمَح، فجلس إليهم [رسول الله ﷺ][1]، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نُصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال أحدهم - وهو يمرط[2] ثياب الكعبة - : إن كان الله أرسلك! وقال

---

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٢) يمرط: ينزع ويرمى.

الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغى لى أن أكلمك، فقام رسول الله ﷺ من عندهم، و[قد] يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذُكر لى - : إذا فعلتم ما فعلتم، فاكتموا عنى[1].

وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ ذلك قومه، فيذئرهم[2] ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، [وألجأوه][3] إلى حائط[4] لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعهد إلى ظل حَبَلةٍ[5] من عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف.

وقد لقى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لى - المرأة [التى][6] من بنى جُمح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟ فلما اطمأن، قال - فيما ذكر لى -: اللهم إليك [أشكو] ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت، رب المستضعفين، وأنت ربىّ، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى[7]؟ أو إلى عدوّ ملكته أمرى، إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بوجهك الذى أشرقت له

(١) (سيرة ابن هشام): ٢/ ٢٦٧.

(٢) يذئرهم: يثيرهم.

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٤) حائط: حديقة أو بستان.

(٥) حبلة: شجرة العنب.

(٦) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٧) تجهم فلانًا: أى استقبله بوجه قبيح.

الظلمات، وصُلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنزل بى غضبك، أو يحل علىّ سخطُك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

فلما رآه ابنا ربيعة – عتبة وشيبة – وما لقى، تحركت له رحمهما(١)، فدعَوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له: عَدَّاس، فقالا له: خُذ قِطفًا من هذا العنب، فضعه فى هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عدَّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عَدَّاس فى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال رسول الله ﷺ: ومن أهل أى البلاد أنت يا عَدَّاس؟ وما دينك؟ قال: نصرانىّ، وأنا رجل من أهل نِينَوَى، فقال له رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى؟ فقال له عَدَّاس: وما يدريكك ما يونس بن متى؟ قال: ذلك أخى كان نبيًا، وأنا نبى، قال: فأكبّ عَدَّاس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه، ويديه، و[قدميه](٢).

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك، فقد أفسد علياك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس، ما لك تقبل رأس هذا الرجل، ويديه، وقدميه؟! قال: يا سيدى! ما فى الأرض [شئ](٣) خير من هذا، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى، قال: ويحك ياعداس! لا يصرفنّك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة، حين يئس من

---

(١) الرحم: شرعًا، الصلة والقرابة.

(٢) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام)، وقال فى هامشها: فى قصة عداس غلام بنى ربيعة من فقه السنة: قبول هدية المشرك، وأن لا يتورع عن طعامه، وفيه تعجب عداس لمعرفة النبى ﷺ أخبار يونس ابن متى، وهو ﷺ أمىّ، وفى أمّة أمّية ﷺ.

(٣) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة(1)، قام من جوف الليل يصلى، فمرّ به النفر من الجن الذين ذكر الله تبارك وتعالى، وهم - فيما ذكر لى - سبعة نفر من جن نصيبين، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته، ولَّوْا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا، وأجابوا إلى ما سمعوا، فقصَّ الله خبرهم عليه [ﷺ](2)، فقال [تعالى](2): **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولَّوْا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أُنزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه ويهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾**(3).

وقال [تعالى](2): **﴿قل أوحىَّ أنه استمع نفر من الجن ......﴾**(4) إلى آخر القصة، من خبرهم فى هذه السورة(5)، وأما خروجه ﷺ إلى الطائف بعد الهجرة، فسيأتى فى فتح مكة إن شاء الله تعالى.

---

(1) نخلة: اسم وادى.

(2) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(3) الأحقاف: 29-31.

(4) الجن: أول سورة الجن.

(5) (سيرة ابن هشام): 2 : 266 - 269، سعى رسول الله ﷺ إلى الطائف، وموقف ثقيف منه، وشكواه إلى الله تعالى، وقصته مع عَدَّاس.

فصل فى خروج رسول الله ﷺ

إلى عُكاظ، ومجنّة، وذى المجاز

اعلم أنه كانت للعرب أسواق يجتمعون بها فى تجاراتهم، ويجتمع إليها سائر الناس، فإذا انقضت لا يصل إليها أحد، ولا يرجع منها أحد إلا بخفيه، وكانت أعظم هذه الأسواق [عشرة أسواق]، منها ما يقوم فى أشهر الحُرم، ثم لا يقوم إلى مثل ذلك من قابل، ومنها ما لا يقوم فى أشهر الحُرم ويقوم فى غيرها.

فمن الأسواق العشرة: عكاظ، فى أعلا نجد، قريب من عرفات، وكانت تقوم فى النصف من ذى القعدة، وكانت من أعظم أسواق العرب، وكانت قريش تنزلها، وهوازن، وغطفان، والأحابيش - وهم الحرث [من بنى][1] عبد مناة، وعَضَل، والمصطلق، وطوائف أفناء العرب، فإذا نزلوها فى نصف ذى القعدة، لا يبرحون حتى [يروا][1] هلال ذى الحجة، فإذا رَأَوْهُ انقشعت.

وكان قيامها فيما بين نخلة والطائف، بينها وبين الطائف عشرة أيام، وبها نخل وأموال لثقيف، ولم يكن فيها عشور[2] ولا خفارة[3]، وكانت فيها أشياء ليست فى شئ من أسواق العرب، كأن يوافى [بالأسرى][1]

---

(١) زيادة للسياق.

(٢) عَشَرَ القوم يعْشُرهم عُشراً بالضم، وعشوراً، وعشّرَهم: أخذ عُشر أموالهم، والعشّار: قابض العُشر. (لسان العرب): ٤ / ٥٧٠.

(٣) الخفير: المجير، فكل واحد منهم مجير لصاحبه، والاسم من ذلك كله الخُفْرة، والخُفارة: الأمان وخفير القوم: مُجيرهم الذى يكونوا فى ضمانه ماداموا فى بلاده. (المرجع السابق): ٢٥٣.

فيفادون بها، وكان بيعهم فى السرار، وإذا وجب البيع [وعند التاجر فيها ألف ممن يريد الشراء، ومن لا يريد أشركه فى الربح][(١)].

خرَّج البيهقىّ من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبى حمزة الثمالى، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس رضى الله [عنهما] قال: قدم وفد إياد على رسول الله ﷺ، فسألهم عن قُس بن ساعدة الإيادى فقالوا: هلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: لقد شهدتُه فى الموسم بعكاظ، وهو على جمل له أحمر، أو على ناقة حمراء، وهو ينادى فى الناس، فذكره[(٢)].

وقال جابر بن عبد الله: مكث رسول الله ﷺ عشر سنين يتتبّع الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنه، وفى [المواسم][(٣)]، ويقول: من يؤوينى؟ من ينصرنى؟

ومجنة سوق من أسواق العرب، بين عكاظ وذى المجاز، كانت بأسفل مكة، على بريد منها، وهى سوق لكنانة، وأرضها من أرض كنانة.

وخرَّج الدارقطنى من حديث ابن نمير، عن يزيد بن زياد بن أبى الجعد [قال][(٤)]: حدثنا أبو ضمرة جامع بن شداد، عن طارق بن عبد الله المحاربى، قال: رأيت رسول الله ﷺ مرتين؛ مرة بسوق ذى المجاز، وأنا فى تباعة لى - هكذا قال - أبيعها، فمرّ وعليه حلة حمراء، وهو ينادى

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (خ)، واستدركناه من (ج).

(٢) (دلائل البيهقى): ٢ / ١٠٢، حديث قُسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدىّ بن مالك، من بنى إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم فى الجاهلية، ويقال: إنه أول عربى خطب متوكئًا على سيف، أو عصا، وأول من قال فى كلامه: أما بعد، وكان يفد على قيصر الروم زائرًا فيعظمه، ويكرمه، وهو معدود فى المعمرين، طالت حياته، وأدركه النبى ﷺ قبل النبوة، ورآه فى عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يُحشر أمة واحدة، خطب الناس بعكاظ وبشرهم بمبعث النبى ﷺ، وحثهم على اتباعه، وذلك قبل البعثة.

(٣) زيادة للسياق.

(٤) زيادة للسياق من (سنن الدارقطنى).

[بأعلى] صوته: [يا أيها](١) الناس! قولوا: لا إله إلاَّ الله تُفلحوا، ورجل يتبعه بالحجارة، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: [يا أيها] الناس! لا تطيعوه فإنه كذاب، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا غلام [بنى](١) عبد المطلب، قلت: من هذا الذى يتبعه يرميه؟ قالوا: عمه عبد العُزَّى - وهو أبو لهب -.

فلما ظهر الإسلام، وقدم المدينة، أقبلنا فى ركب من الربذة، وجنوب الربذة، حتى نزلنا [قريبًا](١) من المدينة، ومعنا ظعينة لنا، فبينا نحن قعود، إذ أتانا رجل عليه ثوبان أبيضان، فسلَّم، فرددنا عليه، فقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من [الربذة](٢)، وجنوب الربذة، [قال: ومعنا](٢) جمل أحمر، قال: تبيعونى جملكم؟ قلنا نعم، قال: بكم؟ قلنا: بكذا و[كذا](٢) صاعًا من تمر، قال: فما استوضَعَنا شيئًا، وقال: قد أخَذْتُه.

ثم أخذ برأس الجمل حتى دخل المدينة، فتوارى عنا، فتلاومنا بيننا، وقلنا: أعطيتم جملكم من لا تعرفونه، فقالت الظعينة: لا تلاوموا، فقد رأيت وجه رجل ما كان ليحقركم، ما رأيت وجه رجل أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، فلما كان العشاء أتانا رجل فقال: السلام عليكم، أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، وأنه أمركم أن تأكلوا من هذا حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى تستوفوا.

قال: فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا حتى استوفينا، فلما كان من الغد دخلنا المدينة، فإذا رسول الله ﷺ قائم على المنبر، يخطب الناس وهو يقول: يد المعطى [العليا](٢)، وابدأ بمن تعول، أمَّك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك أدناك، فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله! هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلانًا فى الجاهلية، فخُذْ لنا بثأرنا، فرفع يديه

(١، ٢) زيادة للسياق من (سنن الدارقطنى).

حتى [رأينا][1] بياض إبطيه، فقال : ألا لا يجنى والد على ولده[2].
[وخرجه الحاكم وابن حبان][3].

[وذكر ابن سعد عن عبد الله بن عون، عن عمرو بن سعيد، أن أبا طالب قال : كنتُ بذى المجاز مع ابن أخى - يعنى النبى ﷺ - فأدركنى العطش فشكوتُ إليه، فقلت : يا ابن أخى! قد عطشت - وما قلتُ له ذاك وأنا أرى أن عنده شيئًا إلا الجزع - قال : فثنى وركه، ثم نزل فقال : يا عم! أعطشت؟ قال : قلت : نعم، قال : فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا [بالماء]، قال : اشرب يا عم، قال : فشربت][4].

[وروى عبد الله بن الأجْلح، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، عن العباس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : يا عباس، لا أرى لى عندك ولا عند بنى أبيك ممنعة، فهل أنت مخرجى إلى السوق غداً، حتى تعرفنى منازل قبائل الناس؟ قلتُ : نعم، قال : فخرجتُ به، فأتيتُ به سوق عكاظ - وكانت مجمع العرب - قال : فقلت هذه كندة ولفها، وهى أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بنى عامربن صعصعة، فاختر لنفسك، قال : فبدأ بكندة، فأتاهم، فقال : ممن [القوم]؟ فقالوا : من أهل اليمن، قال : من أى اليمن؟ قالوا : من كندة، قال : من أى كندة؟ قالوا : من بنى عمرو بن معاوية، قال : فهل لكم إلى خير؟ قالوا : وما هو؟ قال : تشهدون أن لا إله إلا الله، وتقيمون الصلاة،

---

(١) زيادة للسياق من (سنن الدارقطنى).

(٢) (سنن الدارقطنى) : ٣/ ٤٤-٤٥، كتاب البيوع، حديث رقم (١٨٦).

(٣) (الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان) : ٨/ ١٣٠-١٣١، كتاب الزكاة، باب (٩) صدقة التطوع، حديث رقم (٣٣٤١) وأخرجه النسائى فى الزكاة، باب أيتهما اليد العليا؟ عن يوسف بن عيسى، عن الفضل بن موسى بهذا الإسناد، وهو إسناد صحيح.

(٤) (طبقات ابن سعد) : ١/ ١٥٢-١٥٣، ذكر علامات النبوة فى رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه.

وتؤمنون بما جاء به من عند الله] .

[قال ابن الأجلح: وحدثني أبي عن أشياخ قومه، أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك، قال رسول الله ﷺ: الملك لله يجعله حيث شاء، قالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به. قال الكلبي في حديثه: فقال جئتنا لتصدنا عن آلهتنا، وتنابذ العرب، ألحق بقومك، فلا حاجة لنا بك] .

[فانصرف رسول الله ﷺ من عندهم، فأتى بكر بن وائل فقال: ممن القوم؟ قالوا: من بكر بن وائل، قال: من أي بكر بن وائل؟ قالوا: من بني قيس بن ثعلبة، قال: كيف [الغلبة]؟ قالوا: كثير مثل الثرى، قال: فكيف المنعة؟ قالوا: لا منعة، جاورنا فارس، فنحن لا نمنع منهم، ولا نجير عليهم، قال: فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم، أن تسبحوا الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمدوه ثلاثًا وثلاثين، وتكبروه ثلاثًا وثلاثين، قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا رسول الله ﷺ، ثم انطلق عنهم] .

[وكان عمه أبو لهب يتبعه، فيقول للناس: لا تسمعوا منه، ولا تقبلوا قوله، قال: ثم مرَّ أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم، هذا في الذروة منّا، أيَّ شأنه تسألوني؟ فأخبروه بما دعاهم، وقالوا: زعم أنه رسول الله، قال: لا ترفعوا لقوله رأسًا، فإنه مجنون، يهذي من أم رأسه، قالوا: لقد رأينا ذلك، حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر] .

[وروى يزيد بن هارون، عن جرير بن عثمان، عن سليم بن عامر، عن عمرو بن عبسة، قال: أتيتُ النبي ﷺ بعكاظ فقلت: من تبعك على هذا الأمر؟ قال: حرٌّ وعبد] .

[وروى أبو الزبير عن جابر، أن النبي ﷺ مكث سبع سنين، يتبع الحاج

في منازلهم في المواسم، بعكاظ ومجنة، يعرض عليهم الإسلام، وبعكاظ رأى رسول الله ﷺ قُسّ بن ساعدة، وحفظ كلامه].

[وخرج] الحاكم من حديث يونس بن بكير، حدثنا يزيد بن زياد بن أبي الجعد، عن جامع بن شداد، عن طارق [بن] عبد الله المحازي، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ مرتين(١)؛ رأيتُه بسوق ذى المجاز - وأنا في بياعة لي - فمرّ وعليه حلة حمراء، فسمعتُه يقول: يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة، قد أدمى كعبيه، وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوا هذا فإنه كذاب، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا غلام من بني عبد المطلب، قلت: من الرجل الذى يرجمه؟ قيل لي: هو عمه عبد العُزَّى أبو لهب.

فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربذة، ومعنا ظعينة لنا، حتى نزلنا قريبًا من المدينة، فبينا نحن قعود، إذ أتانا رجل عليه ثوبان، فسلم علينا وقال: من أين القوم؟ فقلنا: من الربذة، ومعنا جمل أحمر، فقال: تبيعونني الجمل؟ فقلنا: نعم، فقال: بكم؟ فقلنا: بكذا وكذا صاعًا من تمر، قال: أخذته وما استقصى، فأخذ بخطام الجمل، فذهب به حتى توارى في حيطان المدينة، فقال بعضنا لبعض: تعرفون الرجل؟ فلم يكن منا أحد يعرفه، فلام القوم بعضهم بعضًا، فقالوا: أتعطون جملكم من لا تعرفون؟ فقالت الظعينة: لا تلاوموا، فلقد رأيتُ وجه رجل لا يغدرنكم، ما رأيتُ شيئًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه.

فلما كان العشيّ، أتانا رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله، أنتم الذين جئتم من الربذة؟ قلنا: نعم، قال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى

---

(١) في (المستدرك): «مرَّ بسوق ذى المجاز».

تستوفوا، فأكلنا من التمر حتى شبعنا، واكتلنا حتى استوفينا.

ثم أتينا المدينة من الغد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر، فسمعته يقول: يد المعطى العليا، وابدأ بمن تعول، أمَّك وأباك، وأُختك وأخاك، وأدناك أدناك، وثمَّ رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسول الله! هؤلاء [بنو] ثعلبة بن يربوع، الذين قتلوا فلانًا فى الجاهلية، فخُذْ لنا ثأرنا، فرفع رسول الله [ﷺ] يديه حتى رأيتُ بياض إبطيه فقال: لا تجنى أم على ولد، لا تجنى أم على ولد، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد(١).

ولأبى نعيم من حديث محمد بن عثمان بن أبى شيبة قال: [حدثنا] محمد بن [مكاره، حدثنا] ابن أبى الزياد، قال: حدثنى أبى قال: رأيتُ رجلاً يقال له: ربيعة بن عباد، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يمر فى فجاج ذى المجاز وهو يقول: يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، قال: فما يؤذيه أحدٌ إلا أنهم يتبعونه، قال: فقالوا: هذا ابن عبد الله بن عبد المطلب، إلا رجلٌ أحول، وضئ، ذو غديرتين، يتبعه فى فجاج ذى المجاز وهو يقول: إنه صابئ كاذب، قال: فقلنا: من هذا؟ قالوا: عمه أبو لهب.

قال أبو نعيم: ورواه زيد بن أسلم، وسعيد بن خالد القارط، وحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فى آخرين، عن ربيعة(٢).

---

(١) (المستدرك): ٢/ ٦٦٨-٦٦٩، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث رقم (٤٢١٩) وقال الحافظ الذهبى فى (التلخيص): روى ابن أبى شيبة بعضه، وابن ماجة بعضه.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى (دلائل النبوة): ٢٩٢ - ٢٩٣ مطولا، وبسياقه أتم من هذه التى اختصرها المقريزى، وزاد أبو نعيم فى آخرها: قال الشيخ رحمة الله عليه: ومن القبائل التى سماهم الواقدى أنه عليه السلام عرض عليهم نفسه، ودعاهم إلى الإسلام: بنو عامر، وغسَّان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سُلَيم، وبنو عبس، وبنو نصر من هوازن، وثعلبة بن العكابة، وكِنْدة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عُذرة، وقيس بن الخطيم، وأبو الجيش أنس بن رافع [أو ابن رافع].

وأخرجه أيضًا ابن سعد فى (الطبقات): ١/ ٢١٦، ذكر دعاء رسول الله ﷺ قبائل العرب فى المواسم.

فصل فى ذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة

خرَّج البخارى فى آخر كتاب الكفالة، فى باب جوار أبى بكر فى عهد النبى ﷺ، وفى كتاب الهجرة، من حديث الليث عن عقيل، قال [ابن] شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير، أن عائشة [رضى الله عنها]، زوج النبى ﷺ قالت: لم أعقل أبوَىّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار، بكرة وعشية.

فلما ابتُلى المسلمون، خرج أبو بكر [رضى الله عنه] مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغماد، لقيه ابن الدَّغِنَّة – وهو سيد القارة – [فقال]: أين تريد يا أبا بكر؟ [فقال] أبو بكر: أَخْرَجَنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى، فقال ابن الدَّغِنّة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج؛ أنت تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكَلّ، وتُقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدَّغِنّة [فطاف ابن الدَّغِنّة][(1)] عشية فى أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، أتُخرجون رجلاً يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَلّ، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تُكذبْ [قريش][(1)] بجوار ابن الدَّغِنّة.

وقالوا لابن الدَّغِنّة: مُرْ أبا بكر فليعبد ربَّه فى داره، فليصلّ فيها، وليقرأ [ما شاء] ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدَّغِنّة لأبى بكر، فلبث أبو بكر [رضى الله عنه]، يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره.

---

(1) زيادة للسياق من (البخارى).

ثم بدا لأبى بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلى فيه، ويقرأ فيه القرآن، [فيتقذّف] عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رجلاً بكاءاً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدَّغنّة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أقام على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعلن ذلك، فسله أن يرد ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابنُ الدَّغِنّة أبا بكر [رضى الله عنه] فقال: قد علمت الذى عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تُرجع إلىَّ ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخفرتُ فى رجل عقدت له، فقال أبو بكر: إنى أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله، والنبى ﷺ يومئذ بمكة.

فقال النبى ﷺ [للمسلمين][1]: إن أُريتُ دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين، وهما الحرَّتان، فهاجر من هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهَّز أبو بكر قِبَل المدينة، فقال له ﷺ: على رسلك، فإنى أرجو أن يؤذن لى، فقال أبو بكر [رضى الله عنه]: وهل ترجو ذلك؟ بأبى أنت! قال: نعم، [فحبس] أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين [كانتا][1] عنده، ورق السمر - وهو الخبط

---

(١) زيادة للسياق من (البخارى).

– أربعة أشهر[١].

زاد فى كتاب الهجرة: قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة رضى الله عنها: فبينما نحن يومًا جلوس فى بيت أبى بكر فى نحو الظهيرة، وقال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا، فى ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر [فداءًا] له أبى وأمى، ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر؟! قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأُذن له، فدخل، فقال النبى ﷺ لأبى بكر: أَخْرج مَنْ عِنْدَك، فقال أبو بكر: إنما هُم أهلك، بأبى أنت وأمى يا رسول الله، قال: فإنى قد أُذن لى فى الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة، بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبو بكر، فخذ بأبى أنت يا رسول إحدى راحلتىّ هاتين، قال: رسول الله ﷺ: بالثمن.

قالت عائشة: فجهَّزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سمّيت: ذات النّطاقين. قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر، وهو غلام شاب، ثقف، لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة – كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة – مولى أبى بكر – منحة من غنم، فيريح عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان فى رسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغَلَس، يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالى الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الديل، وهو من بنى عبد

---

(١) (فتح البارى): ٤ / ٥٩٩ – ٦٠٠، كتاب الكفالة، باب (٤) جوار أبى بكر رضى الله عنه فى عهد النبى ﷺ وعهده، حديث رقم (٢٢٩٧).

ابن عدىّ، هاديًا خِرّيتًا – والخِرّيت: الماهر بالهداية – قد غمس حلفًا فى آل العاصى بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبح ثلاث ليال، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل(١).

---

(١) (فتح البارى) : ٧/ ٢٩١-٢٩٣، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٥).

قوله: «برك الغماد»: موضع باليمن.

قوله: «ابن الدَّغِنّة»: فتح الغين، وقيل: إن ذلك كان لاسترخاء فى لسانه، والصواب الكسر، وثبت بالتخفيف والتشديد من طريق، وهى أمه، وقيل: أم أبيه، وقيل: دابته، ومعنى الدغنه المسترخية، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر.

واختلف فى اسمه؛ فعند البلاذرى من طريق الواقدى، عن معمر عن الزهرى أنه الحارث بن يزيد، وحكى السهيلى أن اسمه مالك، وقيل غير ذلك.

قوله: «وهو سيد القَارَة»، بالقاف وتخفيف الراء، وهى قبيلة مشهورة من بنى الهون – بالضم والتخفيف – ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر، وكانوا حلفاء بنى زهرة من قريش، وكانوا يُضرب بهم المثل فى قوة الرمى.

قوله: «أخرجنى قومى» ، أى تسببوا فى إخراجى.

قوله: «فاريد أن أسيح»، بالمهملتين، لعلّ أبا بكر طوى عن ابن الدَّغنَّة تعيين جهة مقصدة لكونه كافرًا، وإلا فقد تقدم أنه قصد التوجه إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق التى قصدها، حتى يسير فى الأرض وحده زمانًا، فيصدق أنه سائح، ولكن حقيقة السياحة أن لا يقصد موضعًا بعينه يستقر فيه.

قوله: «وتكسب المعدوم» – أو المعدم فى رواية – وقد تقدم شرح هذه الكلمات فى حديث بدء الوحى، وفى موافقة وصف ابن الدغنة لأبى بكر رضى الله عنه بمثل ما وصفت به خديجةُ النبىَّ ﷺ ما يدل على عظيم فضل أبى بكر، واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال.

قوله: «وأنا جارٌ لك»، أى مُجير أمنع من يؤذيك.

قوله: «فيتقذَّف» بالمثناة والقاف والذال المعجمة الثقيلة، أى يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر.

قوله: «بكَّاء» بالتشديد أى كثير البكاء.

قوله: «لا يملك عينيه»، أى لا يطيق إمساكها عن البكاء من رقة قلبه، وقوله: «إذا قرأ»، إذا =

....

= ظرفية، والعامل فيه لا يملك، أو هى شرطية والجزاء مقدر.

قوله: «فافزع ذلك» أى أخاف الكفار لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا إلى دين الإسلام.

قوله: «نُخفرله» بضم أوله وبالخاء المعجمة وكسر الفاء، أى نغدر بك، يقال: خفره إذا حفظه، وأخفره إذا غدر به.

قوله: «مقرين لأبى بكر الاستعلان» أى لا نسكت عن الإنكار عليه للمعنى الذى ذكروه من الخشية على نسائهم وأبناءهم أن يدخلوا فى دينه.

قوله: «وأرضى بجوار الله» أى أمانته وحمايته، وفيه جواز الأخذ بالأشد فى الدين - وقوة يقين أبى بكر رضى الله عنه.

قوله: «ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة»، أى لما سمعوا باستيطان المسلمين المدينة، رجعوا إلى مكة، فهاجر إلى أرض المدينة معظمهم لا جميعهم، لأن جعفراً ومن معه تخلفوا فى الحبشة، وهذا السبب فى مجئ مهاجرة الحبشة غير السبب المذكور فى مجئ من رجع منهم أيضاً فى الهجرة الأولى، لأن ذاك كان بسبب سجود المشركين مع النبى ﷺ والمسلمين فى سورة النجم، فشاع أن المشركين أسلموا وسجدوا، فرجع من رجع من الحبشة، فوجدوهم أشدّ ما كانوا.

قوله: «الخَبْط» بفتح المعجمة والموحدة ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر. قاله ابن فارس.

قوله: «فى نحر الظهيرة»، أى أول الزوال، وهو أشدّ ما يكون فى حرارة النهار، والغالب فى أيام الحر القيلولة فيها، وفى رواية ابن حبان: «فأتاه ذات يوم ظهراً»، وفى حديث أسماء بنت أبى بكر عند الطبرانى: «كان يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرةً وعشية، فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة، فقلت: يا أبت هذا رسول الله ﷺ.

قوله: «هذا رسول الله مُتَقَنِّعًا»، أى مغطيًا رأسه، وفى رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب، قالت عائشة: «وليس عند أبى بكر إلا أنا وأسماء».

وفى هذا الحديث جواز لبس الطيلسان، وجزم ابن القيم بأن النبى ﷺ لم يلبسه ولا أحد من أصحابه، وأجاب عن الحديث بأن التقنع يخالف التطليس.

قال: ولم يكن يفعل التقنع عادة بل للحاجة، وتعقب بأن فى حديث أنس: «أن النبى ﷺ كان يكثر التقنع». وفى (طبقات ابن سعد) مرسلاً: «ذكر الطيلسان لرسول الله ﷺ فقال: هذا ثوب لا يؤدى شكره».

قوله: «ثقف» بفتح المثلثة وكسر القاف، ويجوز إسكانها وفتحا وبعدها فاء» الحاذق، تقول: ثقفتُ الشئ إذا أقمت عوجه.

قوله: «لقن» بفتح اللام وكسر القاف بعدها نون، اللَّقِنُ: السريع الفهم. =

قال ابن شهاب : فأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى – وهو ابن أخى سراقة بن مالك بن جعشم – أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول : جاءتنا رسل كفار قريش، يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكرٍ دِيَةَ، كل واحد منهما لمن قَتَلهُ أو أَسَرَهُ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدلج، إذ أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال : يا سُراقة : إنى رأيت قد آنفًا أَسْوِدَةً بالساحل، أراها محمداً وأصحابه، قال سراقة : فعرفتُ أنهم هم، فقلت له : إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيتَ فلانًا وفلانًا، انطلقا بأعيننا، ثم لبثتُ فى المجلس ساعة، ثم قمتُ فدخلت، فأمرتُ جاريتى أن تخرج بفرسى، وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ، وأخذتُ رمحى فخرجتُ به من ظهر البيت، فحططتُ بزُجِّه الأرض، وخَفَضْتُ عاليه، حتى أتيتُ فرسى فركبتُها، فرفعتُها تقرب بى حتى دنوتُ منهم، فَعَثَرتْ بى فرسى، فخررتُ عنها، فقمتُ، فأهويتُ يدى إلى

= قوله : « فيدَّلج » بتشديد الدال بعدها جيم، أى يخرج بسحر إلى مكة.

قوله : « فيصبح مع قريش بمكة كبائت » أى مثل البائت، يظنه من لا يعرف حقيقة أمره لشدة رجوعه بغلس.

قوله : « يكتادان به » فى رواية الكشميهنى : « يكادان به » بغير مثناة، أى يطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد.

قوله : « رضيفهما » بفتح الراء وكسر المعجمة، بوزن رغيف، أى اللبن المرضوف، أى التى وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار، لينعقد وتزول رخاوته، وهو بالرفع، ويجوز الجر.

قوله : « حتى ينعق بها عامر » ينعق بكسر العين المهملة أى يصيح بغنمه، والنعيق صوت الراعى إذا زجر الغنم.

قوله : « والخريت الماهر بالهداية » قال ابن سعد وقال الأصمعى : إنما سُمّى خريتًا لأنه يهدى خُرت الإبرة أى ثقبها، وقال غيره : قيل له ذلك لأنه يهتدى لأخرات المفازة وهى طرقها الخفية.

قوله : « وقد غمس » بفتح العين المعجمة بعدها مهملة « حلفًا » بكسر المهملة وسكون اللام، أى كان حليفًا، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم فى دم، أو خلوق، أو فى شئ يكن فيه تلويث، فيكون ذلك تأكيداً للحلف.

كِنانتى، فاستخرجتُ منها الأزلام، فاستقسمتُ بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذى أكره، فركبتُ فرسى، وعصيتُ الأزلام، تقرِّب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر [رضى الله عنه] يُكثر الالتِفاتَ، ساخت [يدا] فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتها فنهضتْ، فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها عُثان ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمتُ بالأزلام، فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبتُ فرسى حتى جئتهم، ووقع فى نفسى ما لقيتُ من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآنى، ولم يسألانى إلا أن قال: اخف عنا، فسألته أن يكتب لى كتاب أمنٍ، فأمر عامر بن فُهيّرة [رضى الله عنه]، فكتب فى رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين، كانوا تجاراً قافلين من الشام، [فكسا] الزبير رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه ثيابَ بياض.

وسمع المسلمون بالمدينة فخرج رسول الله ﷺ، من مكة [فكانوا] يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه، حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أوَوْا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أُطمٍ من آطامهم - قال ابن زُبالة: وهى عز أهل المدينة ومنعتهم التى يتحصنون فيها من عدوهم - قال ابن شهاب: لأمر ينظر إليه، فَبَصُر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين، يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودى أن قال [بأعلى] صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذى تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرَّة، فعدل بهم ذات

اليمين، حتى نزل بهم فى بنى [عمرو] بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، [وقيل: لثمان خلون منه](١).

وفى الإكليل عن الحاكم، تواترت الأخبار بذلك، وقيل: قدم المدينة يوم الجمعة عشاءً لثنتى عشرة مضت منه، وقيل: لليلتين مضتا منه، وقيل: لثمان عشرة ليلة، وقيل: بضع عشرة ليلة، وعند البيهقى اثنتين، وعندى ليلة، وعند ابن حزم: خرجنا من مكة وقد بقى من صفر ثلاث ليال، وقال البرقى: قدمها ليلاً، وقيل قدم لثلاث عشر ليلة مضت منه، وجزم ابن النجار بقدومه حين [الضحى] يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة من ربيع الأول، ووافقه جازمًا بذلك النووى فى زوائده من كتاب السير من (الروضة)(٢).

قال [ابن] شهاب: فقام أبو بكر [رضى الله عنه] للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يَرَ رسول الله ﷺ يُحيٍّ أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ فى بنى [عمر] بن عوف بضع عشرة ليلة، وأَسَّسَ المسجد الذى أُسِّسَ على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته، فسار يمشى معه الناس، حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر، لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر سعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل.

ثم دعاء رسول الله ﷺ الغلامين، فساومهما بالمِرْبَد، ليتخذه مسجداً،

(١) (فتح البارى): ٧/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) (روضة الطالبين للنووى): ٧/ ٤٠٧.

فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى أن يقبل [منهما] هبته، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبرْ   هـذا أبـرُّ ربنـا وأطـهَـرْ

ويقول:

اللهم إن الأجر أجرُ الآخـرة   فارحم الأنصارَ [والمهاجرهْ]

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسم لى، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببت شعرٍ تام غير هذه الأبيات.

وخرّجه أيضًا فى كتاب اللباس، فى باب التقنع، من حديث معمر عن الزهرى، عن عائشة [رضى الله عنها] باختصار(١)، وفرَّقه فى كتاب الجهاد فى باب حمل الزاد فى الغزو(٢)، وهجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة(٣)، وفى كتاب الأطعمة فى باب الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة(٤).

وخرَّج البخارى أيضًا فى الهجرة من حديث شعبة قال: سمعتُ أبا إسحاق الهمدانى يقول: سمعت البراء [رضى الله عنه] يقول: أقبل رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، فذكر قطعة مما تقدم(٥). وخرّجه

---

(١) (فتح البارى): ١٠/ ٢٣٦، كتاب اللباس، باب (١٦) التقنّع، حديث رقم (٥٨٠٧).

(٢) (فتح البارى): ٦/ ١٥٩، كتاب الجهاد والسير، باب (١٢٣) حمل الزاد فى الغزو، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧]، حديث رقم (٢٩٧٩).

(٣) (فتح البارى): ٧/ ٣٠٢ - ٣٠٣، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٦).

(٤) (فتح البارى): ٦/ ٦٦٢، كتاب الأطعمة، باب (٨) الخبز المرقق، والأكل على الخِوان والسُّفرة، حديث رقم (٥٣٨٨).

(٥) (فتح البارى): ٧/ ٣٠٤، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبى وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩٠٨).

مسلم كذلك(١).

وخرَّج البخارى ومسلم من حديث أبى إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب [رضى الله [عنه]] يقول: جاء أبو بكر رضى الله [عنه] إلى أبى فى منزله، فاشترى منه رحلاً، فقال لعازب: إبعث معى ابنك يحمله معى إلى منزلى، فقال أبى: احمله، فحملته، وخرج أبى معه ينتقد ثمنه، فقال له أبى: يا أبا بكر، حدثنى كيف صنعت ليلة سريت مع رسول الله ﷺ، قال: نعم، أسرينا ليلتنا كلها، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق، فلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت الشمس بعد، فأتيت الصخرة، فنزلنا عندها، وسويتُ بيدى مكانًا ينام فيه النبى ﷺ فى ظلها، ثم بسطتُ عليه فروة، ثم قلت: نم يا رسول الله، وأنا أنفض لك ما حولك.

فنام، وخرجتُ أنفض ما حوله، فإذا أنا براعى غنم مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها الذى أردنا، فلقيتُه فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجل من أهل المدينة، قلت له: أفى غنمك لبن؟ قال: نعم، قلتُ: أفتحلب لى؟ قال: نعم، فأخذ شاة، فقلت له: انفض الضرع من الشعر، والتراب، والقذى، قال: فرأيتُ البراء يضرب بيده على الأرض ينفض، فحلب لى فى قعب معه كُثْبة من لبن، قال: ومعى إداوة أرتوى فيها للنبى ﷺ ليشرب منها ويتوضأ، قال: فأتيتُ النبى ﷺ [فشرب منها وتوضأ]، وكرهت أن أوقظه من نومه، فوافقته قد استيقظ، فصببتُ على اللبن من الماء، حتى برد أسفله، فقلتُ يا رسول الله، اشرب من هذا اللبن، قال: فشرب حتى رضيتُ، ثم قال: ألم يأن للرحيل؟ قلت: بلى.

قال: فارتحلنا بعد مازالت الشمس، وأَتْبَعَنَا سُراقة بن مالك، ونحن فى

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٣/ ١٩٠، كتاب الأشربة، باب (١٠) جواز شرب اللبن، حديث رقم (٢٠٠٩).

جَلْدٍ من الأرض فقلت: يا رسول الله! أُتينا، فقال: لا تحزن إن الله معنا، [فدعا] عليه رسول الله ﷺ، فارتطمت فرسه إلى بطنها - أرى - فقال: إنى قد علمت أنكما قد دعوتما عَلَىَّ، فادْعُوَا لى، [فالله] لكما أن أَرُدَّ عنكما الطلب، فدعا [رسول الله ﷺ] الله، فنجا، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتم هاهنا، فلا يلقى أحداً إلا ردَّه ووفىّ لنا. اللفظ لمسلم، وقال فيه البخارى: فقال لرجل من أهل المدينة أو مكة، وقال فيه: فقال: إنى أراكما قد دعوتما عَلَىَّ. ذكره البخارى فى باب علامات النبوة[1].

ولمسلم من حديث عثمان بن عمر، والنضر بن شميل، كلاهما عن أبى إسحاق، عن البراء، قال: اشترى أبو بكر من أبى[2] رَحْلاً بثلاثة عشر درهمًا.. وساق الحديث بمعنى ما تقدم[3]. وقال فى حديثه من رواية عثمان بن عمر، [عن إسرائيل]: فلما دنا [دعا] عليه رسول الله ﷺ فساخ

---

(١) (فتح البارى): ٦/ ٧٧١ - ٧٧٢، كتاب المناقب، باب (٢٥) علامات النبوة فى الإسلام، حديث رقم (٣٦١٥).

وأخرجه مسلم فى كتاب الزهد والرقاق، باب (١٩) فى حديث الهجرة، ويقال حديث الرحل، حديث رقم (٣٠٠٩).

(٢) (الرحل): سرج البعير - وهو الكور - وقد يُراد به القتب والحداجة.

(قائم الظهيرة): اشدّ الحر وسط النهار، وقائمها: وقت استواء الشمس فى وسط السماء.

(كُثبة): الكثبة القليل من اللبن.

(أرتوى) فيها الماء، اى احمله للوضوء والشرب.

(الم يان): الم يقرب ويجئ وقت الرواح.

(الجَلْد): الأرض الغليظة الصلبة.

(أُتينا): أُتِى الرجل، اى قُصد وطُلب، والمراد: أنهم لحقونا وادركونا.

(فارتطمت): ارتطمت فى الوحل: إذا نشبت فيه ولم تكد تتخلص، وارتطم الرجل فى أمره إذا سُدَّت عليه مذاهبه. (جامع الأصول): ١١/ ٥٩٩، شرح الحديث رقم (٩٣٠٤).

(٣) فى (صحيح مسلم): «معنى حديث زهير عن أبى إسحاق».

فرسه فى الأرض إلى بطنه، ووثب عنه وقال : يا محمد ! قد علمتُ أن هذا عملك، فادع الله أن يخلصنى مما أنا فيه، ولك علىّ لأُعمّيّن على من ورائى، وهذه كنانتى فَخُذْ سهمًا منها، فإنك ستمر على إبلى وغلمانى [بمكان] كذا وكذا، فخُذ منها حاجتك، قال : لا حاجة لى فى إبلك.

فقدمنا المدينة ليلاً، فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ، فقال ﷺ : انزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم فى الطريق ينادون : يا محمد، يا رسول الله(١) ..... يا محمد يا رسول الله!

وخرّج البخارى فى المناقب، من حديث إسرائيل بمعناه، وذكر نحواً أو

---

(١) (مسلم بشرح النووى) : ١٨ / ٣٥٧ - ٣٥٨، كتاب الزهد والرقائق، باب (١٩) فى حديث الهجرة، الحديث الذى يلى الحديث رقم (٣٠٠٩)، بدون رقم.

قال الإمام النووى : وهذا الحديث مما يُسأل عنه، فيقال : كيف شربوا اللبن من الغلام وليس هو مالكه؟ وجوابه من أوجه :

أحدها : أنه محمول على عادة العرب أنهم يأذنون للرعاة إذا مرَّ بهم ضيف أو عابر سبيل أن يسقوه اللبن ونحوه.

الثانى : أنه كان لصديق لهم يدلون عليه، وهذا جائز.

الثالث : لعلهم كانوا مضطرين، والجوابان الأولان أجود.

وفى هذا الحديث فوائد، منها : هذه المعجزة الظاهرة لرسول الله ﷺ، وفضيلة ظاهرة لأبى بكر رضى الله عنه من وجوه.

وفيه خدمة التابع للمتبوع، وفيه استصحاب الركوة والإبريق ونحوهما فى السفر للطهارة والشرب.

وفيه فضل التوكل على الله سبحانه وتعالى وحُسن عاقبته، وفيه فضائل للأنصار لفرحهم بقدوم رسول الله ﷺ، وظهور سرورهم به، وفيه فضيلة صلة الأرحام، سواء قَرُبَتْ القرابة والرحم أم بعدت، وأن الرجل الجليل إذا قدم بلداً له فيه أقارب ينزل عندهم يكرمهم بذلك. والله تعالى أعلم. (مسلم بشرح النووى).

قريبًا منه في باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه(١).

وقال الواقدي: حدثني قدامة بن موسى، عن عائشة بنت قدامه قالت: لما أُمر رسول الله ﷺ أن يتحول عن فراشه، ولا ينام عليه في الليلة التي ائْتَمَرَتْ قريش في دار الندوة، على أن يثبتوه فيقتلوه، خرج على القوم حتى انتهى إلى بيت بكر رضي الله عنه، وكان فيه حتى خرجا منه إلى الغار - غار ثور - خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر رضي الله عنه ليلاً.

وكان رسول الله ﷺ يحدث: لقد خرجتُ من الخوخة متنكرًا، وكان أول من لقيني، الخبيث أبو جهل، فعمى الله تعالى بصره عني وعن أبي بكر [رضي الله عنه] حتى مضيت، ومضى رسول الله ﷺ وأبو بكر [رضي الله عنه]، فقال أبو بكر لعائشة [رضي الله عنهما]: لو رأيتني ورسول الله ﷺ إذ صعدنا الغار، فأما قدما رسول الله ﷺ، فتقطرتا دمًا، وأما قدماي، فعادتا كأنها صفوان، فقالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ لم يتعود الحفية، ولا الرعية، ولا الشقوة، [قال:] ولو رأيتنا ونحن نصعد في الغار؛ مرة هو أمامي، ومرة أنا أمامه، حتى سبقتُه إلى الغار فدخلتُه، وكان فيه جُحْر، فألقمتُه عقبي، ودخل رسول الله ﷺ عليّ، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن كانت لدغة لدغتني، أحب إلي من أن تلدغ رسول الله ﷺ.

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن زبالة، في (تاريخ المدينة): حدثني محمد بن عبد الله الأنصاري، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه قال: نزل رسول الله ﷺ على كلثوم ابن الهدم، بغلام [يقال] له: يانجيح، فقال رسول الله ﷺ: أنجحت يا أبا بكر.

---

(١) (فتح الباري): ٧/ ٣١٧ - ٣١٨، كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٥) هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٩١١).

وذكر عن محمد بن كعب القرظىّ وغيره، قالوا: لما بركت ناقة النبى ﷺ بباب أبى أيوب [رضى الله عنه]، جعل رسول الله ﷺ يريد أن ينزل فتخلخل، فيُطيف بها أبو أيوب [رضى الله عنه]، فيجد جُبَار بن صخر - أخا بنى سلمة - ينخسها، فقال أبو أيوب: با جُبار! أعن منزلى تنخسها؟ والله بَعَثَهُ بالحق، لولا الإسلام لضربتك بالسيف. قال: فنزل رسول الله ﷺ فى منزل أبى أيوب، وقرّ قراره، وطابت داره، ونزل معه زيد بن حارثة.

* * *

فصل في ذكر غزوات رسول الله ﷺ

[اعلم أن رسول الله ﷺ غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة(١)، وكانت سراياه التي بعث فيها، سبعًا وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيه من المغازى تسع غزوات](٢).

قال البخارى: وقال محمد بن إسحاق: أول ما غزا رسول الله ﷺ، الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة(٣).

وخرَّج من طريق شُعبة، عن أبى إسحاق [قال:] كنت إلى جنب زيد بن أرقم، فقيل له: كم غزا النبى ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة، [قيل:] كم [غزوت] أنت معه؟ قال: سبع عشرة، قلت: فأيهم كانت أول؟ قال: [العشيراء] أو العشير، فذكرت ذلك لقتادة فقال: العشيرة(٣). وخرجه مسلم بمعناه(٤).

وقال محمد إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد [الضحى] وكادت الشمس تعتدل لثنتى عشرة مضت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله

---

(١) اصطلح الرواة وأصحاب السِّير، أن الغزوة: هى الحرب التى يحضرها رسول الله ﷺ بنفسه. وأما البعث أو السرية: فإنه يرسل فيها طائفة من أصحابه ﷺ.

(٢) ما بين الحاصرتين مطموس فى (ج)، وأثبتناه من (خ)، و (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير): ١/ ٢٢٣، ذكر الخبر عن عدد مغازى رسول الله ﷺ وبعوثه.

(٣) (فتح البارى): ٧/ ٣٥٤، كتاب المغازى، باب (١) غزوة العُشيرة أو العُسيرة، قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبى ﷺ الأبواء، ثم بواط، ثم العُشيرة، حديث رقم (٣٩٤٩).

(٤) (مسلم بشرح النووى): ١٢/ ٤٣٥ - ٤٣٦، كتاب الجهاد والسير، باب (٤٩) عدد غزوات النبى ﷺ، حديث رقم (١٢٥٤).

بثلاث عشرة سنة، فأقام بقية ربيع الأول، وشهر ربيع الآخر، وجمادين، ورجبا، وشعبان، وشهر رمضان، وشوال، وذا القعدة، وذا الحجة [وولى تلك الحجة المشركون][1] .

ثم خرج غازيًا فى صفر، على رأس اثنى عشر شهرًا من مقدمه المدينة[2]، حتى بلغ ودَّان، وهى : [غزوة الأبواء] .

* * *

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام) .

(٢) (المرجع السابق) : ٣/ ١٢٥ .

غـــزوة الأبـــواء(١)

يريد قريشا وبنى ضمرة، بن بكر بن عبد مُناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، وكان الذى وادعه منهم مَخْشِىّ بن عمرو الضمرىّ، وكان سيدهم فى زمانه ذلك.

---

(١) الأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة وبالمد : قرية من عمل الفرع، بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. قيل: سميت بذلك لما كان فيها من الوباء، وهى على القلب، وإلا لقيل: الأوباء. (فتح البارى).

وقال ثابت بن أبى ثابت اللغوى: سميت الأبواء لتبوء السيول فيها، وهذا أحسن، وقال غيره: الأبواء فعلاء من الأبواة، أو افعال كأنه جمع بوّ، وهو الجلد الذى يُحشى ترامه الناقة فتدر عليه إذا مات ولدها، أو جمع بوى، وهو السواء، إلا أن تسمية الأشياء بالمفرد ليكون مساويًا لما سُمّى به، أوَ لا ترى أنا نحتال لعرفات وأذرعات، مع أن أكثر أسماء البلدان مؤنثة، ففعلاء أشبه به، مع أنك لو جعلته جمعًا لاحتجت إلى تقدير واحدِه أو مفرده.

وسئل كثير الشاعر: لم سميت الأبواء أبواءً؟ فقال: لأنهم تبوأوا بها منزلاً، والأبواء قرية من أعمال الفُرع فى المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

وقيل: الأبواء جبل على آرة، ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، وهناك جبل ينسب إلى هذا الجبل، وقد جاء ذكره فى حديث الصعب بن جثامة وغيره.

قال السكرى: الأبواء جبل شامخ مرتفع، ليس عليه شىء من النبات غير الخزم والبشام، وهو لخزاعة وضمرة.

وبالأبواء قبر أم النبى ﷺ آمنة بنت وهب، وكان السبب فى دفنها هناك، أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرًا، فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، تخرج فى كل عام إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنين خرجت زائرة لقبره، ومعها عبد المطلب، وأم أيمن حاضنته ﷺ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة، ماتت بها.

ويقال: إن أبا طالب زار أخواله ﷺ بنى النجار بالمدينة، وحمل معه آمنة أم رسول الله ﷺ، فلما رجع منصرفًا إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء. (معجم البلدان): ١ / ١٠٢، موضع رقم (١٥٢).

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً، [فأقام بها بقية صفر، وصدراً من شهر ربيع الأول، وهى أول غزو غزاها][1].

وقال الواقدى: وفى هذه الغزاة، وادع بنى ضمرة من كنانة، على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه أحداً، ثم كتب بينهم كتاباً[2]، ثم رجع، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة[3].

* * *

---

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٢) (مجموعة الوثائق السياسية): ١٥٨، ونصُّ كتاب الموادعة: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم، أن لا يحاربوا فى دين الله ما بلَّ بحرٌ صوفة، وأن النبى إذا دعاهم لنصر أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله. (المواهب اللدنية): ١/ ٣٤٠.

(٣) (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٢٥، (مغازى الواقدى): ١/ ١٢.

[غــــزوة بُـــواط](١)

قال ابن إسحاق: ثـم غزا رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الأول يريد قريشًا حتى بواط من ناحية رضوى، ثـم رجع إلى المدينة، ولـم يلق كيدًا(٢).

وقال الواقدى: ثم غزا بواط –وبواط حيال ضبَّه من ناحية ذى خُشُب، بين بواط والمدينة ثلاثة بُرُد– يعترض لعير قريش، فيها أمية بن خلف، ومائة رجل من قريش وألفان و [خمسمائة] بعير، [فى ربيع الأول، على رأس ثلاث عشر شهرًا]، [ثم رجع ولم يلق كيدًا](٣).

وقال ابن إسحاق: فلبث بها –يعنى المدينة– [بقية] (٤)شهر ربيع الآخر، وبعض [جمادى الأولى]، ثـم غزا قريشًا، فسلك نقب بنى دينار، ثـم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها، فثم مسجده ﷺ وصُنع له عندها طعام، فأكل منه، وأكل الناس منه، فموضع أثافى البرمة معلوم [هنالك](٤)، واستقى له من ماء به يقال له: المشترب، ثـم ارتحل رسول الله ﷺ، فترك الخلائق بيسار، [وسلك

---

(١) بالضم وآخره طاء مهملة: وادٍ من أودية القبيلة؛ عن الزمخشرى عن على العلوى، ورواه الأصيلى، والعُذرى، والمستملى –من شيوخ المغاربة– بواط، بفتح أوله، والأول أشهر، وقالوا: هو جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، غزاه النبى ﷺ فى شهر ربيع الأول فى السنة الثانية من الهجرة يريد قريشا، ورجع ولم يلق كيداً. (معجم البلدان): ١/ ٥٩٦، موضع رقم (٢٢٠٩).

(٢) (سيرة ابن هشام): ٣/ ١٤٢، وقال: «فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى».

(٣) (مغازى الواقدى): ١/ ١٢.

(٤) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام) ٣/ ١٤٣، والضبوعة: اسم موضع، وملل: اسم موضع، يقال: إنما سمى مللاً لأن الماشى إليه من المدينة لا يبلغه إلا بعد جهد وملل. (المرجع السابق): هامش ص ١٤٣.

شعبة يقال لها: شعبة عبيد الله، ثم صبّ لليسار حتى هبط بليل، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة][1] واستقى من بئر بالضبوعة، ثم سلك الفرش، فرش [ملل][1]، حتى لقى الطريق بصحيرات اليمام، ثم اعتدل [به][1] الطريق حتى نزل العُشيرة [واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد].

* * *

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام) ٣/ ١٤٣.

غــزوة بــدر الأولى

ثم غزا فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا، فى طلب كُرز بن جابر الفهرى، أغار على سرح المدينة، وكان يرعى بالجماء ونواحيها، حتى بلغ بدراً ولم يدركه][1].

وذكر الواقدى أن غارة كرز فى ربيع الأول بعد بواط، أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه، حتى بلغ واديا يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاته كُرز بن جابر، فلم يدركه، وهى غزوة بدر الأولى، ثم رجع إلى المدينة[2]، [وكان قد استخلف عليها زيد بن حارثة رضى الله عنه].

* * *

(١) ما بين الحاصرتين من (خ) وليس فى (ج).

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ١٢.

غـــزوة ذى العُشـــيرة

[ثم غـزا] العـشـيـرة فى جـمـادى الآخـرة، على رأس سـتـة عـشـر شـهـراً، يعترض لعيرات قريش حين أبدأت إلى الشام، وكان قد جاءه الخبر بفصول العير من مكة تريد الشام، قد جمعت قريش أموالها، فهى فى تلك العير؛ فـسلك على نقب من بنى دينار، يريد بيـوت السُّـقـيـا وهى غـزوة ذى العشيرة، [واستخلف على المدينة فى هذه الغزوة، أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى رضى الله عنه][1].

[قـال ابن إسـحـاق : ولـم يُقـم رسـول الله ﷺ بالمدينة حين قـدم من غـزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سـرح المدينة، فـخـرج رسـول الله ﷺ فى طلبـه، حـتى بلغ واديًا يقـل له : سفوان[2]، من ناحيـة بدر، وفاته كرز بن جابر فلم يدركـه، وهى غزوة بدر الأولى، ثـم رجع رسول الله ﷺ إلى الدينة، فأقام بها بقية جمادى الآخرة، ورجبًا، وشعبان].

[قال ابن إسـحـاق : فسلك على نقب بنى دينار، ثم على فيفـاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها : ذات الساق، فصلى عندها، فـثم مـسـجـده ﷺ، وصُنع له عندها طعـام، فأكل منه، وأكل الناس معـه،

---

(١) (سيرة ابن هشام) : ٣ / ١٤٥ – ١٤٦ .

(٢) وسفوان وادٍ من ناحية بدر، قال ابن إسحاق : ولما أغار كرز بن الفهرى.. إلخ. (معجم البلدان) : ٣ / ٢٥٤ .

فموضع أثافيِّ البرمة معلوم هنالك، واستقى له ﷺ من ماء به؛ يقال له: المشترب[1]].

* * *

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

غــزوة بـــدر الكبـرى

ثم خرج إلى غزاة بدر، [وهى البطشة التى أعزّ الله تعالى بها الإسلام، وأهلك رؤوس الكفر](١).

قال ابن إسحاق: وبلغ [رسول الله ﷺ] [بدارًا - ماء كان ليخلد بن النضر، ويقال لرجل من جهينة- وبين بدر والمدينة ثمانية بُرُد](٢)، وبلغ رسول الله ﷺ أن أبا سفيان بن حرب، مقبل من الشام، فى عيرٍ لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش، وتجارة من تجارتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش، أو أربعون، منهم: مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، و [عمرو] بن العاص بن وائل، فلما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلاً من الشام، ندب إليهم المسلمين، وقال: هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس، فخف بعضهم، وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز، يتحسس(٣) الأخبار، ويسأل من لقى من الركبان، تخوفًا على أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان، أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتى قريشًا

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط فى (خ) وأثبتناه من (ج).

(٢) ما بين الحاصرتين سقط فى (ج) وأثبتناه من (خ).

(٣) التحسس بالحاء: أن تتسمع الأخبار بنفسك، والتجسس بالجيم: هو أن تفحص عنها بغيرك، وفى الحديث: « لا تجسسوا ولا تحسسوا ».

فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه.

فخرج ضمضم سريعًا إلى مكة، فصرخ ببطن الوادى يقول: يا معشر قريش!! اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان، قد عرض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.

فتجهز الناس سراعًا، فكانوا بين رجلين؛ إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف، وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط[1] له بأربعة آلاف درهم، كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها، على أن يجزئ [عنه] بعثه، فخرج عنه، وتخلف أبو لهب.

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة [يوم الاثنين][2] لثمان ليالى خلون من رمضان، فساروا حتى التقوا مع المشركين ببدر.

وقال الواقدى: ولما [تحين][3] رسول الله ﷺ انصراف العير من الشام، ندب أصحابه للعير، وبعث طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، قبل خروجه من المدينة بعشر ليال، يتحسسان خبر العير، قال: وخرج رسول الله ﷺ بمن معه، حتى انتهى إلى نقب بنى دينار، ثم نزل بالبقيع -وهى بيوت السُّقيا- يوم الأحد لثنتى عشرة [ليلة] خلت من رمضان، فضرب عسكره هناك، وعرض المقاتلة.

[قال:] وقدم عدى بن أبى الزغباء، وبسبس بن عمرو، وراح عشية الأحد من بيوت السقيا، وخرج المسلمون معه، وهم ثلاثمائة وخمسة،

---

(١) لاط له: أى اربى له، وقال أبو عبيد: وسمى الرِّبا لياطًا لانه ملصق بالبيع، وليس بيع، وقيل للربا: لياطًا لأنه لاصق بصاحبه، لا يقتضيه، ولا يوضع عنه.

(٢) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٣) فى (الأصلين): «تحقق» وما اثبتناه من (مغازى الواقدى).

وثمانية تخلفوا ضرب لهم بسهامهم وأجورهم، وكانت الإبل سبعين بعيراً، وكانوا يتعاقبون الإبل، الاثنين، والثلاثة، والأربعة، وكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، [ومرثد]، ويقال: زيد بن حارثة، يتعاقبون بعيراً واحداً، واستعمل على الماء قيس [بن] أبى صعصعة عمرو ابن زيد بن عوف بن مبذول، وأمره حين فصل من بيوت السقيا أن يعد المسلمين، فوقف لهم، فعدَّهم، وأخبر النبى ﷺ.

ومضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان [دوين](١) ماء بدر، أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبرهم [رسول الله ﷺ(٢)] بمسيرهم، واستشار [رسول الله ﷺ(٢)] الناس، قال: فلما فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله ﷺ: سيروا على بركة الله، فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم، قال: ونزل بأدنى بدر، عشاء ليلة الجمعة، ولسبع عشرة ليلة من رمضان، واستشار فى المنزل، فأشار الحباب بن المنذر بنزوله على قليب بدر، فتحول إليه، وبُنى له عريش من جريد، فدخله رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضى الله عنه(٣).

وخرَّج البخارى من حديث عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال وهو فى قبته يوم بدر: اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه بيده فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك، فخرج وهو ثبت فى الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿ سيُهزم الجمع ويولون الدُّبر ﴾ ذكره فى كتاب التفسير(٤)، وفى غزوة

---

(١) دوين: تصغير دون، أى على مسافة أقل.

(٢) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

(٣) (مغازى الواقدى): ١/ ١٩ - ٤٩ مختصراً.

(٤) (فتح البارى): ٨/ ٧٩٦، كتاب التفسير، باب (٥) قوله تعالى: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدُّبر ﴾ =

بدر، فى باب ما قيل فى درع النبى ﷺ(١).

= حديث رقم (٤٨٧٥)، قال الحافظ فى (الفتح) : هذا من مرسلات ابن عباس لأنه لم يحضر القصة، وقد روى عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، إن عمر قال : لما نزلت ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ جعلت أقول : أى جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيتُ النبى ﷺ يثب فى الدرع وهو يقول : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾، فكان ابن عباس حمل ذلك عن عمر، وكان عكرمة حمله عن ابن عباس عن عمر، وقد أخرج مسلم من طريق سماك بن الوليد عن ابن عباس : حدثنى عمر ببعضه.

(١) (فتح البارى) : ٧/ ٣٦٤، كتاب المغازى، باب (٤) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم... حديث رقم (٣٩٥٣).

قوله : « اللهم إنى أنشدك » ـ بفتح الهمزة وسكون النون والمعجمة وضم الدَّال، أى أطلب منك. وعند الطبرانى بإسناد حسن عن ابن مسعود قال : « ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشدّ منا شدة من محمد لربه يوم بدر : « اللهم إنى أنشدك ما وعدتنى ».

قال السهيلى : سبب شدة اجتهاد النبى ﷺ ونصبه فى الدعاء لأنه رأى الملائكة تنصب فى القتال، والأنصار يخوضون فى غمرات الموت، والجهاد تارة يكون بالسلاح وتارة بالدعاء، ومن السنة أن يكون الإمام وراء الجيش، لأنه لا يقاتل معهم فلم يكن ليريح نفسه، فتشاغل بأحد الأمرين وهو الدعاء.

قوله : « اللهم إن شئت لم تُعبد » إنما قال ذلك لأنه ﷺ علم أنه خاتم النبيين، فلو هلك هو ومن معه حينئذ. لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان، واستمر المشركون يعبدون غير الله، فالمعنى : لا تُعبد فى الأرض بهذه الشريعة.

قوله : « فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبُك » قال الخطَّابى : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبى ﷺ فى تلك الحال، بل الحامل النبى ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه، وتقوية قلوبهم، لأنه كان أول مشهد شهده، فبالغ فى التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة.

فلما قال له أبو بكر ما قال كفَّ عن ذلك وعلم أنه استجيب له، لما وجد أبو بكر فى نفسه من القوة والطمانينة، فلهذا عقب بقوله : ﴿ **سيهزم الجمع** ﴾.

وقال غيره : وكان النبى ﷺ فى تلك الحالة فى مقام الخوف، وهو أكمل حالات الصلاة، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذ لأن وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة، وإنما كان مجملاً. (فتح البارى) مختصراً.

وخرج مسلم(١) والترمذى، من حديث ابن المبارك، عن عكرمة بن عمار قال: حدثنى سماك الحنفى قال: قال يونس: سمعتُ ابن عباس رضى الله عنهما يقول: لما كان يوم بدر. وذكر مسلم من طريق عمر بن يونس الحنفى [قال:] حدثنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم آتنى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد فى الأرض.

فمازال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر رضى الله عنه، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبى الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجزلك ما وعدك، فأنزل الله [تعالى:] ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين**﴾، فأمده الله [تعالى] بالملائكة(١).

زاد مسلم: قال أبو زُميل: فحدثنى ابن عباس قال: [بينما] رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أُقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخرَّ مغشيًا، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطم أنفه، وشق وجهه بضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصارى فحدث رسول الله ﷺ، فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين(١).

قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ

---

(١) (مسلم بشرح النووى): ١٢/ ٣٢٧ - ٣٣٠، كتاب الجهاد والسير، باب (١٨) الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر وإتاحة الغنائم، حديث رقم (١٧٦٣).

لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما: ما ترون فى هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا نبى الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن نأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ، ما ترى يا ابن الخطاب: قلتُ: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنى من فلان -نسيب لعمر- فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلتُ، فلما كان من الغد، جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائكما، قال رسول الله ﷺ: أبكى الذى عرض علىّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة -شجرة قريبة من رسول الله ﷺ -فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يُثْخِنَ فى الأرض﴾[1] إلى قوله: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا﴾[1] فأحل الله تعالى الغنيمة لهم[2].

قال الواقدى: كان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس، فأقام رسول الله ﷺ ببدر، وأمر عبد الله بن كعب بقيض الغنائم وحملها، [وأمر رسول الله ﷺ نفرًا من أصحابه أن يعينوه[3]] فصلى العصر ببدر، ثم راح فمر

---

(١) الأنفال: ٦٧ - ٦٩.

(٢) (مسلم الشرح النووى): ١٢/ ٣٢٧ - ٣٣٠، كتاب الجهاد والسير، باب (١٨) الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر، حديث رقم (١٧٦٣).

(٣) زيادة للسياق من (مغازى الواقدى).

بالأثيل[1] قبل غروب الشمس، فنزل به، وبات به، وأقبل بالأسرى، حتى إذا كان بعرق الظبية[2]، أمر عاصم بن ثابت أن يضرب عنق عقبة بن أبى معيط، فقدمه فضرب عنقه، ولما نزلوا يسيراً بشعب بالصفراء، قسم الغنائم بها بين أصحابه، [وقدم] زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وتلقاه الناس يهنئونه بالروحاء حتى قدم المدينة[3] [واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر][4].

* * *

(١) الأثيل: وادٍ طوله ثلاثة أميال، بينه وبين بدر ميلان، فكأنه بات على أربعة أميال من بدر. (المرجع السابق).

(٢) عرق الظبية: موضع بالصفراء، وهناك قتل رسول الله ﷺ عُقبة بن أبى معيط. قال ابن هشام: وغير ابن إسحاق يقول: عرق الظُّبية -بضم أوله- وكان عقبة بن أبى معيط قد تفل فى وجه النبى ﷺ، فقال له ﷺ: لئن أخذتك خارج الحرم لأقتلنك، فلما أسره ببدر وبلغ عرق الظبية، ذكر نذره فقتله صبراً، وقتل حين خرج من مضيق الصفراء النضر بن الحارث. (معجم ما استعجم): ٢/ ٩٠٣.

(٣) (مغازى الواقدى): ١/ ١١٤ - ١١٥.

(٤) زيادة للسياق من كتب السيرة.

غـــزوة بني قَيْنُقَـاع

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى غزاة بنى قينقاع من اليهود، فى يوم السبت، النصف من شوال بعد البدر، فحصرهم إلى هلال ذى القعدة وجلالهم.

وقيل: كانت فى صفر سنة ثلاث من الهجرة، وجعلها ابن إسحاق بعد غزاة قرارة الكدر، ولم يتجاوز أرض المدينة.

[قال ابن الأثير: لما عاد رسول الله ﷺ من بدر، أظهرت يهود له الحسد بما فتح عليه، وبغوا ونقضوا العهد، وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً].

[فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بنى قينقاع، فقال لهم: احذروا ما نزل بقريش وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل. فقالوا: يا محمد! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة].

[فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه، فبينما هم على مجاهرتهم، إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بنى قينقاع، فجلست عند صائغ لأجل حليّ لها، فجاء رجل منهم فحل درعها إلى ظهرها، وهى لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها، فضحكوا منها، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، ونبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ وتحصنوا فى حصونهم، فغزاهم رسول الله ﷺ، وحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا على حكمه، فكتفوا وهو يريد قتلهم، وكانوا حلفاء الخزرج، فقام إليه عبد الله بن أبيّ بن سلول، فكلمه فيهم، فلم يُجبه، فأدخل يده إلى جيب رسول الله ﷺ، فغضب رسول الله ﷺ وقال: ويحك! أرسلنى، فقال: لا أرسلك حتى تُحسن إلى مواليّ،

أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، قد منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، وإنى والله لأخشى الدوائر، فقال النبى ﷺ : هم لك، خلوهم، لعنهم الله ولعنه معهم](١).

[وغنم رسول الله ﷺ والمسلمون ما كان لهم، ولم يكن لهم أرضون، إنما كانوا صاغة، وكان الذى أخرجهم عبادة بن الصامت الأنصارى، فبلغ بهم ذباب [اسم موضع]، ثم ساروا إلى أذرعات من أرض الشام، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى هلكوا](١).

[وكان ﷺ قد استخلف على المدينة أبا لُبابة، وكان لواء رسول الله ﷺ مع حمزة، وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسها، وكان أول خمس أخذه رسول الله ﷺ فى قولٍ](١).

[ثم انصرف رسول الله ﷺ، وحضر الأضحى، وخرج إلى المصلَّى، فصلى بالمسلمين، وهى أول صلاة عيد صلاها، وضحى فيه رسول الله ﷺ بشاتين، وقيل بشاة، وكان أول أضحى رآه المسلمون، وضحى معه ذو اليسار، وكانت الغزاة فى شوال بعد بدر، وقيل: كانت فى صفر سنة ثلاث، وجعلها بعضهم بعد غزوة الكدر](١).

---

(١) (الكامل فى التاريخ): ٢/ ١٣٧ - ١٣٩.

غـــزوة الســـويـق

ثم خرج إلى غزوة السويق[1]، يوم الأحد الخامس من ذى الحجة، على رأس اثنتين وعشرين شهرا من مهاجره ﷺ، فغاب خمسة أيام فى طلب أبى سفيان بن حرب ومن معه[2]، و[استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر العمرى][3].

[قال ابن هشام: [لما] فل [المنهزمون] من قريش من بدر نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا ﷺ، فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثيب، من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل، فأتى حُيَىٍّ بن أخطب فضرب على بابه، فأبى أن يفتح له بابه وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مكشم - وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم -فاستأذن عليه فأذن له. فقراه وسقاه، وبطنه من خبر الناس [أعلمه بسرهم]، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالا من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها: العريض، فحرقوا أصوار نحل بها [أى نخل مجتمع]. ووجدوا بها رجلا من الأنصار وحليفا له فى حرث لهما فقلتولهما، ثم انصرفوا راجعين، ونذر بهم الناس][2].

---

(١) السويق: طعام عبارة عن حنطة، أو شعير محمص مطحون، ممزوج بعسل وسمن.

(٢) (سيرة بن هشام): ٣/ ٣١٠ - ٣١١.

(٣) زيادة للسياق من كتب السيرة.

[فخرج رسول الله ﷺ فى طلبهم، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، وهو أبو لبابة فيما قال ابن هشام، حتى بلغ قرارة الكدر [أرض ملساء] - ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون منها للنجاة، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم](١).

[قال ابن هشام: وإنما سميت غزوة السويق، فيما حدثنى أبو عبيده، أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق، فهجم المسلمون على سويق كثير، فسميت غزوة السويق](١).

[وفى هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية، بقية من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقى فيهم الحج، والزواج، ولذلك سموها جنابة، وقالوا: رجل جنب، وقوم جنب، لمجانبتهم فى تلك الحال البيت الحرام، ومواضع قرباتهم، ولذلك عرف معنى هذه الكلمة فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿ **وإن كنتم جنبا فاطهروا** ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ **ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا** ﴾(٣).

---

(١) زيادة للسياق من (سيرة ابن هشام).

(٢) المائدة: ٦.

(٣) النساء: ٤٣.

غــزوة قـرارة الكُدْر

ثم خرج ﷺ إلى غزاة قرارة الكدر، للنصف من المحرم، على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من هجرته فى قول الواقدى. وعند ابن إسحاق: أنه خرج فى شوال سنة اثنتين بعد بدر، فى طلب غطفان وسليم، وعاد بعد خمس عشرة ليلة بعنائم[1]، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم المعيصى][2].

[قال الواقدى: خرج رسول الله ﷺ إلى قرارة الكدر إلى بنى سليم وغطفان للنصف من المحرم، على رأس ثلاثة وعشرين شهرا، وغاب خمس عشرة ليلة، وكان الذى هاجه على ذلك أنه بلغه أن بها جمعا من غطفان وسليم، فسار رسول الله ﷺ إليهم، وأخذ عليهم الطريق حتى جاء فرأى آثار النعم ومواردها، ولم يجد فى المجال أحدا، فأرسل فى أعلى الوادى نفرا من أصحابه، واستقبلهم رسول الله ﷺ فى بطن الوادى، فوجد رعاء فيهم غلام يقال له يسار، فسألهم عن الناس، فقال يسار: لا علم لى بهم، إنما أورد لخمس وهذا يوم ربعى، والناس قد ارتيعوا إلى المياه][1].

[فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر بنعم، فانحدر إلى المدينة حتى إذا صلى الصبح، فإذا هو بيسار، فرآه يصلى، فأمر القوم أن يقسموا غنائمهم، فقال القوم: يا رسول الله! إن أقوى لنا أن نسوق النعم جميعا، فإن فينا من يضعف عن حظه الذى يصير إليه][3].

---

(١) (مغازى الواقدى): ١/ ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) زيادة للسياق من (المرجع السابق).

(٣) زيادة للسياق من كتب السيرة.

[فقال رسول الله ﷺ : اقتسموا، فقالوا : يا رسول الله : إن كان أَنَمَّ بك العبد الذى رأيته يصلى، فنحن نعطيكه فى سهمك، فقال رسول الله ﷺ : قد طبتم نفسا؟ قالوا : نعم، فقبله رسول الله ﷺ وأعتقه، وارتحل الناس، فقدم رسول الله ﷺ المدينة، واقتسموا غنائمهم، فأصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة، وكان القوم مائتين][(١)].

[وعن أبى أروى الدوسى قال : كنت فى السرية، وكنت ممن يسوق النعم، فلما كنا بصرار -على ثلاثة أميال من المدينة -خمس النعم، وكان النعم خمسمائة بعير، فأخرج خمسة، وقسم أربعة أخماس على المسلمين- فأصابهم بعيران][(١)].

* * *

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

غـزوة ذى أَمـر

[وهى غـزوة غطفان]

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى غزاة ذى أمر -وهى غزوة غطفان- وكانت يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهرًا فى قول الواقدى[(١)]، وعند ابن إسحاق[(٢)]: أنها كانت فى المحرم سنة ثلاث من الهجرة، يريد ثعلبة ومحارب، وعاد من غير أن يلقى كيدًا، بعد إحدى عشرة ليلة، [واستخلف على المدينة عثمان بن عفان -رضى الله تعالى عنه][(٣)].

[سببها أن جمعًا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربى، وكان شجاعًا][(٣)].

[فندب ﷺ المسلمين، وخرج فى أربعمائة وخمسين فارسًا، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، فلما سمعوا بمهبطه ﷺ عليهم هربوا فى رؤوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم يقال له: حبان من بنى ثعلبة، فأُدخل على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وضمه إلى بلال رضى الله تعالى عنه -ليعلمه الشرائع-][(٣)].

[وأصاب النبى ﷺ مطر، فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفّا، واضطجع تحتها، وهم ينظرون إليه، فقالوا لدعثور: قد انفرد محمد فعليك

---

(١) (مغازى الواقدى): ١/١٩٣.

(٢) (سيرة ابن هشام): ٣/٣١٢.

(٣) زيادة للسياق من كتب السيرة.

به، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه ﷺ فقال: من يمنعك منى؟ فقال ﷺ: الله، فدفع جبريل فى صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه النبى ﷺ فقال: من يمنعك منى؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام. وأنزل الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[1]، ويقال: كان ذلك فى ذات الرقاع][2].

[وقال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفراً كله أو قريبًا من ذلك، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلاً منه][3].

* * *

(١) المائدة: ١١.

(٢) (المواهب اللدنية): ١/ ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٣) (سيرة ابن هشام): ٣/ ٣١٢.

غــزوة بحــران

ثم خرج ﷺ إلى بحران من ناحية الفرع، فى سادس [جمادى] الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا، ثم عاد بعد عشر ليالى، ولم يلق ﷺ كيدا، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم][1].

[وسببها : أنه بلغه ﷺ أن بها جمعًا كبيراً من بنى سليم، فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه، فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم، فرجع ولم يلق كيداً][2].

[قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران من ناحية الفُرُع بضمتين، يقال : هى أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكه، وهى من ناحية المدينة، وفيها عينان يقال لهما : الربض والنجف، يسقيان عشرين ألف نخلة، كانت لحمزة بن عبد الله بن الزبير، والفرع بفتحتين موضع بين الكوفة والبصرة، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا][3].

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (المواهب اللدنية) : ١/ ٣٨٩.

(٣) (سيرة ابن هشام) : ٣/ ٣١٣.

غـــزوة أحـــد

ثم كانت غزاة أحد، يوم السبت لسبع خلون من شوال، على رأس اثنتين وثلاثين شهرا ظاهر المدينة، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم](1).

[قال الواقدى: وقد روى كثير من الصحابة ممن شهد أُحدا قال كل واحد منهم: والله إنى لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات، وكلما أتى خالد من قبل مسيرة النبى ﷺ ليجوز حتى يأتى من قبل السفح فيرده الرماة، حتى فعلوا ذلك مرارا، ولكن المسلمين أتوا من قبل الرماة. إن رسول الله ﷺ أوعز إليهم فقال: قوموا على مصافكم هكذا فاحموا ظهرنا، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا](2).

[فلما انهزم المشركون وتبعهم المسلمون، يضعون السلاح فيهم، حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر، ووقعوا ينتهبون العسكر](2).

[قال بعض الرماة لبعض: لم تقيمون هنا فى غير شئ؟ قد هزم الله العدو، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم، فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم، فقال بعض الرماة لبعض: ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال لكم: احموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا نغنم فلا تشركونا، احموا ظهورنا؟](2).

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ٢٢٩ وما بعدها مختصراً.

[فقال الآخرون: لم يرد رسول الله هذا، وقد أذل الله المشركين وهزمهم، فادخلوا العسكر فانتهبوا مع إخوانكم يقول رافع بن خديج: فكنا أتينا من قبل أنفسنا ومعصية نبينا، واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا، ما يشعرون به من الدهشة والعجل. ولقد جرح يومئذ أسيد بن حُضَيْر جرحين، ضربه أحدهما أبو بردة وما يدرى، يقول: خذها وأنا الغلام الأنصارى! وكر أبو زغنة فى حومة القتال فضرب أبا بردة ضربتين وما يشعر، إنه يقول: خذها وأنا أبو زغنة! حتى عرفه بعد ذلك، فكان إذا لقيه قال: انظر إلى ما صنعت بى، فيقول له أبو زغنة: أنت ضربت أسيد ابن حضير ولا تشعر، ولكن هذا الجرح فى سبيل الله][1].

[فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: هو فى سبيل الله، يا أبا بردة لك أجره، حتى كأنه ضربك أحد من المشركين، ومن قتل فهو شهيد][1].

[وكانت عائشة زوج النبى ﷺ خرجت فى نسوة تستروح الخبر -ولم يضرب الحجاب يومئذ- حتى إذا كانت بمنقطع الحرة وهى هابطة من بنى حارثة إلى الوادى، لقيت هند بنت عمرو بن حرام، أخت عبد الله بن عمرو ابن حرام تسوق بعيرا لها، عليه زوجها عمرو بن الجموح، وابنها خلاد بن عمرو، وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، فقالت عائشة -رضى الله عنها- عندك الخبر، فما وراءك؟ فقالت: هند: خيرا؛ أما رسول الله فصالح، وكل مصيبة بعده جلل][1].

[واتخذ الله من المؤمنين شهداء، ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾[2]].

---

(١) (مغازى الواقدى): ١ / ٢٢٩ وما بعدها مختصراً.

(٢) الأحزاب: ٢٥.

غـــزوة حمـراء الأسـد

وخرج يوم الأحد، صبيحة أُحد إلى حمراء الأسد، في طلب قريش، ثم عـاد بعـد ثلاث، ولم يلق كـيـدا، [واسـتـخلف على المدينة ابن أم مكتوم][1].

[قال الواقدى: وكانت يوم الأحد لثمان خلون من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهرا، ودخل المدينة يوم الجمعة وغاب خمسا][2].

[وقال جابر بن عبد الله: يا رسول الله، إن مناديا نادى ألا يخرج معنا إلا من حضر القتال بالأمس، وقد كنت حريصًا على الحضور، ولكن أبى خلفنى على أخوات لى وقال: يا بنى، لا ينبغى لى ولك أن ندعهن ولا رجل عندهن، وأخاف عليهن وهن نسيات ضعاف؛ فأذن لى يا رسول الله أن أسير معك، فأذن له رسول الله ﷺ][2].

[قال جابر: فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيرى، واستأذنه رجال لم يحضروا القتال فأبى ذلك عليهم][2].

[وخرج رسول الله ﷺ وهو مجروح، فى وجهه أثر الحلقتين، ومشجوج فى جبهته فى أصول الشعر، ورباعيته قد شطيت، وشفته قد كلمت من باطنها، وهو متوهن منكبه الأيمن بضربة ابن قميئة، وركبتاه محجوشتان][2].

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ٣٣٤ وما بعدها مختصراً.

[فدخل رسول الله ﷺ المسجد فركع ركعتين، والناس قد حشدوا، ونزل أهل العوالى حيث جاءهم الصريخ، وبعث رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم، فلحقوهم بحمراء الأسد، ولهم زجل، وهم يأتمرون بالرجوع](١).

[ومضى رسول الله ﷺ فى أصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، قال جابر: وكان عامة زادنا التمر؛ وحمل سعد بن عبادة ثلاثين جملا حتى وافت الحمراء، وساق جزرا فنحروا فى يوم اثنين وفى يوم ثلاثا](١).

[وكان رسول الله ﷺ يأمرهم فى النهار بجمع الحطب، فإذا أمسوا أمرنا أن نوقد النيران، فيوقد كل رجل نارا، فلقد كنا تلك الليالى نوقد خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا فى كل وجه حتى كان مما كبت الله تعالى عدونا](١).

[ومر بأبى سفيان نفر من عبد القيس يريدون المدينة، فقال: هل أنتم مبلغوا محمدا وأصحابه ما أرسلكم به، على أن أوقر لكم أباعركم زبيبا غدا بعكاظ، إن أنتم جئتمونى؟ قالوا: نعم، قال: حيثما لقيتم محمدا وأصحابه فأخبروهم أنا قد أجمعنا الرجعة إليهم، وأنا فى آثارهم، فانطلق أبو سفيان](١).

[وقدم الركب على النبى ﷺ وأصحابه بالحمراء، فأخبروهم الذى أمرهم أبو سفيان، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وفى ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾(٣)].

---

(١) (مغازى الواقدى): ١/ ٣٣٤ وما بعدها.

(٢) آل عمران: ١٧٢.

(٣) آل عمران: ١٧٣.

غــزوة بنى النضيــر

ثم خرج ﷺ إلى غزوة بنى النضير من اليهود، فى ربيع الأول، على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة، فى قول الواقدى. وقال الزهرى: [هى] غزوة كانت على رأس ستة أشهر من وقعة [بدر] قبل أحد. وجعلها ابن إسحاق بعد بئر معونة وأحد، فحصرهم ست ليالى، حتى أنزلهم وجلاهم عن المدينة، ثم عاد بعد خمسة عشر يوما(١)، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم](٢).

[قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية القتيلين من بنى عامر، فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم، نُعينُكَ على ما أحببت مما استعنت بنا عليه](٣).

[ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه -ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد -فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟](٣).

[فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه، فيهم: أبو بكر، وعمر وعلى - رضوان الله تعالى عليهم](٣).

---

(١) قال الواقدى: كانت فى ربيع الأول، على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجرة النبى ﷺ. (المغازى): ١/ ٣٦٣.

(٢) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٣) (سيرة ابن هشام): ٤/ ٤٣ - ١٤٦ مختصراً.

[فأتى رسولَ الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة، فلما استلبث النبى ﷺ أصحابه، قاموا فى طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه؛ فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم][1].

[قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه فى الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد! قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟][1].

[قال أهل التأويل: وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شئ، حتى أنزل الله تعالى: ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها**﴾، واللينة: ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى، ففى هذه الآية: أن النبى ﷺ لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس، وكانوا يقتاتون العجوة، وقال تعالى: ﴿**لينة**﴾، ولم يقل: نخلة على العموم، تنبيها على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو، إذا رجى أن يصير إلى المسلمين][1].

[وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول الله ﷺ][1].

[ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها][1].

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٤٣ - ١٤٦ مختصراً.

[قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله ﷺ قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعْلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون] .

[ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته ، وما سلط عليهم به رسول الله ﷺ ، وما عمل به فيهم[1]] .

* * *

---

(١) (سيرة ابن هشام : ٤ / ١٤٣ - ١٤٦ مختصراً

غـــزوة بـدر الموعـد

وخرج ﷺ إلى بدر الموعد لهلال ذى القعدة، على رأس خمسة وأربعين شهرا، فأقام بها ليوافيه أبو سفيان، فلم يأته، وعاد بعد ست عشرة ليلة إلى المدينة، ولم يلق كيدا. [واستعمل على المدينة عبد الله بن أبى ابن سلول الأنصارى](١).

[خرج رسول الله ﷺ لملاقاة أبى سفيان فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان، قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظهران](٢).

[وبعض الناس يقول: قد بلغ عسفان، ثم بدا له فى الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإنى راجع، فارجعوا، فرجع الناس. فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق](٢).

[وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بنى ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، قال: لا والله يا محمد، مالنا بذلك منك حاجة(٢)].

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (سيرة ابن هشام): ٤ / ١٦٥.

غـزوة ذات الرقـاع

ثـم خـرج ﷺ إلى غـزوة ذات الرقاع من نخل، ليلة السبت، لعـشر خلون من المحرم، على رأس سبعة وأربعين شهرا، يريد أنمارا وثعلبة، فبلغ صرار، وعاد يوم الأحد لخمس بقين منه، [فكانت] غيبته خمسة عشرة ليلة، ولم يلق كيدا، [واستخلف على المدينة عثمان بن عفان -رضى الله عنه][١].

[قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى، ثم غرا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان، حتى نزل نخلا [موضع بنجد]، وهى غزوة ذات الرقاع][٢].

[قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رفعوا فيها راياتهم، ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع][٢].

[وذكر غيره : أنها أرض فيها يقع سود، ويقع بيض، كأنها مرقعة برقاع مختلفة، فسميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فى تلك الغزاة][٢].

[وأصح من هذه الأقوال كلها، ما رواه البخارى فى صحيحه من طريق أبى موسى الأشعرى، قال : « خرجنا مع النبى ﷺ فى غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماى، وسقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من

---

(١) قال ابن إسحاق : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى؛ ويقال : عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام، (المرجع السابق).

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٤/ ١٥٧ – ١٦٥ .

الخرق على أرجلنا، فحدق أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك فقال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيئا من عمله أفشاه](١).

[قال ابن إسحاق: فلقى بها جمعا عظيما من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس](١).

[قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله، أن رجلا من بني محارب، يقال له: غورث، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: بلى، وكيف نقلته؟ قال: أفتك به، قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حجره، فقال: يا محمد، انظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم -وكان محلى بفضة، فيما قال ابن هشام- قال: فأخذه فاستله، ثم جعل يهزه، ويهم فيكبته الله تعالى، ثم قال: يا محمد! أتخافني؟ قال: لا، وما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدى السيف؟ قال: لا، يمنعني الله منك، ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فرده عليه](١).

[قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾](١).

[قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش، أخي بني النضير، وما هم به، فالله أعلم أي ذلك كان](١).

[ثم حكى ابن إسحاق قصة جمل جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- وتخلفه، وأنه سبق بعد ذلك ببركة رسول الله ﷺ، ثم قال ﷺ: يا جابر،

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٥٧ - ١٦٥.

هل تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال ﷺ: أثيبا أم بكرا؟ قال: لا، بل ثيبا؛ قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك! قال: قلت: يا رسول الله، إن أبى أصيب يوم أحد، وترك بنات له سبعا، فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن، وتقوم عليهن؛ قال: أصبت إن شاء الله](١).

[قال: فلما جئنا صرارا [موضع قريب من المدينة] أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا](١).

[فترك رسول الله ﷺ منزلا، فقال: من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟ فانتدب رجل من المهاجرين، رجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونا بفم الشعب، قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادى، وهما: عمار بن ياسر، وعباد بن بشر، فيما قال ابن هشام](١).

[قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب، قال الأنصارى للمهاجرى: أى الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟ قال: بل اكفنى أوله، قال: فاضطجع المهاجرى فنام، وقام الأنصارى يصلى، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم أى الطليعة الذى يحرس القوم من مكان مرتفع](١).

[قال: فرمى بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائما، قال: ثم رماه بسهم آخر، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه فيه، وثبت قائما، ثم عادله بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبة فقال: اجلس قد أثبت «أى جرحت جراحة بالغة»](١).

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٥٧ – ١٦٥.

[قال: فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجرى، بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهببتنى أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة أقرأها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها «أتم قراءتها»، فلما تابع على الرمى ركعت فأذنتك، وايم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها](١).

[وفى هذا الحديث من الفقه صلاة المجروح، وفيه متعلق لمن يقول: إن غسل النجاسة لا يعد فى شروط صحة الصلاة، وفيه من الفقه أيضا تعظيم حرمة الصلاة، وأن للمصلى أن يتمادى عليها وإن جر إليه ذلك القتل، وتفويت النفس، مع أن التعرض لفوات النفس لا يحل إلا فى حالة المحاربة، ألا ترى إلى قوله: «لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها» يعنى السورة التى كان يقرأها](١).

[قال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع، أقام بها بقية جمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ورجبا](١).

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/١٥٧ - ١٦٥ مختصرا.

غـزوة دومـة الجنـدل

ثم خـرج ﷺ إلى غـزاة دومـة الجندل، فى الخـامس والعـشـرين من ربيع الأول، على رأس تسعة وأربعين شهرا، وعاد فى العشرين من ربيع الآخر، [واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة](١).

[دومة الجندل: بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة بسير الإبل، وسميت بدومى بن إسماعيل عليه السلام، لأنها نزلها](٢).

[كانت غزوة دومة الجندل -كما قال الواقدى- فى ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا، خرج رسول الله ﷺ لخمس ليال بقين من ربيع الأول، وقدم لعشر بقين من ربيع الآخر](٢).

[[لما] أراد رسـول الله ﷺ أن يدنو إلى الشـام، وقـيل له: إنهـا طرف من أفواه الشام، فلو دنوت لها كان ذلك مما يفزع قيصر، وقد ذكر له أن بدومة الجندل جمعا كثيرا، وأنهم يظلمون من مرَّ بهم من الضافطة [جمع ضافط، وهو الذى يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، والمكارى الذى يكرى الأحمال، وكانوا يؤمنذ قوما من الأنباط، يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت]، وكان بها سوق عظيم وتجار، وضوى إليهم قوم من العرب كثير، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة](٢).

[فندب رسـول الله ﷺ الناس، فـخـرج فى ألفين من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من بنى عذرة يقال له: مذكور، هاد خِرِّيتٌ [ماهر بالطرق ومسالكها](٢).

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (مغازى الواقدى): ١/ ٤٠٢ - ٤٠٤ مختصراً.

[فخرج رسول الله ﷺ مُغِذًّا للسير، ونكب عن طريقهم، ولما دنا رسول الله ﷺ من دومة الجندل -وكان بينه وبينها يوم أو ليلة سير الراكب المعتق- [السريع]، قال له الدليل: يا رسول الله: إن سوائمهم ترعى، فأقم لى حتى أطلع لك، قال رسول الله ﷺ: نعم](١).

[فخرج العذرى طليعة حتى وجد آثار النعم والنساء وهم مغربون، ثم رجع إلى النبى ﷺ فأخبره، وقد عرف مواضعهم، فسار النبى ﷺ حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب رسول الله ﷺ من أصاب، وهرب من هرب فى كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا](١).

[ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد بها أحدا، فأقام بها أياما وبث السرايا، وفرقها، حتى غابوا عنه يوما ثم رجعوا إليه، ولم يصادفوا منهم أحدا، وترجع السرية بالقطعة من الإبل، إلا أن محمد بن مسلمة أخذ رجلا منهم، فأتى به النبى ﷺ، فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمس حيث سمعوا بأنك قد أخذت نعمهم](١).

[فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام أيامًا فأسلم، فرجع النبى ﷺ إلى المدينة(١).

* * *

(١) (مغازى الواقدى): ١/ ٤٠٢ - ٤٠٤.

غـزوة المـريسيـع

ثـم خـرج ﷺ إلى غزاة المر يسيع، يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خـمس من الهـجـرة، فأوقع بنى المصطلق من خـزاعـة، وعـاد لهـلال رمضان، فغاب شهرا إلا ليلتين، وعند ابن إسحاق: أنها كانت فى شعبان من السنة السادسة، [واستخلف على المدينة زيد بن حارثة][(١)].

[[المر يسيع]: بضم أوله وفتح ثانيه بعده ياء ساكنه، وسين مكسورة مهملة، بعدها ياء أخرى، وعين مهملة، على لفظ التصغير: قرية من وادى القرى، كان الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير نازلا فى ضيعته بالمر يسيع، مقيما فى مسجدها، لا يخرج منها إلا إلى وضوء، فكان دهره كالمعتكف][(٢)].

[قـال البـخـارى: المر يسـيع: مـاء بنجـد، فى ديار بنى المصطلق من خزاعة][(٢)].

[قال ابن إسحاق: من ناحية قديد إلى الشام، غزاة رسول الله ﷺ سنة ست، فـهى غـزوة المر يسـيع، وغـزوة بنى المصطلق، وغـزوة نجـد، قـال ابن إسحاق: سنة ست، وقال موسى بن عقبة: سنة أربع، قال الزهرى: وفيها كان حديث الإفك][(٢)].

[قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة، فى شعبان سنة ست][(٢)].

---

(١) قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى، ويقال: نميلة بن عبد الله الليثى.

(٢) المرجع السابق (سيرة ابن هشام): ٤ / ٢٥٢.

[قالوا: [لما] بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار، أبو جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم](١).

[وقد استشهد رجل من المسلمين يقال له: هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ](١).

[ثم راح رسول الله ﷺ بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له: بقعاء، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة آذتهم، وتخوفوها](١).

[فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت، أحد بنى قينقاع، وكان عظيما من عظماء اليهود، وكهفا للمنافقين، مات فى ذلك اليوم](١).

[وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما -فيما يظهر- فقال: يا رسول الله، جئتك مسلما، وجئتك أطلب دية أخى، قتل خطأ، فامر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدا](١).

---

(١) (المرجع السابق).

[وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبيا كثيرا، فشا قسمه بين المسلمين، وكان فيمن أصيب من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوج رسول الله ﷺ][1].

[وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك، حتى إذا كان قريبا من المدينة، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا][1].

(١) (سيرة ابن هشام): ٤ / ٢٥٢ وما بعدها مختصرا، وحديث الإفك معروف أمسكنا عن ذكره لطوله واشتهاده.

[غـزوة الخنـدق]

ثم كانت غزاة الخندق، ظاهر المدينة، فى ذى القعدة سنة خمس، وقيل: كانت فى شوال، وقيل: بل كانت فى سنة أربع، فأقام فيها خمسة عشر يومًا، وقيل: عشرين يومًا، وقيل: نحو شهر، ولم يتجاوز أرض المدينة، [وهى آخر غزاة غزاها أهل الكفر إليه ﷺ]، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم][1].

[لم يكن حفر الخندق من عادة العرب، ولكنه من مكايد الفرس وحربها، ولذلك أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه][2].

[كان من حديث الخندق: أن نفرًا من اليهود حَزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله][2].

[فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبًا للمسلمين فى الأجر، وعمل معه المسلمون فَدَأَبَ فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين، وظهر أثناء حفر الخندق كثير من المعجزات ودلائل النبوة، سبق ذكرها فى أبواب معجزات النبى ﷺ][2].

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزَغابة [أسماء مواضع] فى عشرة آلاف من

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (سيرة ابن هشام) : ٤ / ١٧٠ - ١٩٢ مختصراً.

أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة، وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد،، حتى نزلوا بذَنَب نَقْمَى، إلى جانب أُحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع [جبل بالمدينة] في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء فَجُعِلُوا في الآكام، [الحصون].][1].

[وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل الظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قُشير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط][1].

[قال ابن هشام: وأخبرني من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قُشير لم يكن من المنافقين، واحتج بأنه كانت من أهل بدر][1].

[قال ابن إسحاق: وحتى قال أَوْس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ، وأقام عليه المشركون بضعًا وعشرين ليلة، قريبًا من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار][1].

[قال ابن إسحاق: وكانت عائشة أم المؤمنين في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن، فقالت عائشة وذلك قبل أن يُضرب عليها الحجاب: فمرَّ سعد وعليه درع له مقصلة [قصيرة قد ارتفعت عن حدها]، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربته يرفل بها ويقول:][1].

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤ / ١٧٠ - ١٩٢ مختصراً.

[لبِّثْ قليلاً يشهد الهيجا جمل

لا بأس بالموت إذا حان الأجل][1]

[فقالت له أمه: اَلْحقْ أى بنى، فإنك والله أخَّرْتَ!][1]

[قالت عائشة: فقلتُ لها يا أم سعد، والله لوددت أنَّ درع سعد كانت أسبغ مما هى؟ قال: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فَرُمِى سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكحل [عرق فى وسط الذراع]، رماه كما حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة: حبان بن قيس بن العرقة، أحد بنى عامر بن لؤى، فلما أصابه قال: خذها منى وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرَّق الله وجهك فى النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها، فإنه لا قوم أحب إلىَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه. اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة، ولا تمتنى حتى يُقرَّ عينى من بنى قريظة.][1]

[فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صُنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بنى قريظة: عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر [الإبل والخيل]، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ ما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نفعل فيه شيئًا، وقد كان أحدث بعضنا حدثًا، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا، ثقة لنا نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضرَّتكم الحرب [نالت منكم]، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا [ترجعوا] إلى بلادكم، وتتركونا، والرجُل فى بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه.][1]

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٧٠ - ١٩٢ مختصراً.

[فلما رجعتْ إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريشٌ وغطفان: والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسَلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا](١).

[فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذين ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، خلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رُهُنا، فأبوا عليهم، وخذَّل الله بينهم](١).

[وبعث الله عليهم الريح فى ليالٍ شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأحلفتنا بنو قرطيظة، وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قِدْرٌ، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإنى مُرتحل](١).

[قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة، والمسلمين، ووضعوا السلاح(١)].

* * *

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٧٠ - ١٩٢ مختصراً.

[غـزوة بنى قُرَيْظَـة]

وخرج [ﷺ] إلى غزاة بنى قريظة من اليهود، يوم الأربعاء لسبع خلون من ذى الحجة، سنة خمس، فحصرهم خمسًا وعشرين ليلة، وقيل: خمسة عشر يومًا، وقيل: شهرًا، حتى نزلوا، فقتل المقاتلة، وسبى النساء والذّرية، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم](1).

[قال ابن إسحاق: فلما كانت الظهيرة أتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ كما حدثنى الزرى، معتجرًا [الاعتجار التعمم على الرأس فقط دون جوانب الوجه أو اللحية] بعمامة من إستبرق [ديباج غليظ حسن] على بغلة عليها رحالة [سرج] عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوَقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال : نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عزَّ وجلَّ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم](2).

[فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا، فأذن فى الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة، وقدَّم رسول الله ﷺ عليَّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة، وابتدرها الناسُ، فسار عليُّ بن أبى طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن تدنوا من هؤلاء الأخابث، قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئًا، فلما دنا رسول الله ﷺ من

---

(1) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(2) (سيرة ابن هشام) : ٤/١٩٢ - ٢١٢ مختصرًا.

حصونهم قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم. ما كنت جهولاً][1].

[ومرَّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه قبل أن يصل إلى بني قريظة، قال: هل مرَّ بكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله قد مرَّ بنا دِحْية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة دباج، فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبريل بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب][1].

[قال ابن هشام: حدثني بعض من أثق به من أهل العلم: أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم، فقالوا: يا محمد، ننزل على حكم سعد بن معاذ، ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث، - امرأة من بني النجار - ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، ثم يخرج بهم أرسالاً [طائفة بعد أخرى] وفيهم عدو الله حييّ بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثرلهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة، وأُتي بحييّ بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك، ولكنه من يخْذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتابٌ وقدر، ملحمةٌ كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضُربت عنقه، قال ابن إسحاق:][1].

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ٩١٢ - ٢١٢ مختصراً.

[ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازى][1].

[ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصارى بسبى من سبايا بنى قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحًا][1].

[قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بنى قريظة، انفجر بسعد بن معاذ جرحه، فمات منه شهيداً[1].]

---

(١) (سيرة ابن هشام): ٤/ ١٩٢ - ٢١٢ مختصراً.

[غزوة بنى لَحيان]

ثم خرج [ﷺ] إلى غزوة بنى لحيان من هُذيل، لهلال ربيع الأول سنة ست، فنزل عسفان وعاد بعد أربع عشرة ليلة، وقيل: كانت فى [جمادى] بعد بنى قريظة، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم][1].

[قال ابن هشام: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهرى ربيع، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خُبيب بن عدى وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من العدو غِرَّة][2].

[قال ابن إسحاق: فسلك على غراب، – جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام –، ثم على محيص، ثم على البتراء، ثم صَفَّق [عدل] ذات اليسار، فخرج على بِين، ثم على صخيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجَّة من طريق مكة، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤوس الجبال، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غِرتهم ما أراد، قال: لو أنَّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكة أنَّا قد جئنا مكة، فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغ كُراع الغَميم، ثم كَرَّ وراح رسول الله ﷺ قافلاً][2].

[فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا: آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر فى الأهل والمال][2].

---

(1) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(2) المرجع السابق.

[غـزوة الغابـة]

ثم خـرج [ﷺ] إلى الغـابـة، فى طلب عـيينـة بن حـصن الفـزارى، لما أغـار على لقـاح رسـول الله ﷺ، فى يوم الأربعـاء لثـلاث خلون من ربيع الآخـر سـنة ست، ورجـع ليلـة الإثنـين، وقـيـل: بـل خــرج إلى غــزاة المريسيع فى شـعبان، بعـد غزوة الغابة هذه، [واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم][1].

[وتعرف بذى قَرَد – بفتح القاف وبالدال المهـملة – وهو ماء على بريد من المدينة، فى ربيع الأول سنة ست، قبل الحديبية][2].

[وعند البخارى أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، وفى مسلم نحوه. قال مغلطاى: وفى ذلك نظراً لإجماع أهل السير على خلافهما. قال القرطبى – شـارح مـسلم – لا يخـتلف أهل السـيـر أن غـزوة ذى قـرد كـانت قـبل الحديبية. وقال الحافظ ابن حجر: ما فى الصحيح من التاريخ لغزوة ذى قَرَد أصح مما ذكر أهل السير][2].

[وسـببـهـا أنه كـان لرسـول الله ﷺ عـشـرون لَقْـحة – وهى ذوات اللبن، القـريبَـة العـهـد بالولادة – ترعى بالغـابة، وكـان أبو ذرّ فـيـهـا، فـأغـار عليـهم عيينة بن حصن الفزارى ليلة الأربعاء، فى أربعين فارساً فاستاقوها، وقتلوا ابن أبى ذرّ][2].

[ونودى: يا خيل الله اركبى، وكان أول ما نودى بها، وركـب رسـول الله ﷺ فى خمسمائة، وقيل: سبعمائة وخلف سعد بن عبادة فى ثلاثمائة

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (المواهب اللدنية): ١/ ٤٧٤ – ٤٧٦.

يحرسون المدينة][1].

[وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواءً في رمحه وقال له: امض حتى تلحقك هذه الخيول، وأنا على أثرك، فأدرك أخريات العدو، وأدرك سلمة ابن الأكوع القوم وهو على رجليه، فجعل يرميهم بالنبل وهو يقول:][1]

[خـــذهـا وأنـــا بـــن الأكـــوع

والـيـــوم يـــوم الـرُّضـــع][1]

[يعني هلاك اللئام، من قولهم: لئيم راضع، أي راضع اللؤم في بطن أمه، وقيل: معناه: اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها، ويعرف غيره][1].

[وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قرد، فاستنفذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي وهي عشر][1].

[وصلى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف، وأقام يومًا وليلة ورجع. وقد غاب خمس ليال، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها][1].

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٤٧٤ – ٤٧٦، مختصراً.

[غـزوة خَيْبَر]

ثم خرج [ﷺ] إلى غزوة خيبر فى صفر سنة سبع، وقيل: كانت فى سنة ست، فحاصر اليهود حتى غَنَّمه الله ديارهم، وأموالهم، ومضى منها إلى وادى القرى، فقابل يهود، وأخذها عنوة، وانصرف بعد ما أقام بوادى القرى أربعة أيام، فقدم المدينة، [واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفَطَة الغِفارى][1].

[أخرج البخارى من حديث أبى هريرة قال: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدَّعى الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها سهمًا فنحر نفسه، فاشتدَّ رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله، صدَّق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال: قم يا فلان فأَذِّن لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر][2].

[وقاتل النبى ﷺ أهل خيبر، وقاتلوه أشدّ القتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله حصنًا حصنًا، وهى : النطاة، وحصن الصعب،، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، والشق، وحصن أُبىٍّ، وحصن البرئ، والقموص، والوطيح،

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) رواه البخارى برقم (٤٢٠٣).

والسلالم، وهو حصن بنى أبى الحقيق][1].

[وأخذ كنز آل بنى الحقيق الذى كان فى مسك [جلد] الحمار، وكانوا غيبوه فى خربة، فدل الله رسوله عليه فاستخرجه][1].

* * *

(١) (المواهب اللدنية): ٤ / ٥١٧ - ٥٢٤ مختصراً.

[غـزوة الفتـح]

ثم كـانت غـزاة الفـتـح، خـرج إليـهـا رسـول الله ﷺ من المدينة، يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة، ونزل الحجون يوم الجمعة، لعشر بقين منه، وقيل: لثلاث عشرة مضت منه، وكان يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة، وقد فتح الله عليه مكة عنوة، وقيل: صلحًا، وقيل: بعضها عنوة، وبعضها صلحًا، [واستخلف ابن أم مكتوم](١).

[خرج رسول الله ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية، فإنه كان قد وقع الشرط: أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل. فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله وعهده](٢).

[ثم خرج عليه السلام فأمر عائشة أن تجهزه ولاتعلم أحداً. قالت: فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بنية، ما هذا الجهاز؟ فقال: والله ما أدرى، فقال: والله ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فأين يريد رسول الله؟ قالت: والله لا علم لى](٢).

[وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ المدينة يسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة، فأبى عليه فانصرف إلى مكة، فتجهز رسول الله ﷺ

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٦٠ - ٥٨٠ مختصراً.

من غير إعلام أحد بذلك. فكتب حاطب كتابًا وأرسله إلى مكة يخبر بذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال عمر رضى الله عنه: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به، لما كان من عند عمر من القوة فى الدين، وبغض المنافقين، فظن أن من خالف ما أمر به النبى ﷺ استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن فى قتله، وأطلق عليه منافقًا لكونه أبطن خلاف ما أظهر»، وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه](١).

[وبعث رسول الله ﷺ إلى من حوله من العرب فجلبهم: أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق، فكان المسلمون فى غزوة الفتح ما بين العشرة آلاف والاثنى عشر ألفًا على خلاف بين أهل السير](١).

[وخرج يوم الأربعاء لعشر ليالٍ خلون من رمضان، بعد العصر، سنة ثمان، قال الواقدى: وعند أحمد بإسناد صحيح عن أبى سعيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان، ثم سار ﷺ فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات، ودفعها إلى القبائل. ثم نزل مرَّ الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، ولم يبلغ قريشًا مسيره، وهم مغتمون لما يخافون من غزوهم إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران، فلما رأوا العسكر أفزعهم](١).

[فرآهم ناسٌ من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم، فأخذوهم، فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: احبس أبا

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٦٠ - ١٨٠ باختصار.

سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ كتيبة كتيبة على أبي سفيان](١).

[قال الخطابي: تمنى أبو سفيان أن تكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم، وقيل هذا يوم الغضب للحريم والأهل،والانتصار لهم لمن قدر عليه، وقيل: هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه](١).

[وقال ابن إسحاق: زعم بعض أهل العلم أن سعداً قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله! ما آمن أن يكون لسعد في قريش صولة، فقال لعليّ: أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها](١).

[وقد روى أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ لما حاذاه: أَمَرْتَ بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له ما قال سعد بن عبادة، ثم ناشده الله والرحم، فقال: يا أبا سفيان: اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله قريشًا، وأرسل إلى سعدٍ فأخذ الراية منه، فدفعها إلى ابنه قيس](١).

[وفي يوم فتح مكة اغتسل رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ ثم صلى الضحى ثماني ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخفّ منها، غير أنه يتم الركوع والسجود](١).

[ولما كان الغد من يوم الفتح، قام ﷺ خطيبًا في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إن الله حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، أو يعضد بها شجرة، فإن أحد

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٦٠ - ٥٨٠ باختصار.

ترخص فيها لقتال رسوله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أُحلت ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب][1].

[ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء][1].

* * *

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٦٠ - ٥٨٠ باختصار.

[غـزوة حُنَيْن]

ثم سـار إلى غـزاة حُنـين، وقـد اجتمـع بها هـوازن وثقيف، فأوقع بهم، وغنـم ما بأيديهـم، فى يـوم [الثـلاثاء]، لعـشـر خلون من شـوال، ثم نـزل على الطائـف ثمانيـة عشر يومًا، وقيـل: تسعـة عشر يومًا، وقيـل: خمسـة عشـر يومًا، وقيـل: أربعين يومًا، ثـم رحل عن ثقيف، وعـاد إلى الجعـرانـة، وقـسَّم غنائـم هـوازن، وأقـام بهـا ثلاثة عـشـر يومـًا، وخـرج ليلـة الأربعـاء لاثنتى عـشرة بقيت مـن ذى القعـدة، ودخل مكـة محـرمًا بعـمـرة، وخـرج منها يـوم الخميـس، فسلك على سـرف إلى مـرّ الظهران، وقدم يوم الجمعة، لثلاث بقيت من ذى القعدة، [واستخلف يومئذ ابن أم مكتوم](١).

[حُنين – بالتـصـغـيـر – وادٍ قـرب ذى المجاز، وقـيـل: مـاء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف، وتسمى غزوة هوازن](٢).

[لما فرغ النبى ﷺ من فتح مكة وتمهيدها، وأسلم عامة أهلها، مشت أشـراف هوازن وثـقـيـف بعـضـهـم إلى بعض، وحـشـدوا وقـصـدوا مـحـاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف النصرى](٢).

[فخرج إليهم رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليالٍ خلون من شـوال، فى اثنى عـشـر ألفًـا من المسلمين، عـشـرة آلاف من أهل المدينة، وألفـان ممن أسلم من أهل مكة، وهم الطلقـاء، يعنى الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم، فلم يسترقهم، واحدهم طليق – فعيل بمعنى مفعول – وهو الأسير إذا أُطلق سبيله](٢).

---

(١) زيادة للسياق من كتب السيرة.

(٢) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٩٦ – ٦٠٥ مختصراً.

[وخرج معه ﷺ ثمانون من المشركين، منهم صفوان بن أمية، وكان ﷺ استعار منه مائة درع بأداتها، فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال، فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب، ووجه رسول الله ﷺ عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى، فدخل عسكرهم، فطاف به، وجاء بخبرهم][1].

[وقال رجلٌ يوم حنين: لن نُغلب اليوم من قلة، فَشَقَّ ذلك على النبى ﷺ، ثم ركب بغلته البيضاء [دلدل]، ولبس درعين والمغفر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك فى غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادى، فحملوا حمله واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية، وتبعهم أهل مكة والناس][1].

[ولم يثبت معه ﷺ يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد، فى أناس من أهل بيته وأصحابه ﷺ][1].

[قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو، لأنه ﷺ كان يتقدم فى نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه، وجعل عليه السلام يقول للعباس: ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة [يعنى شجرة بيعة الرضوان] التى بايعوه تحتها أن لا يفروا عنه][1].

[فجعل ينادى تارة: يا أصحاب السمرة، وتارة: يا أصحاب سورة البقرة – وكان العباس رجلاً صيتًا – فلما سمع المسلمون نداء العباس، أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها][1].

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٩٦ – ٦٠٥ مختصراً.

[فأمرهم ﷺ أن يصدُقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس، وهو التنور يخبز فيه، يضرب مثلاً لشدة الحرب الذى يشبه حرها حرَّه، وهذه من فصيح الكلام الذى لم يُسمع من أحد قبل النبى ﷺ وتناول ﷺ حصيات من الأرض ثم قال: شاهت الوجوه - أى قُبحت - ورمى بها فى أوجه المشركين، فما خلق الله تعالى منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه من تلك القبضة][(١)].

[وفى البخارى [٤٣١٦، ٤٣١٧] عن البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال ولكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة، ولما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها، وهو يقول: أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب][(١)].

[وهذا فيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبى، والنبى لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، بل أنا متيقن أن الذى وعدنى الله به من النصر حق، فلا يجوز علىَّ الفِرار][(١)].

[وأمر ﷺ بطلب العدوّ، فانتهى بعضهم إلى الطائف، وبعضهم نحو نخلة، وقوم منهم إلى أوْطاس، واستشهد من المسلمين أربعة، وقُتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلاً][(١)].

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٥٩٦ - ٦٠٥ مختصراً.

[غـزوة تبـوك]

ثم خرج ﷺ إلى غزاة تبوك، في رجب سنة تسع، فأقام بها عشرين ليلة وعاد ولم يلق كيداً، وهى آخر غزوة خرج إليها بنفسه[1] ﷺ، [واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة، وقيل: على بن أبى طالب، وقيل: سباع بن عرفطة][2].

وقـاتل ﷺ مع هذه فى تسع؛ وهى: بدر المعظمـة، وأحـد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وقيل أنه ﷺ قاتل فى وادى القرى والغابة، ولم يكن فى سائرها قتال أصلاً.

[تبوك: مكان معروف، وهى نصف طريق المدينة إلى دمشق وهى غزوة العسرة، وتُعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها][2].

[كانت يوم الخميس فى رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف، وكان حراً شـديداً، وجـدبًا كـثيـراً، فلذلك لم يور عنهـا كـعـادته ﷺ فى سـائر الغزوات][2].

[وفى (تفسير عبد الرزاق)، عن معمر عن ابن عقيل قال: خرجوا فى قلة من الظهر وفى حرٍّ شديد، حيث كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كـرشـه من الماء، فكان ذلك عُـسـرة فى الماء، وفى الظهـر، وفى النفـقـة، فسميت غزوة العسرة][2].

---

(١) المرجع السابق): ٦٢٩.

(٢) (المواهب اللدنية): ١/ ٦٢٥ - ٦٣٨ مختصراً.

[وسببها أنه بلغه ﷺ من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة، أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل، فندب ﷺ الناس إلى الخروج، وأعلمهم بالمكان الذى يريد، ليتأهبوا لذلك].

[وروى عن قتادة أنه قال: حمل عثمان فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً].

[وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة، فنثرها فى حجره ﷺ، فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها فى حجره وهو يقول: ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم].

[ولما تأهب رسول الله ﷺ للخروج، قال قوم من المنافقين لا تنفروا فى الحر، فنزل قوله تعالى: ﴿ **وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون** ﴾][1].

[وأرسل ﷺ إلى مكة وقبائل العرب يتنفرهم، وجاء البكاؤون يستحملونه، فقال ﷺ: لا أجد ما أحملكم عليه،وهم الذين قال الله فيهم ﴿ **وتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون** ﴾][2].

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فى التخلف، فأذن لهم، وهم اثنان وثمانون رجلا، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة، جراءة على الله ورسوله، وهو قوله تعالى: ﴿ **وقعد الذين كذبوا على الله ورسوله** ﴾][3].

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب؛ منهم: كعب بن

---

(١) [التوبة: ٨١].

(٢) [التوبة: ٩١].

(٣) [التوبة: ٩٠].

مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وفيهم نزل: ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلفوا** ﴾][1].

[ولما رأى أبا ذر الغفارى – وكان ﷺ نزل فى بعض الطريق – فقال: يمشى وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده، فكان كذلك][1].

[ولما انتهى ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء، وأذرح [بلدين بالشام بينهما ثلاثة أميال] فأعطوه الجزية وكتب لهم ﷺ كتابًا][1].

[وفى هذه الغزوة كتب ﷺ كتابًا إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم تُجب][1].

[وفى (مسند أحمد) أن هرقل كتب من تبوك إلى النبى ﷺ: أنى مسلم، فقال النبى ﷺ: كذب، وهو على نصرانيته][1].

[وفى كتاب (الأموال) لأبى عبيد بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه، ولفظه: فقال: كذب عدوّ الله، ليس بمسلم][1].

[ثم انصرف ﷺ من تبوك، بعد أن أقام بها بضع عشر ليلة وأقبل حتى نزل بذى أوان [بينها وبين المدينة ساعة] جاءه خبر مسجد الضرار من السماء، فدعا مالك بن الدخشم، ومعن بن عدى العجلانى فقال: فخرجا فحرّقاه وهدماه، وذلك بعد أن أنزل الله فيه: ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً** ﴾][1].

[ولما دنا من المدينة خرج الناس لتلقيه، وخرج الناسء والصبيان والولائد يقلن:][1].

---

(١) (المواهب اللدنية): ١/ ٦٢٥ – ٦٣٨ مختصراً.

(٢) التوبة: ١٠٧.

طلـع البـدر علينـا　　مـن ثنيـات الـوداع
وجب الشكـر علينا　　مـا دعـا لله داع

[وقد وهم بعض الرواة وقال : إنما كان هذا عند مقدمه المدينة وهو وَهَم ظاهر، لأن ثنيات الوداع[1] إنما هى من ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام]

[وفى البخاري[2]: «لما رجع ﷺ من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال: إن بالمدينة أقواماً ماسرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا: يارسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر].

[وهذا يؤيد معنى ماورد: «نية المؤمن خير من عمله»[3]، والمسابقة إلى الله تعالى وإلى الدرجات العلا بالنيات والهمم، لا بمجرد الأعمال].

[وجاء من كان تخلف عنه ـ فحلفوا له فعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب وصاحبيه، حتى نزلت توبتهم فى قوله تعالى: ﴿ **لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت**

---

(١) ثنيه الوداع: بفتح الواو؛ وهو اسم من التوديع عند الرحيل: وهى ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، واختلف فى تسميتها بذلك، فقيل: لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، وقيل: لأن النبى ﷺ ودّع بها بعض من خلفه بالمدينة في آخر خرجاته، وقيل: فى بعض سراياه المبعوثة عنه، وقيل: الوداع اسم واد بالمدينة، والصحيح أنه اسم جاهليّ قديم، سمّي لتوديع المسافرين (معجم البلدان): ٢/ ١٠٠، موضع رقم (٢٨٤٦).

(٢) (فتح الباري): ٨/ ١٥٩، كتاب المغازي ـ باب (٨٢) بدون ترجمة، حديث رقم (٤٤٢٣).

(٣) قال ابن دحية: لايصح، وقال البيهقي: إسناده ضعيف، ورواه العسكريُّ فى (الأمثال) عن أنس به مرفوعاً وسنده ضعيف، وله طريق ضعيف عن النواس بن سمعان، كما ذكره الزركشيّ.

وإنما كانت نية المؤمن خير من عمله، لأنها بانفرادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب، بخلاف أعمال الجوارح، فإنها إنما تكون عبادة إذا صاحبت النية لخبر: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنه كاملة» ولأن مكانها مكان المعرفة، أعني قلب المؤمن. (الموضوعات لابن الجوزي): ٣/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ حديث رقم (٥٦٨).

وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾[1].

[وعند البيهقي في (الدلائل): من حديث ابن عباس في قوله تعالى: **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم﴾**[2]. قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فلما رجع أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان ممر النبي ﷺ إذا رجع من المسجد عليهم، فلما رآهم قال: من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى؟ قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له، تخلفوا عنك يارسول الله، حتى يطلقهم النبي ﷺ ويعذرهم]

قال: وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم: رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين!!

فلما أن بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله تعالى هو الذى يطلقنا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾**[3] فلما نزلت، أرسل إليهم النبي ﷺ فأطلقهم وعذرهم، فجاءوا بأموالهم، فقالوا: يارسول الله! هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، قال: ما أمرت أن آخذ أموالكم، فأنزل الله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾** يقول: استغفرلهم **﴿إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾**[4]

وبمعناه رواه عطية بن سعد عن ابن عباس - رضى الله تبارك وتعالى عنهما-[5].

---

(١) التوبة: ١١٧ - ١١٨.

(٢) التوبة: ١٠٢.

(٣) التوبة : ١٠٢

(٤) التوبة : ١٠٣.

(٥) (دلائل البيهقي) : ٥/٢٧٢، حديث أبي لبابة وأصحابه.

الفهرس

* * *